جليـــس

الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة

أهل الشتاء

ترجمة: إيمان معروف

رواية

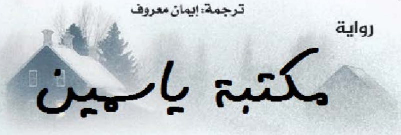

مكتبة ياسمين

جنيفر مكماهون

مؤلفة رواية "شقيقة الليل"

"من أكثر روايات العام إثارة للرعب والهلع... تمزج هذا النوع الأدبي القائم على الغموض مع حكاية القوى الخارقة للطبيعة من خلال قصة نفسية عميقة ومخيفة بقدر ما هي آسرة ومثيرة للفضول". صحيفة مiامي هيرالد

مكتبة ياسمين

مكتبة ياسمين
t.me/yasmeenbook

أهل الشتاء

جينيفر مكماهون

WINTER PEOPLE

JENNIFER McMAHON

جليس
شركة جليس للنشر والتوزيع

0096560393960
info@jalees.net
jalees.net
@jalees_net
@jalees_net

اشراف عام :د. حمود طاهر
تصميم غلاف وإخراج : ضحى الملاح

ر.د.م.ك : 9789921772326

Copyright © 2014 by Jennifer McMahon

مكتبة ياسمين

إلى زيلا
لأنك في أحد الأيام، أردت أن تلعبي لعبة مرعبة عن أختين اختفى والداهما في الغابة...
«تحدث بعض الأمور خارج إرادتنا».

مكتبة ياسمين

اللغز:

أدفنُ عميقاً

تُكوّم فوقي الحجارة

وسأبقى رغم ذلك

أحفرُ الأرض لأطفو على السطح. من أنا؟

الجواب: الذكريات

– أحجية شعبية

مكتبة ياسمين

أهل الشتاء
زوّارٌ من الجانب الآخر
اليوميات السرية لسارة هاريسون شيا

من مقدمة للمحررة، إميليا لاركين

قتلت عمتي الحبيبة، سارة هاريسون شيا، بوحشية في شتاء عام 1908. كانت في الحادية والثلاثين من عمرها.

بعد وفاتها بفترةٍ وجيزة، جمعتُ جميع صفحات المذكرات واليوميات التي تمكنت من وضع يدي عليها، وسحبت بعضها من عشرات المخابئ الذكية التي توزعت في شتى أنحاء منزلها. لقد أدركت الخطر الذي ينطوي على هذه الصفحات.

ثم أصبحت مهمتي طوال العام التالي تنظيم ما ورد فيها وجمعها في كتاب. اغتنمت الفرصة، وسرعان ما أدركت أن القصة التي ترويها هذه الصفحات يمكن أن تغير كلَ ما نعتقد أننا نفهمه عن الحياة والموت.

وأؤكد أيضاً أن أهم الصفحات، تلك التي تحتوي على أكثر الأسرار والتجليات الصادمة، كانت موجودة في الصفحات الأخيرة من مذكراتها التي دونتها قبل ساعات فقط من وفاتها.

ولم يعثر بعد على هذه الصفحات.

لم أتماد عند كتابة هذه النصوص ولم أحاول زخرفتها أو تغييرها بأي شكل من الأشكال. و رغم أن القصة التي ترويها عمتي تبدو خيالية لكنها في الواقع ليست محض خيال. إن عمتي، خلافاً للاعتقاد الشائع، كانت سليمة العقل.

مكتبة ياسمين

1908

زوّارٌ من الجانب الآخر

اليوميات السرية لسارة هاريسون شيا

29 يناير 1908

كنت في التاسعة من عمري حين رأيت راقداً أول مرة.

حدث هذا في الربيع قبل أن يقوم أبي بطرد عمتي وقبل أن نفقد أخي جاكوب. أما أختي كونستانس فقد تزوجت في الخريف الذي سبق وانتقلت لتعيش في غرانيتفيل.

كنت أتجول في الغابة بالقرب من شجرة «يد الشيطان» التي منعنا أبي من اللعب في محيطها. تساقطت أوراق الأشجار هنا وهناك فبدت وكأن مظلة خضراء مورقة تتشكل فوق رؤوسنا. والشمس أغدقت على التربة بدفئها فصار للغابة الرطبة رائحة الطين النفاذة. هنا وهناك تحت أشجار الخوخ والقيقب وأغصان البتولا تفتحت أزهار الربيع مثل الإطرليون والزنبق الأصفر، وزهرة جاك هي المفضلة لدي ببتلاتها الصغيرة وسرها المضحك الذي تخفيه تحت قلنسوتها المخططة حيث تجد تحتها بروزاً على شكل واعظٍ صغير. لطالما حدثتني عنها عمتي وعلمتني أن بوسعي قطع الدرنات من جذورها وطهيها مثل اللفت. كنت قد وجدت واحدة للتو وبينما رحت أسحب قلنسوتها بحثاً عن ذلك الشكل الصغير تحتها، سمعت وقع خطوات بطيئة تتحرك نحوي. أقدامٌ ثقيلة تطأ الأوراق الجافة بتثاقل وتتعثر فوق الجذور. أردت الهرب لكن الذعر سلبني القدرة على الحركة، فجلست القرفصاء خلف صخرة حيث استطعت رؤية الظلّ المتحرك عبر الطريق

مكتبة ياسمين

الوعر.

لقد عرفتها على الفور، إنها هيستر جيمسون.

لقد ماتت قبل أسبوعين إثر إصابتها بحمى التيفوئيد. حضرتُ جنازتها مع أبي وجاكوب ورأيتها تدفن في المقبرة خلف الكنيسة. وحضر جميع أقرانها من المدرسة وقد ارتدوا هندام يوم الأحد.

يديز إروين، والد هيستر، متجر جيمسون لمستلزمات الخيول. كان يرتدي في ذلك اليوم معطفاً أسود بأكمامٍ مهترئة، وقد احمرَ أنفه من شدة البكاء. وقفت زوجته، كورا جيمسون، بجانبه وهي امرأة بدينة تدير مشغل خياطة وسط البلدة. بكت السيدة جيمسون بحرقةٍ وجففت دموعها بمنديل من الدانتيل، وكان جسدها كله يرتعش ويرتجف.

حضرتُ جنازاتٍ من قبل ولكن ليسَ لشخص في مثل عمري. إذ عادةً ما يكون الميت شخصاً كبيراً جداً أو صغيراً جداً. لم أتمكن من رفع عيني عن التابوت وخُيّل لي أنَ حجمه مناسب لفتاةٍ مثلي. حدّقت في الصندوقِ الخشبي البسيطِ حتى أصبت بالدوار وأنا أتخيل شعورَ المرء حين يكون في داخله. لا بدَ أن أبي لاحظ اضطرابي لأنه أمسكَ يدي وضغط عليها بلطفٍ وسحبني نحوه قليلاً. أما القس آيرس الذي كان صغير السن حينها، فقد قال إن هيستر أمست مع الملائكة. في حينِ أنَ واعظنا العجوز، القس فيلبس، الأحدب نصف الأصم، لم ينطق بأيَ كلامٍ منطقي، بل تحدث مستخدماً استعاراتٍ مخيفةٍ عن الخطيئة والخلاص. في المقابل عندما تحدث القس آيرز بعينيه الزرقاوين البراقتين، شعرتُ كما لو أنَه يوجّه حديثه لي.

«بقيتُ أنا أنا حتى زمن شيخوختكم، وحملتُكم في مشيبكم. أنا صنعتُكم، لذلك أنا أحملُكم،

مكتبة ياسمين

وأخلّصكم»..

تلك كانت أوّل مرةٍ أفهم فيها كلمات الله، لأن القس آيرز هو من نطقها. تظن جميع الفتيات أنّ صوته كفيلٌ بجعل الشيطان نفسه يشعر بالسكينة.

غرّد شحروزٌ أسود أحمر الجناحين فوق شجيرة بندقٍ قريبة. نفخ جناحيه الحمراوين وأنشد ألحانه مراراً وتكراراً بصوت عالٍ قدر استطاعته، فبدت أغنيته أشبه بالتنويم المغناطيسي؛ حتى القس آيرز توقف للنظر إليه.

انهارتِ السيدة جيمسون على ركبتيها تندبُ ابنتها الراحلة، فحاول السيد جيمسون سحبها ولكن خانتهُ قواه.

وقفتُ ملتصقةً بوالدي، أمسك بيدهِ وأراقبُ العمال يجرفون الترابَ ويرمونه بعيونٍ فارغةٍ فوق نعشِ المسكينة هستر جيمسون. كان لدى هيستر سن أمامي مكسور، لكن وجهها رقيقٌ وجميل. لقد تفوقت على الجميع في صفنا في مادة الحساب. وذات مرةٍ، أهدتني في عيد ميلادي بطاقةً وضعت بين أوراقها زهرةً مجففة. كانت زهرةً بنفسجٍ مجففة و محفوظة على أفضلِ وجه. وكتبت داخل البطاقة «أتمنى أن يكونَ يومكَ مميزاً مثلكِ». وضعتها في كتابي المقدس وظلّت هناك لسنواتٍ إلى أن تلفت أو ربما سقطت منه، لم أعد أذكر.

والآن، بعد مضي أسبوعين على جنازتها، لمحني طيف هيستر هناك في الغابة أختبئ خلف صخرة. لن أنسى أبداً النظرة في عينيها - النظرة المذعورة لشخصٍ استيقظ للتوّ من حلمٍ رهيبٍ بالكاد يذكر أين هو.

لقد سمعت عن الراقدين من قبل؛ وثمة لعبةٍ حتى لعبناها في ساحة المدرسة حيث تستلقي إحدانا

مكتبة ياسمين

بسكون وسط دائرة من أزهار البنفسج والأقحوان. ثم ينحني شخصٌ ما ويهمس كلماتٍ سحرية في أذن الفتاة التي تؤدي دور الميتة، فتنهض وتطارد الجميع. وأوّل من تمسك به يكون دوره التالي لأداء دور الميت.

أعتقد أنني لعبت هذه اللعبة مرةً مع هيستر جيمسون.

وسمعت أيضاً تلميحاتٍ وشائعاتٍ عن راقدين جرى استدعاءهم من أرض الموتى من قبل الأزواج والزوجات المفجوعين، ولكن كنت على يقين من أنها مجرد قصص ترويها النساء العجائز لبعضهن أثناء طيّ الغسيل أو خياطة الجوارب لقتل الوقت وجعل من يسترق السَمع من الأطفال يهرع عائداً إلى المنزل قبل حلول الظلام.

كنتُ على يقينٍ، حينها فقط، أنّ الله بحكمته الواسعة لن يسمحَ بمثل هذا العملِ الشرير.

وها أنا يفصلني عن هيستر أقلَّ من عشرة أقدام. كان ثوبها الأزرق قذراً وممزقاً وشعرها مشعث مثل شباشيل الذرة. كانت تنبعث منها رائحة الأرض الرطبة العفنة، ولكن شممت رائحة أخرى تنبعث من خلفها، رائحة كريهة تشبه تلك التي تنتشر عند إطفاء شمعة الشحم.

التقت عيوننا ووددتُ أن أقول شيئاً أو حتى أن أقول اسمها، لكن لم يخرج من فمي سوى صوت همسٍ مخنوق.

هربت هيستر داخل الغابة مثل أرنبٍ مذعور. بقيتُ على وضعي جامدةً في مكاني أتمسك بصخرتي بشكلٍ مثير للشفقة مثل الأشنة.

من أسفل الطريق المؤدي إلى شجرة يد الشيطان جاء شخص أخر يركض وينادي باسم هيستر.

مكتبة ياسمين

كانت والدتها، كورا جيمسون.

توقفت عندما رأتني، وبدا وجهها متورماً و محموماً. كانت تلهث بقوة وثمة خدوش على وجهها وذراعيها وبقايا من الأوراق الجافة والأغصان تتشابك في شعرها.

قالت: «لا تخبري أحداً».

«ولكن لماذا؟» سألت وأنا أهمَ بالخروج من وراء الصخرة.

نظرت في عينيَ مباشرةً بل من خلالي تقريباً وكأنني زجاج نافذة متسخ.

. قالت: «ربما يوماً ما، سارة، ربما يوماً ما ستحبين شخصاً إلى الحدَ الذي يجعلك تفهمين».

ثم ركضت صوب الغابة تتبع ابنتها.

أخبرت عمتي عن ذلك لاحقاً.

«هل هذا ممكن حقاً؟» سألتها. «إعادة شخص ما إلى الحياة على هذا النحو؟»

كنا عند ضفة النهر نقطفُ رؤوس سراخس الكمان، ونملأ سلة العمة بقمم السرخس الملتفة كما اعتدنا أن نفعل كلَ ربيع. ثم نحضرها إلى المنزل لنحضَر حساء كريمياً غنياً بالخضروات والأعشاب البرية التي جمعتها العمة على طول الطريق. ذهبنا إلى هناك أيضا للتحقق من الفخاخ، فقد أمسكت العمة بقندسٍ قبل يومين وكانت تأمل أن تصطاد واحداً آخر. كانت جلوذ القندس نادرةً وتباع بأسعارٍ مرتفعة. قالت العمة إنها كانت فيما مضى منتشرة بكثرة مثل السناجب، لكن الصيادين أمسكوا معظمها ولم يبق منها سوى القليل.

رافقنا باكشوت طوال رحلتنا، يشمَ الأرض بأنفه بحماسٍ وأذناه تلتقطان كلَ صوتٍ في أرجاء المكان.

مكتبة ياسمين

لم أعرف يوماً ما إذا كان ذئباً كاملاً أم هجيناً. وجدته عمتي جرواً صغيراً عندما وقع في أحد أفخاخها بعد أن أطلق عليه النار شخصٌ ما. حملته إلى المنزل وسحبت الرصاصات من جسده وخاطت جراحه وظلّت ترعاه إلى أن تعافى. وبقي إلى جانبها منذ ذلك الحين.

قلث بعد سماع القصة: «إنَه محظوظٌ لأنك وجدته». أجابت العمة: «لا علاقة للحظّ بالأمر». «كلانا مخلوق من أجل الآخر».

لم أشهد مثل هذا الإخلاص لدى كلب أو أي حيوان آخر. شفيت جراحه، لكنّ الطلقة جعلته يفقد البصر في عينه اليمنى التي استحالت بياضاً. عين الشبح، كما تدعوها عمتي. أوضحت: «كان على شفا الموت، ومع ذلك بقيت لديه عين واحدة». لقد أحببت باكشوت، لكنني كرهت تلك العين البيضاء الحليبية التي بدا أنها ترى كلَ شيء ولا ترى شيئاً في آنٍ معاً.

لم تربطني صلة قرابة بالدم مع عمتي، لكنها كانت ترعاني وربتني بعد وفاة والدتي أثناء الولادة. لم يكن لدي أي ذكرى عن والدتي، ولعل الدليل الوحيد على وجودها كان صورة زفافها مع والدي، واللحاف الذي خاطته بيديها وكنت أنعم بدفئه كلَ ليلة، والقصص التي رواها لي أخي وأختي.

أكَد أخي أنَ ضحكتي تشبه ضحكة أمي. وقالت أختي أنَ والدتي كانت أفضل راقصةٍ في المقاطعة، وأنها كانت موضع حسد جميع الفتيات الأخريات.

جاء قوم عمتي من الشمال في كيبيك. كان والدها صياداً ووالدتها هندية. اعتادت العمة على حمل سكين صيد، وارتداء معطف طويلٍ من جلد الغزلان مزين بخرزات زاهية الألوان وأشواك النيص. كانت تتحدث الفرنسية وتردد أغانٍ بلغة لم أفهمها قط.

مكتبة ياسمين

وتضع عمتي خاتماً منحوتاً من عظمٍ أصفر في إصبعها الأيمن.

«ما الذي كتب عليه؟» سألتها وأنا ألمس الحروف والرموز الغريبة المنقوشة على سطحه.

أجابت: «إنَّ الحياةَ دائرةٌ».

شعر الناس في المدينة بالخوف من العمة لكن خوفهم لم يبعدهم عن بابها. قطعوا الطريق الوعرة إلى كوخها في الغابة خلف شجرة يد الشيطان، حاملين معهم النقود المعدنية والعسل والويسكي ومهما كان بوسعهم تقديمه مقابل الحصول على علاجاتها. يوجد لدى العمة قطرات للمغص وشاي للحمى وحتى زجاجة زرقاء صغيرة أقسمت أنَّها تحتوي على جرعةٍ قوية جداً لدرجة أنَّ قطرة واحدة منها ستجعل رغبات قلبك ملك يديك. لم يكن لدي شك في صدق كلامها.

يوجد أشياء أخرى أعرفها عن العمة أيضاً. شاهدتها مرةً تتسلل خارجةً من غرفة نوم أبي في الصباح الباكر، وسمعت الأصوات التي جاءت من خلف بابه المغلق عندما زارته هناك. وعرفت أيضاً أنَّ من الأفضل ألا أزعجها بالسؤال. إذ كان لديها مزاجٌ ناري وصبرٌ قليل على الناس الذين لم يروا الأمور على طريقتها. إذا رفض الناس أن يدفعوا لها مقابل خدماتها، فإنها تذهب إليهم وترش منازلهم بمسحوق أسود تسحبه من إحدى حقائبها الجلدية، وتتلفظ بتعويذة غريبة. واعتباراً من تلك اللحظة ستصيب تلك العائلات أشياء فظيعة؛ أمراض وحرائق وخسائر في المحاصيل، وحتى الموت.

رميث حفنةً من رؤوس سراخس الكمان الخضراء الداكنة في السلة.

وتوسلت إليها: «أخبريني يا عمتي، من فضلك، هل

مكتبة ياسمين

يمكن أن يعود الموتى؟»

تأملتني العمة برهةً طويلة ورأسها مائل إلى جانب واحد وعيناها الصغيرتان الداكنتان مثبتتان على عيني.

أجابت أخيراً: «نعم». «ثمة طريقة. قليلون يعرفون بشأنها، لكن أولئك الذين يعرفون، ينقلونها إلى أطفالهم. وبما أنكِ الأقرب لي أكثر من أيِ طفلٍ قد يكون من صلبي، فإنَ السرَ سينتقل إليك. سأكتب كلَ شيء، كلَ شيء أعرفه عن الراقدين. وأطوي الأوراق وأضعها في ظرفٍ أختمه بالشمع. سيبقى معك ولكن لن تفتحيه إلا عندما تكونين مستعدة».

«كيف سأعرف أنني مستعدة؟» سألتها.

ابتسمت، وبانت أسنانها الصغيرة المدببة مثل أسنان الثعلب ملطخةً بالأصفر بسبب التبغ. «ستعرفين».

أنا أكتب هذه الكلمات سراً، وأنا أختبئ تحت الملاءات. يظن مارتن ولوشيوس أنني نائمة. أسمعهما في الطابق السفلي يشربان القهوة ويناقشان تشخيص حالتي. «أخشى أنه ليس جيداً».

كنت أحاول استعادة تركيزي لأفكر كيف بدأ كلَ هذا، وأجمع الأشياء معاً كما تجمع قطع لحافٍ يدوي. لكن يا له من لحاف قبيح وبشع.

سمعت مارتن ينادي: «جيرتي» مع خشخشة ملعقة تحريك القهوة في كوبه المعدني المفضل. أتخيل تجاعيد جبينه وخطوط القلق العميقة هناك؛ وكم يبدو وجهه حزيناً بعد أن نطق باسمها.

أحبس أنفاسي وأصغي بتركيز.

يقول لوشيوس: «يمكن للمأساة أن تدمر الإنسان

مكتبة ياسمين

أحياناً». «ومن الصعب أن يعودوا لطبيعتهم مرة أخرى».

وحتى اليوم كلما أغلقت عيني، أرى وجه جيرتي وأشعر بأنفاسها الحلوة على خدي. لا زلت أذكر بوضوح صباحنا الأخير معاً، وأسمعها تقول: «إذا ذاب الثلج وصار ماءً، فهل ينسى أنه كان ثلجاً فيما مضى؟»

مكتبة ياسمين

مارتن

12 يناير 1908

«استيقظ، مارتن». شعر بهمسةٍ ناعمةٍ ترفرف قرب خده. «حان الوقت».

فتح مارتن عينيه بصعوبةٍ ساحباً نفسه من حلم امرأةٍ ذات شعرٍ داكنٍ طويل. كانت تحدّثه عن شيء ما. شيء مهم، أو ربما شيء لم يكن من المفترض به أن ينساه.

استدار نحو الجانب الآخر من السرير. كان بمفرده مع الجانب البارد الذي اعتادت ساره أن تشغله. نهض محاولاً الإصغاء بتركيز. سمع أصواتاً وضحكات ناعمة تأتي من صوب الردهة من وراء باب غرفة نوم جيرتي.

هل قضت سارة الليلة كله مع جيرتي مجدداً؟ من غير المنطقي أن تحاصر الفتاة على هذا النحو. لطالما شعر بالقلق من ارتباط سارة بجيرتي إلى هذا الحدّ، إنه ارتباط مرضيَ. فخلال الأسبوع الماضي وحده، جعلت سارة جيرتي تغيب عن المدرسة لمدة ثلاثة أيام متتالية، قضتها في تصفيف شعرها وصنع فستان جديد، وخبز الكعك من أجلها، ولعب لعبة الاختباء. عرضت ابنة أخت سارة، إميليا، أخذ جيرتي في عطلة نهاية الأسبوع، لكن سارة اختلقت أعذاراً من قبيل أنها ستشعر بالحنين إلى المنزل على الفور أو أنها ضعيفة جداً؛ لكن مارتن أدرك أنَّ سارة هي التي لا تتحمل البقاء بعيداً عن جيرتي. لم تبدُ سارة كاملةً أبداً إلا حين تكون جيرتي بجانبها.

لكنه أبعد تلك الوساوس عن ذهنه. ورأى أنَّ الأجدر به التركيز على المشاكل التي يفهمها ويمكنه فعل شيء حيالها.

مكتبة ياسمين

خيّم البرد على المنزل بعد أن انطفأت نار المدفأة.

أزاح الأغطية وألقى بساقيه على جانب السرير، ورفع منامته قليلاً. علقت قدمه المعطوبة هناك مثل الحافر فدفعها في حذائه الخاص الذي صممه له الإسكافي في مونبلييه. كانت نعاله مهترئة وقد حشا أسفلها بالعشب الجاف وزغب القطط تعلوه طبقات من قصاصات من الجلد في محاولة عقيمة لتجنب الرطوبة. لم يتوفر لديه المال لاقتناء حذاء جديد مصمم لحالته الآن.

أفسدت الآفات الزراعية معظم محصول البطاطا في الخريف الماضي، واعتمدوا على المال الذي حصلوا عليه من بيع ما تبقى من المحصول لمصنع النشاء لتأمين حاجات فصل الشتاء. كانوا في بداية شهر يناير فقط عندما صار المخزن الأرضي فارغاً إلا من القليل من حبات البطاطا الإسفنجية والجزر، وبعض ثمار القرع الشتوي، ونصف دزينة من جرارِ الفاصوليا والطماطم التي جهزتها سارة الصيف الماضي، والقليل من لحم الخنزير المملح من الخنزير الذي ذبحوه في نوفمبر «لقد بادلوا معظم اللحوم بسلعٍ جافةٍ في المتجر العام». يجب على مارتن أن يصطاد غزالاً في أقرب وقت ممكن إن أرادوا الحصول على طعام كافٍ. ورغم أن سارة تمتلك موهبة فذة في استغلال ما لديهم من طعام قليل لصنع وجبة من مرق الحليب والبسكويت مع القليل من لحم الخنزير المملح، لكنها لم تستطع ابتكار شيء من لا شيء.

كانت تبتسم وتقول دائماً «تناول المزيد، مارتن» وهي تضع المزيد من المرق على البسكويت. «يوجد الكثير». وكان يومئ برأسه ويحصل على جرعةٍ ثانية وكأنه يُجاري أسطورة الوفرة هذه التي

مكتبة ياسمين

ابتكرتها سارة.

وتقول جيرتي: «أحبّ البسكويت مع المرق».

قالت لها سارة: «لهذا السبب أصنعها كثيراً مؤخراً يا عزيزتي».

مرة كلّ شهر، كانت سارة وجيرتي تقودان الشاحنة إلى المدينة لإحضار ما يحتاجانه من المتجر العام. لا يشترون الأشياء الباهظة بل فقط الأساسيات مثل السكر والدبس والطحين والقهوة والشاي. سمح لهم آيب كوشينغ بالشراء بالدين لكنه سحب مارتن جانباً الأسبوع الماضي ليخبره أن الفاتورة باتت مرتفعة جداً وعليهم سدادها قبل شراء أيّ شيء آخر. شعر مارتن أن شعوراً حارقاً بالفشل يشقّ طريقه من معدته الفارغة إلى صدره.

ربط حذائه بإحكام وأحكم العقدة بعناية. شعر بألمٍ قدمه المصابة على الفور رغم أنه لم يخرج من سريره بعد. شعر باقتراب عاصفة.

مدّ يده إلى الجيب الأيمن من سرواله المرقع البالي ولمس الخاتم ليتأكد من وجوده هناك. لقد حمله إلى كلّ مكان ذهب إليه لأنه تعويذته للحظ السعيد. شعر بدفئه بين أصابعه وكأنه يشع حرارةً من تلقاءِ نفسه. في بعض الأحيان، عندما يعمل في الحقول أو الغابة ويتأكد من أن سارة لا تراه، يضع الخاتم في خنصره.

اعتاد مارتن كلّ ربيعٍ على حرث الأرض لاستخراج ما يكفي من الصخور لبناء صومعة. لكنه لم يكن يستخرج الصخور وحسب، لقد عثر على أشياء أخرى، أشياء غريبة، في الحقل الشمالي، تحت شجرة يد الشيطان بالضبط.

عثر على أكواب شاي مكسورة وأطباق عشاء. دمية طفل ممزقة. قصاصات من القماش. خشب

مكتبة ياسمين

متفحم. أسنان.

«مستوطنة قديمة؟ أو لعله مكبّ نفاياتٍ من نوعٍ ما؟» قال متسائلاً عندما عرض أمام سارة تلك القطع الأثرية.

أغمضت عينيها، وهزت رأسها. «لم يكن هناك مستوطنة أو مكب من قبل، مارتن». ثم حثته على دفن كلَ ما وجده في الأرض. «لا تحرث الأرض بالقرب من يد الشيطان. دع هذا الحقل يرقد بسلام».

وهذا ما فعله.

حتى قبل شهرين، عندما وجد الخاتم هناك، يتوهج مثل الهالة التي يراها أحياناً حول القمر.

كان خاتماً غريباً منحوتاً يدوياً من العظام. خاتم قديمٌ، قديمٌ جداً. وجد عليه نقوشاً وكتابات غريبة لم يتعرف عليها مارتن. ولكن عندما أمسكه في يده، بدا وكأنه يتحدث إليه وشعر به يصير دافئاً ونابضاً في راحة يده. اعتبرها مارتن علامة على أن حظه على وشك أن يتغير.

أحضر الخاتم إلى المنزل ونظفه ووضعه في كيسٍ مخملي صغير. تركه فوق وسادة سارة في صباح عيد الميلاد، وظلَ بجانبه مترقباً. لم يكن لديه المال أبداً لشراء هديةٍ مناسبة، أو هدية تستحقها فعلاً، لذلك شعر بإثارة كبيرة بانتظار أن ترى الخاتم. كان على يقين من أنها ستحبه. فهو خاتم أنيق ودقيق الصنع بل وساحر أيضاً، ووجد أنه هدية مثالية لزوجته.

أشرقت عينا سارة عندما رأت الكيس، ولكن عندما فتحته ونظرت إلى ما في داخله رمته على الفور، مرعوبةً ويداها ترتجفان. كما لو أنه أهداها إصبعاً مقطوعاً.

مكتبة ياسمين

«أين وجدته؟» سألت.

«عند حافة الحقل، بالقرب من الغابة. حباً بالله، سارة، ما خطبك؟»

قالت له: «يجب أن تعيده وتدفنه هناك مرة أخرى». «لماذا؟» سأل.

قالت وهي تضع يدها على صدره وتشدَ قميصه بأصابعها: «عدني أنك ستفعل». «حالاً».

بدت خائفة جداً. ويائسة بشكل غريب.

قال: «أعدك»، وأعاد الخاتم إلى الكيس ووضعه في جيب بنطاله.

لكنه لم يدفنه. بل أبقاه مخبأ وجعله تعويذته الصغيرة للحظ السعيد.

وقف الآن، ودسّ الخاتم بعنايةٍ في جيبه، ومشى إلى النافذة. أدرك في ضوء الفجر أنها أثلجت طوال الليل. وهذا يعني أن عليه جرف الثلج وربط المدحلة إلى الخيول لجعل الممر قابلاً للعبور. إذا أنجز ذلك مبكراً سيحمل بندقيته ويخرج إلى الغابة للصيد - سيجعل الثلج الطازج تعقب الطرائد أسهل، ومع هذا الثلج العميق سيتجه الغزال إلى حيث تكون الغابة أكثر كثافة. إذا لم يستطع صيدَ غزالٍ، ربما سيجد ديكاً رومياً أو طهيوجاً. أو ربما أرنباً مثلاً. تخيل وجه سارة يشرق ابتهاجاً عند رؤيته يحمل اللحوم الطازجة. ستعطيه قبلةً وتقول: «أحسنت يا حبيبي»، ثم تشحذ أفضل سكين لديها وتبدأ العمل وهي ترقص في جميع أنحاء المطبخ وتهمهم لحناً لم يستطع مارتن تسميته أبداً - لحنٌ حزين وسعيد في آنٍ معاً؛ أغنيةٌ، أخبرته مرةً أنها تعلمتها عندما كانت طفلة.

هبط السلالم الضيقة إلى غرفة المعيشة، ونظف

مكتبة ياسمين

المدفأة، وأشعل النار. ثم أشعل النار في موقد المطبخ مع الحرص على عدم إصدار ضجيج عند إغلاق بابه الحديدي. لو سمعته سارة، ستهبط حالاً. سيدعها ترتاح دافئةً تضحك تحت الملاءات مع جيرتي الصغيرة.

كانت معدة مارتن تقرصه من الجوع. فقد اقتصر عشاؤه الليلة الماضية على قدر ضئيل من يخنة البطاطا مع بضع قطعٍ من لحم الأرانب فيها. لقد أفسد معظم اللحم بعيار ناري.

«ألم يكن بإمكانك أن تصوب نحو الرأس؟» سألت سارة. «في المرة القادمة، سأعطيك البندقية»، قال لها غامزاً.

إنها الحقيقة بالفعل، لطالما كانت أكثر براعة منه في الرماية. كما أنها ماهرة في ذبحِ أي حيوان. ومع بضع ضربات بارعة من السكين، تسلخ الجلد كما لو أنها تنزع عن الحيوان معطفاً شتوياً. لقد كان أخرقاً ويتسبب بفوضى عارمة.

سحب مارتن معطفه الصوفي ونادى الكلب الذي لفّ جسده فوق لحافٍ قديمٍ في زاوية المطبخ. «هيا، شيب». «هيا بنا». رفع شيب رأسه الضخم البدين، وألقى نظرة استغرابٍ على مارتن، ثم عاد للنوم مرة أخرى. كان طاعناً في السن ولم يعد يغريه الخوض في الثلج الطازج. ويبدو أنه في هذه الأيام لا يستمع إلا لأوامر سارة فقط. شيب هذا هو الأحدث بين من سبقوه من كلابٍ تدعى شيب أيضاً وجميعها تنحدر من سلالة شيب الأصلي الذي كان كلب المزرعة الرئيسي هنا عندما كانت سارة فتاة صغيرة. كان شيب الحالي، مثل أولئك الذين قبله، كلباً طويلاً وضخماً. قالت سارة إن والد شيب الأول كان ذئباً، ولم يشك مارتن بذلك حين نظر إليه.

مكتبة ياسمين

فتح مارتن الباب الأمامي وتوجه إلى الحظيرة من دون الكلب. أراد إطعام الحيوانات القليلة التي بقيت لديه؛ حصانين عجوزين لجرّ الأحمال وبقرة حلوب هزيلة وبضع دجاجات حيث بحث بينها عن البيض للإفطار. لا يضع الدجاج البيض كثيراً في هذا الوقت من السنة.

أشرقت الشمس شيئاً فشيئاً فوق التل، وتساقط الثلج على شكل ندفٍ منفوشة كبيرة. غرق في أكوام الثلج الطازج الذي وصل إلى منتصف ساقه، فعرف أن عليه ارتداء أحذية الثلج لو أراد الذهاب إلى الغابة لاحقاً. شق طريقه بصعوبة وقام بجولة خرقاء عبر الفناء إلى الحظيرة، ثم عاد إلى حظيرة الدجاج. إنّ إطعام الدجاج أكثر ما يحبّ من واجباته اليومية، إذ يستمتع بالطريقة التي يرحبون بها به بالقرقرة والهديل، ودفء البيض الذي يجمعه من صناديق العش. أعطتهم الدجاجات الكثير وتطلب القليل في المقابل. أعطت جيرتي اسماً لكل دجاجةٍ: كان هناك ويلهيلمينا وفلورنسا الكبرى والملكة ريدينجتون وثمانية دجاجاتٍ أخرى، على الرغم من أن مارتن واجه صعوبة في تتبع التواريخ الصغيرة الغريبة التي منحتها جيرتي لكلٍ منها. كان لديهم دزينة كاملة قبل أن يسرق الثعلب دجاجة الشهر الماضي. في نوفمبر الماضي، صنعت جيرتي قبعات ورقية صغيرة لجميع الدجاجات وأحضرت لها كعكةً من خبز الذرة. «نحن نقيم حفلة»، قالت له لسارة، وشاهدا الحفل بسرور وهما يضحكان بينما كانت جيرتي تطارد الدجاجات هنا وهناك في محاولةٍ منها لإبقاء القبعات على رؤوسها.

بالكاد كان قد اقترب من الحظيرة عندما شعر أن الهواء نضب من صدره حين رأى بقعة من اللون

مكتبة ياسمين

القرمزي فوق ريشٍ أبيض مبعثر.

..

لقد عاد الثعلب.

ركض مارتن مسرعاً يجر قدمه المصابة عبر الثلج. لم يكن من الصعب رؤية ما حدث، فالآثار تقود إلى حظيرة الدجاج، وفي الخارج فوضى من الدم والريش وطريق أحمر يقود بعيداً.

انحنى مارتن بعد أن خلع قفازه الثقيل ولمس الدم الذي كان جديداً لم يتجمد بعد. تفقّد الحظيرة وعثر على الحفرة الصغيرة التي اخترقها الثعلب. بربر بكلماتٍ غاضبة من خلال الأسنان المشدودة، وفتح الباب، ونظر إلى الداخل. كان هناك قتيلان آخران. ولم يجد أيَ بيض. تكدست الدجاجات المتبقية خائفة في ركن خلفي بعيد.

عاد مسرعاً إلى المنزل ليأخذ بندقيته.

مكتبة ياسمين

جيرتي

12 يناير 1908

«إذا ذاب الثلج وصار ماءً، فهل ينسى أنه كان ثلجاً فيما مضى؟»

تقول أمي: «لا أظن أنّ للثلج ذاكرةً».

تساقطت الثلوج بغزارة طوال الليل، وعندما اختلست النظر من النافذة هذا الصباح، بدا كلّ شيء مغطى ببطانية سميكة ناعمة، بيضاء ونقية، تخفي كلّ شيءٍ آخر؛ آثار الأقدام والطرق وأي علامة على وجود الناس. وكأن العالم ولد من جديد، وكلّ ما فيه جديد. لن أذهب إلى المدرسة اليوم، وعلى الرغم من أنني أحبّ الآنسة دليلة، فأنا أفضل البقاء في المنزل مع أمي أكثر.

نغوص أنا وماما تحت الدثار السميك ونلتصق ببعضنا مثل فاصلتين توأمين. أنا أعرف عن الفواصل والنقاط وعلامات الاستفهام. لقد علمتني إياها الآنسة دليلة. وبوسعي قراءة بعض الكتب بشكلٍ جيد أيضاً. لكن يصعب علي فهم البعض الآخر، مثل الكتاب المقدس، فهي أشبه باللغز بالنسبة لي. كما حدثتني الآنسة دليلة أيضاً عن الأرواح، وأن كلّ إنسان يملك روحاً.

قالت: «الله ينفخ الروح فينا».

سألتها ماذا عن الحيوانات؟ وقالت لا، ولكن أعتقد أنها مخطئة. أعتقد أن كلّ شيء يجب أن يكون له روح وذاكرة، حتى النمور والورود، حتى الثلج. وبالطبع، شيب العجوز الذي يقضي أيامه نائماً بجانب المدفأة وعيونه مغمضة، فإن أطرافه تتحرك لأنه لا يزال كلباً صغيراً في أحلامه. كيف يمكنك أن تحلم إذا لم يكن لديك روح؟

مكتبة ياسمين

صنعت الأغطية خيمةً فوق رأسينا أنا وأمي والعتمة تسيطر على المكان كأننا في أعماق الأرض. مثل الحيوانات في عرينها. كلّ شيء دافئ وغامر هنا. أحياناً نلعب الغميضة وأحب الاختباء تحت الأغطية أو تحت سريرها. أنا صغيرة ويمكن أن أحشر نفسي في الأماكن الضيقة. في بعض الأحيان تحتاج ماما وقتاً طويلاً جداً للعثور لي. أفضل الاختباء دوماً في خزانة أمي وأبي. أحب الشعور بملابسهم تحتك بوجهي وجسدي، كما لو أنني أمشي في غابة كثيفة ذات أشجار ناعمة تطلق عطراً يشبه رائحة المنزل، مثل رائحة الصابون واحتراق الحطب وغسول الورد الذي تستخدمه ماما أحياناً على يديها. يوجد لوح مفكوك في ظهرِ الخزانة يمكنني الخروج والتسلل من خلاله؛ ثم أجد نفسي في خزانة الكتان في الصالة، تحت الرفوف التي توضع عليها الملاءات الإضافية والمناشف واللحف. أتسلل أحياناً في الاتجاه المعاكس وأذهب إلى خزانة ملابسهما وأراقب ماما وبابا أثناء نومهما. أشعر عندئذٍ بالغرابة و الجمال كما لو أنني شبحٌ ولست فتاة حقيقية تستيقظ عندما ينام الجميع، أبتسم أنا والقمر لأمي و أبي في خضم أحلامهما.

الآن ماما تمدّ يدها وتمسك بيدي وتتهجى عليها بإصبعها كلمة: «م-س-ت-ع-د-ة؟»

فأجيب «لا، ماما»، وألف أصابعي حول أصابعها. «دعيني قليلاً بعد».

تتنهد ماما، وتسحبني بقوة أكبر. ثوب نومها من الفانيلا البالية. أمرر أصابعي على طياته الناعمة.

«بماذا حلمت يا طفلتي العزيزة؟» تسألني. صوت ماما ناعمٌ مثل الكتان الطريّ.

أبتسم. أمسك يدها وأتهجى عليها «ك-ل-ب

مكتبة ياسمين

أ-ز-ر-ق». «مرة أخرى؟ كم هذا لطيف! هل ركبت على ظهره؟»

أومأت برأسي. ويرتطم الجزء الخلفي منه بذقن أمي.

«إلى أين أخذك هذه المرة؟» تقبّل ظهر رقبتي، وتدغدغ أنفاسها شعري الناعم هناك. أخبرت الانسة دليلة ذات مرة أننا جميعاً حيوانات جزئياً على الأرجح لأن لدينا خصل صغيرة من الفراء في جميع أنحاء بشرتنا. ضحكت وقالت إنها فكرة حمقاء. في بعض الأحيان عندما تضحك الآنسة دليلة عليَ أشعر بأنني صغيرةٌ مثل طفلة تتعلم نطق كلماتها.

«أخذني لرؤية سيدة ذات شعر متشابك تعيش داخل شجرة مجوفة قديمة. لقد ماتت منذ زمنٍ طويل. إنها من أهل الشتاء».

شعرت أن ماما جمدت. «أهل الشتاء؟»

«هذا الاسم الذي أطلقته عليهم»، أجيب وأدير وجهي نحوها. «الأشخاص العالقون بين هنا وهناك، في الانتظار. هذا يذكرني بالشتاء وكيف يبدو كلَ شيءٍ شاحباً وبارداً وفارغاً من أي شيء، وكل ما يمكنك فعله هو انتظار الربيع».

نظرت إلي نظرة مضحكة. نظرة مفعمة بالقلق.

«لا بأس، ماما. السيدة التي قابلتها ليست من الأشرار». «الأشرار؟» تسأل أمي.

«في بعض الأحيان ينتابهم الغضب. إنهم يكرهون أن يعلقوا في ذلك الوضع. يريدون العودة ولكن لا يعرفون كيف، وكلما حاولوا أكثر، زاد غضبهم. وفي بعض الأحيان يشعرون بالوحدة. ويودون لو أنّ هناك شخصاً يتحدثون إليه».

طارت الأغطية من فوق رؤوسنا وضرب برد

مكتبة ياسمين

الغرفة جسدي وارتعش جلدي كما لو أنَ ألف ندفة ثلج صغيرة وخزته.

قالت ماما: «حان وقت النهوض من السرير»، لكن صوتها بدا أعلى من المعتاد. «بعد إنجاز الأعمال المنزلية والإفطار، ربما يمكننا أن نخبز كعكة أنا وأنت».

نهضت ماما وراحت ترتب الأغطية وتتجول في الأرجاء مثل طائرٍ مشغول.

«كعك دبس السكر؟» سألتها بابتهاج. إنه أفضل طعام لدي على وجه الأرض. ولدى شيب أيضاً، لأنه الآن طاعن في السنَ جداً وبالكاد يستطيع أن يلعق من الوعاءِ. يقول أبي أننا أفسدنا هذا الكلب، لكن ماما أخبرته أنَ شيب يستحق الدلال.

«نعم. الآن اذهبي وابحثي عن والدك وانظري إن كان يحتاج إلى مساعدة في إطعام الحيوانات. أحضري البيض أيضاً. سنحتاجه من أجل الكعك. و، جيرتي؟» قالت وأدارت وجهي حتى أنظر إليها مباشرة. عيناها مشرقتان ولامعتان مثل الأسماك في الجدول. «لا تحدثيه عن حلمك. ولا تذكري أمامه أي شيء عن أهل الشتاء. لأنه لن يفهمك».

أومأت برأسي بقوة وقفزت إلى الأرض. اليوم أنا حيوان الغابة. أسد أو نمر. حيوانٌ له أسنان ومخالب حادة يعيش في مكان بعيد وراء المحيط حيث الجو حارّ طوال الوقت. عرضت لنا الآنسة دليلة كتاباً مصوراً عن جميع الحيوانات التي أخذها نوح معه على السفينة، الخيول والثيران والزرافات والفيلة. والمفضلة لدي كانت القطط الكبيرة. أراهن أنها تستطيع المشي بهدوء شديد والتسلل ليلاً، مثلي تماماً.

«غرررر»، رحت أزمجر وأنا أشق طريقي خارج

مكتبة ياسمين

الغرفة. «احذر يا أبي. ها قد أتت أكبر قطة في الغابة. كبيرة بما يكفي لتأكلك، سألتهم عظامك وكل شيء».

مكتبة ياسمين

مارتن

12 يناير 1908

كان مارتن يعرف سارة طوال حياته. جاء أهلها من مزرعةٍ تقع على مشارف المدينة قرب التلال. مزرعة يد الشيطان، كما يدعوها الناس بسبب حافة الصخرة التي تنبثق من الأرض مثل يد عملاق ترتفع أصابعها فوق الأرض. يقول الناس إنها أرض مسكونة. حيث تسكن الوحوش. لم تكن التربة جيدة هناك بل كلها من الطين والصخور، لكن عائلة هاريسون جاهدوا من أجل كسب لقمة العيش، وباعوا الأشياء القليلة التي استطاعوا إنتاجها من الأرض كالبطاطا واللفت، مقابل الدقيق والسكر في المدينة. اتسم أفراد عائلة هاريسون بالنحافة الشديدة كالهياكل العظمية والعيون الداكنة والشعر البني، لكن سارة كانت مختلفة بطريقة أو بأخرى، فقد بدا شعرها كستنائياً عندما تضربه الشمس، وتميل عيونها إلى اللون النحاسي المشرق ليس إلى البني. بدت وكأنها من عالم آخر بالنسبة لمارتن، امرأة فاتنة أو خيالية، مخلوق قرأ عنه في كتب الحكايات ولم يتخيل أبداً أن يكون حقيقياً.

توفيت والدة سارة إبَان ولادتها. وتولى العجوز جوزيف هاريسون وحده رعايتها مع أخيها وأختها الأكبر سناً. لكن الناس قالوا أنَ امرأة كانت تزوره بين الفينة والأخرى. تغسل الملابس وتحضر الطعام وترعى الأطفال. وقال الناس أيضاً أنها أقامت علاقة مع جوزيف هاريسون، وعاشت معه مدةً مثل الزوجة. كانت امرأة هندية نادرة الكلام ترتدي ملابس مصنوعة من جلود الحيوانات، هذا ما قاله الناس. وقال البعض إنها في الواقع نصف حيوان ونصف إنسان، وإن لديها القدرة على التحول

مكتبة ياسمين

إلى دبّ أو غزال. يذكر مارتن حين روى له والده حكايتها وقال إنها عاشت في كوخ خلف صخرة يد الشيطان، وإن الناس جاؤوا من المدينة لرؤيتها عندما يمرض أحدهم. «عندما يعجز الطبيب عن المساعدة، يذهبون إليها».

يقال إن شيئاً ما حدث لها، حادث ما؟ حادث غرق؟ حدث ذلك في الوقت الذي توفي فيه شقيق سارة. لم يستطع مارتن تذكر التفاصيل، وعندما سأل سارة عن ذلك بعد زواجهما، هزت رأسها، وقالت إنه مخطئ على الأغلب.

«تلك الحكايات التي سمعتها كانت مجرد حكايات. يحبّ أهل المدينة تأليف القصص، أنت تعرف ذلك مثلي تماماً. كنت أعيش هناك مع أبي وكونستانس وجاكوب فقط ولم تكن هناك امرأة في الغابة».

عندها في المدرسة الابتدائية كان مارتن يلعب بالكرات الزجاجية مع ثلةٍ من الأولاد في ساحة المدرسة. وغضب شقيقه الأكبر، لوشيوس، لأن مارتن فاز للتو بكرته الزجاجية المفضلة بعد خروجه من الحلبة، وهي كرة برتقالية جميلة أطلق عليها اسم «المشتري». حمل مارتن جائزته وهو يفكر في مدارات الكواكب، عندما جاءت سارة هاريسون مشرقةً وعيناها اللامعتان تشعان وتلتقطان الضوء مثل كرته الزجاجية الجديدة. بدت جميلة للغاية حينئذٍ لدرجة أنه فعل الشيء الوحيد الذي استطاع أن يفكر فيه؛ أعطاها الكرة الزجاجية.

«كلا!» صرخ لوشيوس، لكنه تأخر جداً. شدَت سارة أصابعها حولها وابتسمت.

قالت: «مارتن شي، أنت الذي سأتزوجه». اختنق لوشيوس من شدة الضحك. «أنت مجنونة، سارة هاريسون».

مكتبة ياسمين

لكن سارة قالت كلمتها بصرامة واقتناع، لدرجة أن مارتن لم يشك أبداً في صدقها، على الرغم من أنه ضحك في ذلك الوقت، محاطاً بأصدقائه وأخيه، كما لو كانت تقول نكتة. لكنها نكتة بالفعل إذ كيف يمكن لفتاة جميلة أن تختار مارتن.

كان صبياً غريب الشكل، ذراعاه طويلان جداً بالنسبة لأكمامه، ووجهه ملتصق دوماً بكتابٍ مثل عائلة روبنسون السويسرية، وجزيرة الكنز، وعشرون ألف فرسخ تحت سطح البحر. كان يتوق إلى المغامرة ويعتقد أن لديه قلب البطل. لسوء الحظ، لم يكن هناك قراصنة يخوض المعارك ضدهم في ويست هول، ولا حطام سفنٍ يصارع الأمواج لينجو منها. بل فقط تلك الحياة الرتيبة التي لا نهاية لها من الأعمال المنزلية في مزرعة الأسرة، مع الأبقار التي تحتاج من يحلبها، والتبن الذي يحتاج من يحصده. وعدَ نفسه ذات يومٍ بأنه سيترك كلَّ شيء وراءه، فقد آمن بأنه مقدر لفعل أشياء أكبر من أن يكون مجرد مزارع. وظلَّ حتى ذلك الحين ينتظرُ بصبرٍ الفرصةَ المناسبة لفعل ذلك. كان أداؤه سيئاً في المدرسة لأنه أضاع وقته شارداً مع أحلام اليقظة بدلاً من أن يدرس، في حين حصل شقيقه لوشيوس على أعلى الدرجات في الفصل. كان لوشيوس أقوى وأسرع وأكثر شجاعة بل وأكثر وسامةً. والفتى الذي حلمت به كلَّ الفتيات في تلك الأيام. إذن ما الذي أثار إعجاب سارة هاريسون في مارتن؟

لم يعرف الجواب في ذلك الوقت، لكن هذه كانت إحدى مواهب سارة العظيمة، القدرة على رؤية المستقبل من خلال تفاصيل صغيرة، وكأنها تحمل في عقلها تلسكوباً خاصاً.

مكتبة ياسمين

أعلنت في نزهة الرابع من يوليو عندما كان مارتن في الثانية عشرة من عمره: «لن تغادر ويست هول يا مارتن». اجتمع معظم أهالي البلدة على المرج الأخضر حول منصة الفرقة التي بنيت حديثاً. استمتع البعض بالرقص، في حين انتشر البعض الآخر فوق مفارش النزهة. وقف لوشيوس في الشرفة يعزف البوق مع عدد من رجال البلدة الذين شكلوا فرقة بلدة ويست هول. سيرحل لوشيوس قريباً إلى بيرلينجتون في الخريف، بعد أن وفرت له علاماته العالية منحة دراسية كاملة في جامعة فيرمونت.

«لم أنتِ واثقة جداً؟» سأل مارتن، والتفت إلى سارة التي جلست بجانبه.

«هل فكرت يوماً أن المغامرة التي تبحث عنها ربما موجودة هنا؟»

ضحك، فابتسمت له بلطف، ثم مدت يدها إلى جيب سترتها وسحبت شيئاً. الكرة الزجاجية «المشتري».

ثم أعادتها مرة أخرى إلى جيبها، وانحنت وقبلت خده. «عيد استقلال سعيد، مارتن شي».

قرر حينها في ذلك المكان والزمان أنَ سارة على حق، إنها الفتاة التي سيتزوجها، وربما، ربما، كانت المغامرة التي يبحث عنها.

«مارتن»، همست في ليلة زفافهما، وأصابعها تلعب بشعره، وشفتاها تدغدغان أذنه اليسرى، «ذات يوم، سيكون لدينا فتاة صغيرة».

وهذا ما كان بالفعل.

قبل سبع سنوات، وبعد إجهاض ثلاثة أطفال في الرحم ثم ولادة ابنهما، تشارلز، الذي توفي بعد

مكتبة ياسمين

شهرين، أنجبت سارة الطفلة جيرتي. كانت طفلةً صغيرةً، صغيرةً جداً؛ قال لوشيوس إنها لن تعيش أسبوعاً.

كان قد اجتاز امتحانات البورد وعاد من بيرلينجتون للعمل مع الدكتور ستيوارت العجوز الذي تقاعد بعد فترة وجيزة، تاركاً لوشيوس الطبيب الوحيد في البلدة. أغلق لوشيوس حقيبته الطبية الجلدية ووضع يده على ذراع مارتن.

قال: «أنا آسف».

لكن لوشيوس كان مخطئاً: التصقت جيرتي بسارة وظلّت ترضع وترضع، وتزداد قوةً كلّ يوم. طفلتهما المعجزة. أشرقت سارة من فرط السعادة وكلما غفت الطفلة الصغيرة على صدرها، كانت تنظر إلى مارتن بابتسامةٍ تعني أن كلّ شيء بات على ما يرام الآن. شعر مارتن الشعور نفسه وعرف أنه ما من مغامرةٍ خاضها من قبل يمكن أن تمنحه نتيجة أكثر سعادةٍ من هذا.

وعلى الرغم من أنها لم تعد ترضع من ثدي والدتها، فقد ظلّت جيرتي ملتصقة بسارة. كانتا لا تنفصلان، متشابكتين دائماً، وتهجآن كلماتٍ سريةٍ في كفوف بعضهما بأطراف الأصابع. في بعض الأحيان كان مارتن متأكداً من أنهما لا تحتاجان إلى كلماتٍ للتواصل على الإطلاق، وأنهما تستطيعان قراءة عقلي بعضهما بسهولة. بدا أن لديهما محادثات كاملة بلا كلماتٍ بأعينهما فقط، تضحكان وتشيران لبعضهما عبر طاولة العشاء. حتى أنه شعر بشرارةٍ صغيرة من الحسد. حاول أن يطلع على أسرارهما ونكاتهما الصغيرة، ويضحك في اللحظات الخاطئة ويحصل على نظرة الأب المسكين من جيرتي. لقد فهم وتقبَل في النهاية أن بينهما رابطة تجمعهما،

مكتبة ياسمين

رابطة لن يكون أبداً جزءاً منها. الحقيقة أنه آمن بأنه أكثر الرجال حظاً على وجه الأرض لوجود هاتين الاثنتين، الزوجة والابنة، في حياته، فالأمر أشبه بالعيش مع الجنيات أو حوريات البحر، وبعض المخلوقات الجميلة جداً التي لم يكن من المفترض أن يفهمها تماماً.

ومع ذلك، كان قلقاً من أن خسارة أطفالهما السابقين جعلت سارة تتشبث بجيرتي على نحوٍ يائسٍ تقريباً. مرّت أيامٌ لم تسمح فيها سارة لابنتها بالذهاب إلى المدرسة، بحجة أنها قلقة من أن أنف جيرتي يسيل قليلاً، أو أنها لاحظت احتقاناً في عينيها.

في أحلك ساعاته، اعتقد مارتن أن سارة تلقي اللوم عليه بشأن موت الأطفال الذين جاؤوا قبل جيرتي، رغم أنها لم تقل ذلك قطّ. كاد كلّ إجهاض أن يقتل سارة، قضت أسابيع طريحة الفراش، تبكي وبالكاد تأكل ما يكفي لإبقاء عصفور على قيد الحياة. ثم ولد تشارلز بصحة جيدة وبنية قوية، برأس مجعدٍ ووجهٍ حكيمٍ مثل رجل عجوز. لكنهم وجدوه بارداً وميتاً في مهده ذات صباح. لفّت سارة ذراعيها حوله وظلت تحضنه طوال اليوم وفي اليوم التالي. عندما حاول مارتن أخذ الطفل، أصرت سارة على أنه لم يمت.

قالت: «لا يزال يتنفس». «أشعر بقلبه الصغير ينبض».

فابتعد عنها مارتن خائفاً. قال: «أرجوك سارة».

«اتركنا»، صاحت بغضب وشدت الطفل الميت إلى صدرها أكثر، وعيناها باردتان ومسعورتان مثل عيون حيوان مجنون.

أخيراً، اضطر لوشيوس إلى تخديرها. ولم يتمكنوا

 مكتبة ياسمين

من نزع الطفل من بين ذراعيها إلا حين نامت.

اعتقد مارتن أن الوفيات كانت بسبب هذا المكان؛ 120 فداناً تعود ملكيتها إلى سارة بموجب حق الوراثة. وبخلاف شقيقتها الكبرى، كونستانس، التي تزوجت وانتقلت إلى غرانيتفيل، كانت سارة آخر أفراد عائلة هاريسون على قيد الحياة. وألقى باللوم على التربة البخيلة والحقول القاحلة، حيث لا يكاد ينمو شيء تقريباً؛ والمياه التي بطعم الكبريت. كان الأمر كما لو أن الأرض نفسها تتحدى أيَ شيء يجرؤ على البقاء على قيد الحياة.

الآن، ها هو مارتن يحمل بندقية في يده، ويتحرك شرقاً عبر الحقل ليطارد الثعلب، يمشي بتثاقل عبر الثلوج وقدماه محشورتان في أحذية الثلج المصنوعة من الخشب والجلد الخام. تكاثفت أنفاسه مثل ضبابٍ غائم. وباتت أقدامه مبللة وباردة. استمرت آثار الثعلب في مسارٍ مستقيم إلى أن وصلت إلى البستان الذي زرعه جد سارة. كانت الأشجار عاريةً إلا من بضع ثمراتٍ من التفاح والكمثرى التي جفت واجتاحتها الحشرات والآفات.

لا بدَ أن سارة وجيرتي في السرير الآن تتساءلان عن مكاني. سيكون هناك وعاء من القهوة الساخنة والبسكويت يخبزُ في الفرن. لكن عليه قتل الثعلب أولاً. أراد أن يُظهر لزوجته وابنته أنه بوسعه حمايتهما، وإذا حاول مخلوق تهديد مصدر رزقهما بأي شكل من الأشكال، سيدمره. سيقتل الثعلب، ويسلخه بنفسه، ويسلم الفرو إلى سارة، هدية مفاجئة. كانت ذكية وماهرة في التعامل مع الإبرة والخيط، يمكن أن تصنع قبعة دافئة لجيرتي الصغيرة.

استند مارتن على شجرة تفاح ملتوية لالتقاط

مكتبة ياسمين

أنفاسه. هطلت الثلوج من حوله مما حدَ من رؤيته فشعر بالارتباك بشكل غريب. أي طريق كان إلى المنزل؟

سمع شيئاً خلفه صوت خشخشة ناعمة لخطوات تتحرك بسرعة عبر الثلج.

استدار. فلم يجد أحداً. ربما الريح. عضَ على شفتيه ولمس الخاتم الدافئ في جيبه.

على بعد عشر ياردات أمامه، تحركت شجرة تفاح قديمة. نظر من خلال الثلج المتساقط ورأى أنها لم تكن شجرة بل امرأة عجوز محنية الظهر. كانت ترتدي جلود الحيوانات، وشعرها متشابك مثل عش الثعابين.

«مرحباً؟» ناداها.

التفتت إلى مارتن، ونظرت إليه مع ابتسامةٍ عريضة أظهرت أسنانها البنية الحادة. رمش مارتن، فعادت شجرةً مرة أخرى تتمايل بلطفٍ تحتَ طبقةٍ ثقيلةٍ من الثلج.

انطلق الثعلب من خلفه، ولا يزال نصف دجاجة في فمه. تجمد في مكانه ونظر إلى مارتن وعيناه الذهبيتان تومضان. حبس أنفاسه ورفع بندقيته حين رأى الثعلب الذي رفع نظره نحوه وصارت عيناه مثل حلقات صغيرةٍ من النار.

نظر إليه الثعلب؛ وفجأة وعلى مدى ثانيتين كاملتين لم تكن عينا الحيوان هي التي تحدق فيه ببرود، بل عينا سارة.

مارتن شي، أنت الذي سأتزوجه. يوماً ما، سيكون لدينا طفلة صغيرة.

رمش مارتن في محاولة لإزاحة هذه الصورة من عقله؛ إذ لم يكن هذا ثعلباً محتالاً من قصة خيالية.

مكتبة ياسمين

لقد كان خياله وحسب ونتيجة طبيعية لطفولة قضاها غارقاً بين كلّ تلك الكتب.

عاد الثعلب الآن ثعلباً عادياً بعيون عادية مرة أخرى، استدار وأسقط الدجاجة من فمه ثم قفز بعيداً في اللحظة التي أطلق فيها مارتن النار من بندقيته.

«تباً». صرخ مارتن، مدركاً أنه أخطأ الهدف.

انطلق مسرعاً باتجاه الثعلب ولاحظ وجود دماءٍ جديدة على الأرض. لقد نجح في التصويب على الحيوان أخيراً. انحنى مارتن ولمس بأطراف أصابعه الآثار على الثلج فتلونت باللون الأحمر. رفعها إلى شفتيه وتذوقها. كان الطعم حاداً ومالحاً وجعلت لعابه يسيل. جهز بندقيته مجدداً وتبع الأثر عبر البستان وفوق التلال الصخرية وتجاوز يد الشيطان نزولاً إلى الغابة إلى أن تمكن من رؤية اللون الأحمر الباهت كلَ بضع خطواتٍ فقط. بدت أشجار الزان والقيقب العارية من الأوراق والمغطاة بالثلج، غير مألوفة. سارَ لمدة ساعة أو أكثر عبر غابة كثيفة من فروع قصب التوت البري الباقية من العام الماضي، ومع الوقت صار البيت أبعد فأبعد. وأصبحت الغابة أكثر قتامة. تساءل عما إذا كان قد اتخذ القرار الصحيح بقدومه إلى هنا أثناء العاصفة.

«فات أوان العودة الآن»، قال لنفسه وهو يغالب الألم ويدفع نفسه إلى الأمام.

لم يسمح لنفسه بالتفكير في الحادث في كثير من الأحيان. وعندما فكر فيه، شعر أحياناً كما لو أن العالم الذي يسكنه يقف ضده بكل معنى الكلمة.

كان فوق التل يقطع الحطب في صباحٍ لطيفٍ أواخر الصيف بعد عام من زواجه وسارة. لقد وجد قطعة أرض مليئة بالأغصان الميتة التي جفت

مكتبة ياسمين

بالفعل، فعمد إلى تقطيعها إلى قطع بحجم الموقد وتحميلها على العربة. عمل طوال الصباح ورجع إلى المنزل لتناول الغداء، ثم عاد إلى الغابة مسروراً بإنجازه. طلب من سارة أن تحفظ العشاء دافئاً لأنه ينوي العمل حتى تمتلئ العربة أو يعجز عن الرؤية في الظلام. لقد قطبت حاجبيها ولم يعجبها أبداً أن يبقى في الغابة بعد حلول الظلام.

قالت: «لا تتأخر كثيراً».

لكن العمل سار على ما يرام وامتلأت العربة تقريباً وحلَ الغسق وغاب، لكن مارتن استمر في نشر الحطب. شعر بألمِ في كتفيه وظهره، لكنه كان نوعاً جيداً من الألم. في النهاية، لم تعد العربة تتسع للمزيد من الحطب. جمع مناشيره وفؤوسه، وربط الحصان مرة أخرى إلى العربة، وبدأ النزول ببطء وحذر من أعلى التل. كان المكان مظلماً جداً في ذلك الوقت، فسار بجانب الحصان وقاده حول الصخور وفوق الجذور والأخاديد. عندما اجتازا يد الشيطان، تجمد الحصان في مكانه.

«هيا، تقدم» حثّه مارتن، وسحب اللجام وضربه بلطف. لكنه رفض أن يتزحزح، وركز عينيه مباشرة إلى الأمام، وأذناه منتصبتان بانتباه شديد. تراجع خطوة إلى الوراء، وصهل بعصبيةٍ. سمع مارتن صوت تكسر غصنٍ في الظلام أمامهما. أعطى الحصان تربيتاً مطمئناً على رقبته.

قال: «اهدأ»، ثم تقدم نحو الظلال للتحقق من الأمر.

لم يستطع قطَ أن يقول ما وجده في الغابة تلك الليلة. عندما سأله لوشيوس عن ذلك لاحقاً، ادعى مارتن أنه لم ير شيئاً، وأن الحصان فزع من صوتٍ ما.

مكتبة ياسمين

قال لوشيوس: «لقد جمد حصانك العجوز في مكانه حين رآهم»، «لا بد أنه كان دباً. أو هراً بريّاً. لا بدَ أنَ شيئاً هناك أثار خوفه».

أومأ مارتن برأسه، ولم يخبر شقيقه، أو حتى سارة، بما رآه حقاً والذي كان ومضةً من الأبيض الشاحب، مثل البومة، ولكن أكبر، أكبر بكثير. كان يقف على فرع منخفض وانقض بسرعة نحو أسفل الغابة مصدراً نوعاً غريباً من الهسهسة أثناء الطيران. لقد بدا... بشرياً تقريباً. لكن لا يمكن للبشري أن يتحرك بهذه الطريقة - كان سريعاً جداً، سلساً جداً. كما رافق حركته انبعاث رائحة فظيعة تشبه رائحة الدهون المحترقة.

كان هذا كافياً لإثارة ذعر الحصان الذي فرَ هارباً على الفور إلى الأمام مباشرة باتجاه مارتن. رآه قادماً، وعرف ما عليه فعله، لكن دماغه كان يدور في دوائر من شدة الخوف، ولم يستطع تحريك جسده. تعلقت عيناه بعيني الحصان اللتين جحظتا من شدة الذعر. أخيراً، تحرك مارتن ليبتعد عن طريقها ولكن بعد فوات الأوان. أوقعه الحصان أرضاً وداس على ساقيه، فكسر عظم الفخذ الأيسر بضربةٍ موجعة. ارتطم صدغه بحافةِ صخرةٍ كبيرةٍ عندما سقط وأصبح العالم أكثر قتامة ورؤيته ضبابية. ومرت العربة فوق قدمه اليسرى فسحقتها من الكاحل إلى أسفل. لقد شعر بعظامه تُطحن تحت العجلة. بدا الألم رغم فظاعته بعيداً جداً، كما لو أنَه أصاب شخصاً آخر. سمع خلفه صوت غصنٍ ينكسر. استدار، ورأى الظلَ الشاحب ينتقل و يتحرك في الظلام قبل أن يفقد وعيه.

تحطمت العربة في منتصف الطريق إلى أسفل التل، وعاد الحصان إلى الحظيرة ساحباً معه ما

مكتبة ياسمين

تبقى من العمود والمحور الأمامي بعد أن تحطمت العجلات إلى شظايا. عرف فيما بعد أنه عندما رأت سارة هذا، حملت فانوساً وخرجت تبحث عنه. قالت له لاحقاً: «كنت واثقةً من أنني سأجدك ميتاً». «بالكاد استطعت صعود التل. لم أرغب برؤية ما جرى».

وجدته حياً لكنه فاقد الوعي مكسوراً و ينزف بشدة. تمكنت سارة من صنع نقالةٍ من غصني شجرٍ ومعطف مارتن وسحبته إلى أسفل التل بمفردها.

في الأسابيع التي تعافى فيها مارتن، والتي أعاد خلالها لوشيوس تقويم عظامه بأفضل ما يمكن ولفت سارة ساقه وقدميه بالكمادات لتسريع الشفاء، كان يسألها مراراً كيف تمكنت رغم ضآلة حجمها من إنزاله إلى أسفل التل.

قالت له: «أعتقد أن الله ساعدني».

مشى بتثاقلٍ يتعقب آثار الحيوان الصغير غير متأكد من مكان وجوده أو كم من الوقت قد مضى وهو على هذا الحال. بحث عن الشمس في السماء، ولكن كان الثلج ينهمر بغزارة، والضباب كثيف لدرجة تجعله يعجز عن الرؤية. على الرغم من أنه كان يعرف الغابات حول المزرعة جيداً من سنواته في الصيد وجمع الحطب ونسغ القيقب، لكنه لم يتعرف على أي معلمٍ هناك. بدت الأشجار من حوله عارية ومخيفة كما لو أنها تصارع بحثاً عن طريقها نحو الضوء. كان الثلج يتساقط بقوة وكثافة، ويغطي كلَ شيء مألوف. ظل يتبع الآثار، الشيء الوحيد الذي كان متأكداً منه، وتنفس الصعداء عندما رأى الآثار تلتف عائدة حول الصخور. لقد كان منهكاً، وجائعاً، وتؤلمه قدمه، وقد جف فمه. حاول مصَ كتلٍ من الثلج، لكن هذا لم ينفع كثيراً في إرواء

مكتبة ياسمين

عطشه.

تعقب ما تبقى من آثار أقدامه من قبل، صعد مرة أخرى إلى أعلى التل، وانزلق على المناطق شديدة الانحدار وتعلّق بأغصان الحور وأشجار الزان إلى أن وصل أخيراً إلى يد الشيطان، وهي مجموعة من الصخور الضخمة التي بدت كأنها يدٌ تمتد أصابعها نحو الأعلى مباشرة وقد ارتدت قفازاً جديداً من الثلج الأبيض النقي. ولكن هناك، في ظلّ الإصبع الأوسط حيث قادت الآثار، لاحظ أن هناك من جرف الثلج فتحة صغيرة لم يلاحظ وجودها من قبل. فوهة صغيرة للكهف.

زحف مارتن إلى المدخل. كان ضيقاً جداً بالكاد يكفي ليزحف رجلٌ من خلاله، ولم يكن عميقاً جداً. يبدو أنه كهف صغير حميم. ارتاح الثعلب قرب الجدار يلهثُ معتقداً أنه مخفي في الظلال. ابتسم مارتن. كانت ثعلبة أنثى أصابها في خاصرتها اليسرى وثقب الفراء كاشفاً لحمها. استطاع شمَ رائحة الحديد القوية التي تنبعث من دمها. بدا جسدها كله يرتجف وهي تراقبه، منتظرة.

رفع مارتن البندقية و وجه فوهتها إلى داخل الكهف. صوّب نحو الرأس كي يتجنب إفساد الجلد.

* * * *

«أين جيرتي؟» قالت سارة وهي تركض صوب الحظيرة عندما خرج مارتن. لقد سلخ الثعلب وثبت الفرو بالمسامير حتى يجف على الجدار الشمالي للحظيرة. كان عمله فوضوياً على عكس ما تفعله سارة، لكن فعله على أي حال. لقد نجح.

رمش مارتن في وجهها متسائلاً، والثلج الساطع يؤذي عينيه بعد ظلام الحظيرة. قال: «ليست هنا». كان مرهقاً ويشعر بالبرد وفراغ الصبر... يفترض أن

مكتبة ياسمين

قتل الثعلب منحهُ شعوراً بالرضا، ولكن بدلاً من ذلك شعر بالانزعاج، ربما لأنه في النهاية لم يكن قتالاً عادلاً، فقد كان الحيوان محاصراً وخائفاً.

كانت عيون سارة غاضبة وشديدة الاهتياج. لم تكن ترتدي معطفاً، بل وقفت ترتجف في سترتها وملابسها المنزلية. تجمع الثلج في كتل كبيرة في شعرها وعلى كتفيها.

«أين كنت؟» سألته، وعيناها تتحركان فوق بنطال مارتن المغطى بالطين، ومعطفه الملطخ بدماء طرية.

«عاد الثعلب. وقتل ثلاث دجاجات. لحقت به وأطلقت النار عليه». رفع رأسه عالياً وهو يقول هذا. هل رأيتِ ما يمكنني فعله؟ يمكنني حماية أملاكنا. لدي قلبُ بطلٍ.

«لقد سلخت الثعلب». «أعتقد أنك قد تصنعين قبعة لجيرتي».

مدت سارة يدها وأمسك كمّ معطفه ولمست أصابعها الصوف الرطب. «ألم تكن جيرتي معك؟»

كل ما أراده مارتن هو دخول المنزل وارتداء ملابس جافة، وتناول الإفطار وكوباً ساخناً من القهوة. لم يكن لديه الكثير من الصبر حيالَ حاجة سارة إلى أن تكون جيرتي بجانبها في كلّ ثانية، لأنها تقترب من الذعر كلما ابتعدت الفتاة عن الأنظار لأكثر من خمس دقائق.

«لقد لحقت بك، مارتن! رأتك في الحقل فارتدت معطفها وخرجت إليك. أرادت أن تساعدك في جمع البيض».

هزّ رأسه. «لم أرها أبداً».

«حدث هذا قبل ساعاتٍ من الآن». مسحت عينا

مكتبة ياسمين

سارة الذهبتان الحقل الفارغ. كان الثلج يتساقط دون توقفٍ طوال النهار، والريح تحمله معها ببطءٍ. وبالتالي لن يبقى أي أثرٍ للخطوات من الصباح. حدَق مارتن عبر الفناء يائساً وقد هيمن عليه الذعر الآن.

لم يعرف في أي اتجاهٍ ذهبت الفتاة.

مكتبة ياسمين

مارتن

12 يناير 1908

ظلَ يفتش الحقول والغابات طوال ساعاتٍ. توقف هطول الثلج، لكن الهواء كان بارداً بشكل قاسٍ، والرياح تهب بعنفٍ وتسبب انجرافات كبيرة تمنح الفناء والحقول مظهر البحر الأبيض الذي جمدت أمواجه.

كم من الوقت يمكن لطفل أن يعيش في طقس كهذا؟ حاول ألا يفكر في الأمر وتابع السير منادياً اسم جيرتي بأعلى صوته. لم يأكل طوال اليوم ولم يشرب حتى نقطة ماء. وصار اليأس يقضم بطنه. شعر بألمٍ شديد في رأسه وأصبح من الصعب عليه التفكير بوضوح مع تصاعد شعوره بالذعر. والأهم من ذلك، إدراكه أنَ عليه أن يبقى هادئاً من أجل سارة لإقناعها بأن كلَ شيء سيكون على ما يرام.

بقيت سارة في المنزل، في حال عودة جيرتي. و مع ذلك كان بوسع مارتن أن يسمع صوتها. حتى عبر التلال، كان بإمكانه سماع صوتها اليائس ينادي «جيرتي، جيرتي، جيرتي...»، مثل ترنيمة غضبٍ تحملها إليه الرياح الهادرة. ظنَ أن أذنيه تخدعانه. سمع «ديرتي، ديرتي، ديرتي»، ثم «بيردي، بيردي، بيردي».

طرقت الأصوات رأس مارتن مثل الطبل. انهارت قدمه المصابة من فرط الأميال التي قطعها وتثاقلت حركتها بحذاء الثلج، تنزلق مرةً، وترتفع مرةً ثم تنزلق. وما من أثرٍ للفتاة.

تعثر، ونهض مرة أخرى. بيردي. بيردي.

ديرتي. ديرتي.

فكَر في الثعلب والدجاجة في فمه.

مكتبة ياسمين

الطائر الميت.

فكر في ابنته الصغيرة، وهي تتبع خطواته إلى الغابة.

جيرتي الميتة.

غطى أذنيه بيديه وانهار في الثلج. من المفترض أن يكون قادراً على الحفاظ على سلامة عائلته، وإصلاح الأمور عندما تسوء. وها هو ذا، مبللٌ، نصف متجمد، وبحاجة لإنقاذ نفسه قبل أن ينقذ غيره.

«جيرتي». صرخ بأعلى صوته. ولم يسمع سوى صوت الرياح جواباً.

وأخيراً، بعد أن غلبه الوهن وبالكاد استطاع وضع أي وزنٍ على قدمه اليسرى المعطوبة، عاد أدراجه إلى أسفل التل نحو المنزل عندما غرق قرض الشمس.

وبينما كان يصارع خطواته عبر الحقل في حذائه الثلجي، لمح سارة تخرج من الحظيرة. ملفوفة في شال خفيف، ترتجف من البرد وتسير في دوائر محمومة حول الفناء، وقد تحول صوتها إلى نعيقٍ أجش وهي تنادي: «جيرتي! جيرتي. جيرتي». لم ترتد قفازاتها فازرقت يداها وتجمدت أطراف أصابعها ونزفت إذ لطالما قضمت الجلد حول أظافرها كلما توترت.

لقد تذكر هاتين اليدين اللتين تشبثتا بيأسٍ بالطفل تشارلز حينما فارق الحياة فصار جثة باردة وازرقت شفتاه.

أشعر بقلبه الصغير ينبض.

أدرك مارتن أنهم لو فقدوا جيرتي فإن زوجته ستنهار بلا شك.

رأته فهرعت إليه بعيون جاحظة يملؤها الأمل.

مكتبة ياسمين

«هل من أثرٍ لها؟» هزّ رأسه. حدّقت إليه بصمتٍ وكأنها لا تصدق ما قاله.

تذكر الثعلب بعيونه ذات الحواف الذهبية، وكيف نظر إليه قبل أن يطلق النار عليه.

«مارتن، لم يتبق الكثير من ضوء النهار. خذ الحصان واذهب إلى المدينة. أخبر لوشيوس والمأمور داي بما حدث. اجمع الناس لمساعدتنا في البحث. اطلب منهم إحضار الفوانيس. توقف واسأل إن كانت عائلة بيمسي قد رأت جيرتي. لقد كانت تلعب مع فتاتهم شيرلي».

«سأذهب حالاً»، ووضع يده على كتفها. «ادخلي إلى المنزل. دفئي نفسك. سأعود مع المساعدة».

كان الجوع والعطش قد بلغ به حداً لا يوصف. لكن التوقف الآن، ودخول المنزل للحصول على كوب من الماء، سيكون خطأً. كيف عساه يفعل هذا وفتاته الصغيرة هناك تائهة وسط العاصفة. فكّر بأن يتوقف عند الجدول في طريقه إلى المدينة. سينزل عن ظهر الحصان ويشرب كالحيوان.

قالت سارة وهي تمسك يديه: «مارتن». صلِّ معي. أرجوك».

لم يكن مارتن يصلي من قبل. صلت سارة وجيرتي كلّ ليلة قبل النوم، لكنه لم ينضم إليهما. ذهب إلى الكنيسة كلّ يوم أحد معهما، واستمع إلى القس آيرس يقرأ من الكتاب المقدس. لا علاقة لهذا بأنه لا يؤمن بالله، بل أن مارتن لم يؤمن أبداً بأن الله قد يصغي إلى صلواته. بوجود الملايين من الناس الذين يواظبون على الصلاة كلّ يوم، لماذا على الله أن يصغي إلى صلاة مارتن شي من بلدة ويست هول في فيرمونت؟ لكنه يائس الآن ونفد منه الأمل، أومأ برأسه، ونزع قبعته، وحنى رأسه، واقفاً في

مكتبة ياسمين

الثلج خارج الحظيرة، يدا سارة بأصابعها الدامية تمسك بإحكام بأصابعه.

قالت سارة بصوتٍ أجش: «أرجوك يا إلهي». سرق مارتن نظرة إلى وجهها؛ كانت عيناها مغلقتين ووجهها متسخ وأنفها يسيل. «احرس جيرتي. أعدها لنا! إنها فتاة طيبة. إنها طفلتنا الوحيدة. احرص على سلامتها. -أرجوك، أعدها إلينا. إذا رحلت، أنا...». غاب صوت سارة.

قال مارتن منهياً الصلاة: «آمين».

ابتعدت سارة عن مارتن واتجهت نحو المنزل ورأسها لا يزال محنياً وشفتاها تتحركان كما لو أنها تواصل حديثها الخاص مع الله، تفاوضه وتتوسل إليه.

عندما فتح مارتن باب الحظيرة، سمع الحيوانات تخبره أنه لم يطعمها اليوم قطَ. والبقرة لم تُحلب. أصدرت نحيباً حزيناً عندما مرَ بالقرب منها، ولكن كان عليها الانتظار. أمسك السرج ليحمله إلى حظيرة الخيول ولكن لفت شيء نظره وجعله يقف مكانه. سمع صوت نبض قلبه في أذنيه؛ شعر بالسرج ثقيلاً بين يديه، والآن صار مبللاً بالعرق.

لقد اختفى فرو الثعلب.

كان قد علقه قبل ساعاتٍ على الجدار الشمالي للحظيرة ليجف. ثم وقف يتأمله معجباً بعمله اليدوي، وتخيل القبعة الجميلة التي ستصنعها سارة لجيرتي.

حدَق في الجدار الفارغ. لكنه لم يكن فارغاً تماماً.

ثمة شيء آخر معلَق بالمسامير. شيء يلمع في بقايا الضوء الذي يتسلل من النافذة. جفَت أنفاسه في حلقه وهو يتقدم إلى الأمام ليتحقق مما رآه.

مكتبة ياسمين

سقط السرج من يديه.

وجد هناك خصلة شعرٍ شقراء مسمرة على الألواح الخشبية الخشنة.

إنه شعر جيرتي.

انقبضت معدته، وانحنى على نفسه وراح يتقيأ.

شعر بأن رأسه يُطرق ما بين المطرقة والسندان. أمسك به بكلتا يديه، وأطراف أصابعه تضغط على صدغيه.

نظر إلى الأسفل، ورأى الدم على ملابسه من سلخ الثعلب.

«مارتن؟»

ابتلع لعابه بقوة والتفت إلى سارة التي وقفت في المدخل. كانت تمشي نحوه ببطء. نهض بسرعة ووقف ليحجب منظر شعر ابنته.

«ماذا تفعل؟»

«كنت... أحضر السرج».

وللمرة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم، صلى من أعماقه: من فضلك، يا الله، لا تدعها ترى الشعر.

لم يتمكن من السماح لسارة برؤية الشعر؛ فهذا من شأنه أن يدمرها. كان عليه أن يخفيه، أو أن يرميه في الجدول ليحمله بعيداً.

قالت سارة: «أسرع». «سيحل الظلام قريباً». وغادرت الحظيرة لحسن الحظ.

استدار مارتن مرتعشاً وحاول فك الخصلة السميكة من الشعر الأشقر. سحبها من المسمار الصدئ وحشرها في جيبه.

وضع السرج على الحصان وقاده خارج الحظيرة عبر الثلوج العميقة. لن يتمكن من السير بسرعة، وأمل في أن يكونوا قد مهدوا الطرق الرئيسية الآن.

مكتبة ياسمين

حدّث مارتن نفسه قائلاً إن من الممكن أن حيواناً جاء إلى الحظيرة وسحب فرو الثعلب. ربما ذئبٌ أو كلبٌ ضال. لكنه مد يده إلى جيبه ولمس خصلة الشعر السميك. لم يجد تفسيراً لوجود شعر جيرتي معلقاً على هذا المسمار.

«مارتن؟»

كانت سارة مرة أخرى، تنتظر في الخارج على يسار الباب المفتوح، تهتز ذهاباً وإياباً، وتقضم الجلد حول أظافرها. كانت عيناها متوحشتين و محمومتين. «يجب أن تدخلي سارة. أنت لا ترتدين ملابس كافية للخروج من المنزل في طقس كهذا».

أومأت برأسها، والتفتت نحو المنزل، وتوقفت. «مارتن؟» «نعم». شعر باختناق في حلقه. هل رأتِ الشعر؟ «هذا بسبب الخاتم».

«ماذا؟»

لم تكن تنظر إليه بل كانت تنظر إلى الثلج عند قدميها. «الخاتم الذي وجدته في الحقل. ذلك الذي حاولت إعطائي إياه في عيد الميلاد. أعلم أنه لا يزال بحوزتك».

كانت تعرف طوال الوقت أنه يحتفظ بالخاتم. وأنه كان أنانياً جداً ولم يدفنه كما طلبت منه. وها هو الآن ضحية كذبته. لم يتكلم.

خرجت أنفاس سارة في نفخات بيضاء من البخار. كانت بشرتها شاحبة وشفتاها زرقاوين من البرد. «لقد أخطأت حين أخذته. لقد حذرتك ألا تحتفظ بأيّ شيء تجده هناك. يجب أن تتخلص منه، مارتن. عليك إعادته إلى مكانه».

«أعيده؟»

«خذه إلى الحقل وادفنه. هذه الطريقة الوحيدة

مكتبة ياسمين

لاستعادة جيرتي».

حدق بها مذهولاً. ليست جادة بالتأكيد. لكن وجهها أخبره أنها كذلك. لطالما تصرفت سارة بغرابةٍ بشأن الحقل والغابة، نبهته من ضرورة توخي الحذر هناك، وأن يتجنب الحرث بالقرب من الصخور، وألا يحتفظ بأي شيء يعثر عليه هناك. ظنَّ أنها خرافات عائلية قديمة. لكن فكرة أن جيرتي مفقودة لأنه احتفظ بخاتمٍ عثر عليه هناك، كانت غير معقولة. بل مجنونة، حتى.

«اذهب وافعل ذلك الآن، قبل أن تذهب إلى البلدة. من فضلك، مارتن».

تذكر ما قاله له لوشيوس عندما ذكرت سارة تعويذتها بعد وفاة تشارلز الصغير: «يجب ألا تجادل أبداً شخصاً يعاني من نوبة جنون. لن يؤدي ذلك إلا إلى زيادة الأمور سوءاً».

أومأ مارتن إلى سارة، وأدار حصانه في اتجاه الحقول.

ذهب إلى المكان الذي وجد فيه الخاتم في الزاوية الخلفية من الحقل البعيد، مقابل صفّ الأشجار. نزل عن حصانه، التفت إلى الوراء ونظر نحو المنزل حيث وقفت سارة وبدت مجرد ظلّ صغير.

خلع قفازاته المبللة ومدّ يده إلى الجيب الأمامي الأيمن لسرواله. لم يجد الخاتم هناك. بحثت أصابعه بشكل محموم. ربت على جيبه الأيسر. لا شيء. ولم يجد في جيب معطفه الأيسر سوى عدد قليل من طلقات البندقية. ثم، في جيب المعطف الأيمن، لمست أصابعه خصلة الشعر. ارتجف من هول الأمر.

يجب أن يكون الخاتم هناك! لقد وضعه في جيبه هذا الصباح. وتذكر أن أمسك به عندما كان في الخارج يصطاد الثعلب. كان في جيبه حينها، إنه

مكتبة ياسمين

متأكد من ذلك.

كانت سارة لا تزال تراقبه، وذراعاها متقاطعتان فوق صدرها. تأرجحت قليلاً في مهب الريح، مثل قطعة من العشب الطويل اليابس.

غمر العرق جبين مارتن على الرغم من البرد.

مدَ يده مرة أخرى إلى الجيب الأيمن من معطفه الصوفي، ولمس خصلة الشعر الملتف مثل ثعبان ناعم.

نزل على ركبتيه، وبدأ يحفر بأصابعه. حفرَ بقدر ما يستطيع بأصابعه المخدرة، حتى اصطدم بطبقة من الجليد السميك الذي لم يستطع اختراقه. ركل الجليد بطرف حذائه، وواصل الحفر. وعندما لم يتمكن من الحفر إلى عمقٍ أكبر، وضع الشعر في الداخل، وأعاد ملء الحفرة بالثلج. مسح يديه المجمدتين بسرواله، ومشى عائداً إلى الحصان المرتجف. رمقه بنظرةٍ مثيرة للشفقة.

«هل دفنته؟» سألت سارة، عندما مرَ بها في طريقه إلى البلدة.

أومأ برأسه، لكنه لم يستطع النظر في عينيها. «ادخلي ودفئي نفسك. سأعود مع المساعدة».

مكتبة ياسمين

زوّارٌ من الجانب الآخر

اليوميات السرية لسارة هاريسون شي

13 يناير 1908

إنّ كلارنس بيمسي هو من وجدها في الصباح الباكر بعد أربع وعشرين ساعة تقريباً منذ أن نزلت من سريرها لتلحق بوالدها.

عندما دخل الرجال الثلاثة، كلارنس ومارتن ولوشيوس، إلى المنزل، في الساعة الثامنة وعشر دقائق صباحاً، عرفت من وجوههم. وددت لو أطردهم. وأغلق الباب. أخبرهم أنهم مخطئون وأنّ عليهم الاستمرار في البحث، لا يمكنهم العودة حتى يحضروا لي ابنتي الصغيرة على قيد الحياة وبصحة جيدة.

كرهت الرجال الثلاثة آنذاك؛ كلارنس بملابسه وشعره الطويل الأشعث ورائحة الويسكي النتنة تفوح منه؛ ولوشيوس بوجهه الجاد وحذائه الأنيق وشاربه المشذَب بعناية؛ ومارتن الذي دخل وهو يعرج ويحني كتفيه بهيئته المنهكة المثيرة للشفقة.

ارحلوا، كم وددت قول ذلك. اخرجوا من بيتي.

أردت أن أعود بالزمن إلى الوراء، وأبقي جيرتي ملفوفة بين ذراعي هانئة ودافئة تحت الأغطية.

لفني مارتن بيده وطلب مني الجلوس.

قال: «لقد عثرنا عليها»، وغطيت فمي لاعتقادي بأنني سأصرخ ولكن لم يصدر أي صوت.

وقف الرجال الثلاثة متجمدين، قبعاتهم في أيديهم، ست عيون حزينة تنظر إلي.

* * * *

هناك بئر قديم على الحافة الشرقية البعيدة

مكتبة ياسمين

لممتلكات ال بيميس، كان قد جف منذ سنوات. أتذكر أنني ذهبت مع عمتي إلى هناك مرةً عندما كنت طفلةً بعمر جيرتي تقريباً، لنرمي الحجارة ونستمع إلى صوتها وهي ترتطم بالقاع. انحنيت أمام الحافة الحجرية الخشنة وحاولت رؤية القاع، لكنه كان مظلماً جداً. وتخرج منه رائحة رطبة وشعرت لبرهةٍ بما يشبه النسيم البارد.

«ما عمقة برأيك؟» سألتْ العمة.

ابتسمت. «ربما يمتد ليصل إلى الجانب الآخر من العالم».

قلت لها: «هذا مستحيل».

قالت وهي تلقي بحصاة أخرى: «أو ربما تصل إلى عالمٍ آخر تماماً».

انحنيت أكثر علَني أرى شيئاً، فأمسكت العمّة بظهر فستاني وسحبتني إلى الخلف. «احذري، سارة. مهما كان المكان الذي تصل إليه، لا أعتقد أنَه مكانٌ تودين البقاء فيه».

قال كلارنس إنه وجد جيرتي تتكور على نفسها بلطفٍ، كما لو أنها نامت للتوَ.

قال لوشيوس بصوتٍ منخفض وهادئ وهو يضع يده فوق يدي: «لم تعان». كانت يده ناعمةً طرية، وخالية من الندوب والجروح. كان هناك عندما سحبوا جيرتي، وشعرت أن هذا خطأ فادح، إذ كيف يكون لوشيوس موجوداً هناك عندما أخرجوها ولا أكون أنا! أرسلوا جيرمايا بيميس إلى أسفل البئر مربوطاً بحبلٍ، وربطها حول خصرها. أغمضت عيوني. حاولت ألا أتخيل جسدها الصغير يتأرجح ويصطدم بجدار البئر الخشن وهم يرفعونها خارج الظلام.

مكتبة ياسمين

قال لوشيوس: «ماتت على الفور»، كما لو أنَّ كلامه يخفف من ألمي.

لكنه مخطئ. لأنني لا أتوقف عن التفكير أفكر في تلك الأحجار التي رميتها ذات مرةٍ، وكم من الوقت احتاجت لتصل إلى القاع.

أتخيل كيف سقطت.

محاطة بدائرة من الحجارة، تسقط وتسقط وسط الظلام.

مكتبة ياسمين

روثي
الآن

2 يناير

كانت ندفُ الثلج تدور وتنجرف وتتراقص تحت ضوء المصابيح الأمامية لشاحنة باز. تغلبت الإطارات المزودة بمسامير على تكدس الثلج، لكنها تجاوزت المنعطفات بسرعة كافية جعلتها تقترب بشكل خطير من أكوام الثلج العالية التي تصطف على جانبي الطريق الترابية ذات المسار الواحد.

قالت روثي: «أطفئ المصابيح»، لأنهم اقتربوا الآن، ولم تكن تريد أن تعرف والدتها أنها خرجت رغم حظر التجول مرةً أخرى. كانت في التاسعة عشر من عمرها. من تظنّ أمها نفسها على أي حال حتى تفرض على روثي حظرَ تجولٍ لعين؟

مدت روثي يدها وأمسكت زجاجة شراب النعناع التي وضعها باز بين ساقيه، وأخذت منها رشفةً كبيرة. بحثت في جيوب سترتها، أخرجت قطرة فيزين، وأمالت رأسها للخلف لتقطر ثلاث قطرات في كلِّ عين.

كانا في الخارج يحتفلون في حظيرة تريسر ويقضون على ما تبقى من شرابٍ من حفلة ليلة رأس السنة الكبيرة. حضرت إيميلي الحشيش، واجتمعوا حول سخان الكيروسين، يتحدثون عن بشاعة فصل الشتاء وكيف سيتغير كلّ شيء في الربيع. لقد تخرجوا جميعاً في يونيو الماضي، وها هم عالقون في البلدة اللعينة ويست هول، فيرمونت، الثقب الأسود لمركز هذا الكون. رحل جميع أصدقائهم إلى الكلية، أو انتقلوا إلى مدن كبيرة في أماكن دافئة مثل ميامي وسانتا كروز.

مكتبة ياسمين

حاولت روثي أن تحذو حذوهم أيضاً. لقد تقدمت بطلب إلى كلياتٍ في كاليفورنيا ونيو مكسيكو حيث توجد برامج جيدة لإدارة الأعمال، لكن والدتها قالت إن الأمر صعبٌ في الوقت الحالي لأنهم لا يملكون المال.

لقد عاشوا دائماً في الحضيض، يكسبون قوت يومهم من بيع الخضروات والبيض في سوق المزارعين. باعت والدتها الجوارب والقبعات المحبوكة يدوياً هناك أيضاً وفي متاجر الحرف اليدوية والمعارض في جميع أنحاء الولاية. كانت والدتها خبيرة في المقايضة. لم يشتروا أي شيء جديد، وإذا انكسر شيء ما، فلا بدَ من إصلاحه بدلاً من استبداله. لقد تعلمت روثي في سن مبكرة ألا تتوسل من أجل أشياء لا يستطيعون شراءها. كما أن طلبَ نوعٍ معين من الأحذية الرياضية أو السترة لمجرد أن الأطفال الآخرين في فصلها يرتدون مثلها، يجعلها تلقى نظرةً غاضبة ملؤها الرفض وخيبة الأمل من والديها اللذين يذكرَانها بأن لديها أشياء لطيفة تماماً «حتى لو أنها جاءت من متجر التوفير وكان اسم بعض الأطفال الآخرين مكتوباً داخلها».

قررت والدة روثي أن من الأفضل لو بقيت روثي في ويست هول وارتادت كلية المجتمع لمدة عام؛ حتى أنها عرضت أن تدفع لروثي مقابل مساعدتها لها في تجارة البيض. أصبحت مهمتها الآن هي متابعة الحسابات وإطعام الدجاج كلَ يوم وجمع البيض والحفاظ على نظافة الحظيرة.

«تريدين دراسة إدارة الأعمال، أليست هذه أفضل طريقة عملية للتعلم؟» سألت والدتها.

«إن بيع البيض في سوق المزارعين ليس بالضبط ما كنت أفكر فيه».

مكتبة ياسمين

«حسناً، إنها البداية وحسب. وبعد رحيل والدك، أنا بحاجة لمساعدة إضافية»، قالت والدتها. «في العام المقبل، يمكنك إعادة تقديم الطلب في أيِّ مكان تشائين. سأساعدك في دفع المال».

قالت روثي، إن هناك قروضاً طلابية ومنحاً دراسية قد تكون مؤهلة لها، لكن والدتها لم تملأ الأوراق، لأنها كانت مجرد طريقة أخرى للتحكم بها من قبل الجهات الرسمية. لا يمكن الوثوق بالفيدراليين، حتى عندما يقرضون المال لطلاب الجامعات. سيجبرونك على الخضوع لنظامهم، النظام الذي عملت والدتها ووالدها بجدّ للبقاء متحررين منه.

قالت والدتها: «كانت الأمور ستختلف لو كان والدك معنا». تدرك روثي أن هذا صحيح، على الرغم من أنها شعرت بالقلق، إذ كلما تحدثت والدتها عنه تجعل الأمر يبدو كما لو أنه ذهب في رحلة، وتركهم عمداً، ولم يلق حتفه بسبب نوبة قلبية قبل عامين. لو أنَّ والدها لا يزال على قيد الحياة، لكانت الآن في الجامعة. كان والدها يفهمها كما لم يفهمها أي شخص آخر، وأدرك كم كانت ترغب بالابتعاد عن هذا المكان. كان سيجد طريقة لتحقيق ذلك.

«هل الأمر بهذا السوء؟» سألت والدتها، وهي تربت على شعر روثي الداكن الأشعث. «البقاء في المنزل لمدة عام آخر؟»

نعم، بالطبع هذا ما أرادت روثي أن تقوله. نعم! نعم! نعم!

لكنها فكرت في باز، الذي لم يتقدم حتى بطلب للدراسة في الكلية بل انخرط على الفور في العمل لدى عمه في ساحة الخردة المعدنية. لقد كان عملاً سيئاً، لكن باز تمكن دوماً من جني المال ووجد

مكتبة ياسمين

الكثير من القطع الرائعة لمنحوتاته - هذه الوحوش المدهشة والمجسمات الفضائية والروبوتات المصنوعة من أجزاء السيارات الملحومة معاً وآلات المزرعة المعطلة. كانت الساحة الأمامية لمخزن عمه مليئة بإبداعات باز. حتى أنه جنى القليل من المال ببيع بعضها للسياح.

قابلت باز في السنة الدراسية الأخيرة خلال حفلة كبيرة في بلدة كرانبيري ميدو. حدث ذلك في أوائل أكتوبر حين اقترحت إيميلي الذهاب إلى الحفلة لأنها معجبة للغاية بفتى يدعى آدم تخرّج في العام السابق، وسمعت إيميلي أنه سيكون هناك. اتضح أن آدم جاء إلى الحفلة مع ابن عمه باز، وعلى نحوٍ ما انتهى الأمر بأربعتهم ينسحبون بعيداً عن النار قرب البركة ويصعدون إلى المقبرة. تبادل آدم وإيميلي القبل تحت صليبٍ من الجرانيت في حين أجبرت روثي محرجةً على تبادل أطراف الحديث مع باز، وشعرت بالغضب من إيميلي لإقحامها في هذا. قال باز إن والده وعمه يعيشان في ويست هول، لكنه كان يعيش مع والدته في بلدة باري ويرتاد المدرسة هناك. وقد التحق بمعهد باري التقني، في برنامج السيارات.

«لا بأس بالسيارات»، قال لها مبتسماً بينما راحا يحتسيان الجعة الرخيصة من الأكواب البلاستيكية. «أعتقد أنني بارعٌ في إصلاح الأشياء. أنا في فريق صيانة سيارات السباق لدى ابن عمي آدم، إنه يشارك في سباق ثاندر رود. هل سبق لك أن حضرت سباق ثاندر رود؟»

هزت روثي رأسها وبدأت تخطو مبتعدة بعد أن قررت أن تترك إيميلي وتعود إلى النار قرب البحيرة. لم يثر اهتمامها صاحب رأس الترس الأحمر هذا

مكتبة ياسمين

حتى لو كان لطيفاً.

قال باز: «لا ». «لا أعتقد أنك تعرفينه. ماذا عن يد الشيطان؟ هل ذهبت إلى هناك من قبل؟»

أوقفها سؤاله.

قالت: «أقطن بجوارها».

«أتمزحين؟ إنه مكان غريب لعين. يبدو كأن الصخور وضعت هناك من قبل شخص ما، أليس كذلك؟» انحنى باز على شاهد قبر مغطى بالأشنات.

هزت روثي كتفيها. لم تفكر في الأمر بهذه الطريقة من قبل.

«هل تؤمنين بوجود الفضائيين؟» سألها.

«تعني، من الفضاء الخارجي؟ مممم.. لا».

نظر باز إلى كأس الجعة في يده. «حسناً، شخصياً، هذه نظريتي حول وصول تلك الصخور إلى هناك. أزور المكان دائماً. أنا في الواقع أصنع منحوتة له في متجر عمي. عليك المجيء لرؤيتها».

«منحوتة؟» سألته وهي تقترب مرة أخرى. أمضيا بقية الليل يتحدثان عن الفن والأطباق الطائرة وإيجابيات وسلبيات الحصول على شهادةٍ في إدارة الأعمال، والأفلام التي شاهداها، وكيف شعرا بأنهما عالقان مع عائلتين تسيء فهمهما تماماً. تجولا حول المقبرة، وتحققا من الأسماء والتواريخ على الحجارة، في محاولة لتخيل أنواع الحياة التي عاشها هؤلاء الناس، وكيف ماتوا.

قال باز وهو يدير أصابعه فوق أحرف على شاهدة جرانيت عادية: «انظري إلى هذه». «هيستر جيمسون. كانت في التاسعة من عمرها عندما ماتت. مجرد طفلة. مؤلمٌ جداً، صحيح؟»

لقد ظلّا معاً منذ تلك الليلة. بدا لها أن من الصواب

مكتبة ياسمين

البقاء معه لمدة عام اخر، لا سيما في لحظاتٍ مثل هذه، عندما يجلسان جنباً إلى جنب في كابينة شاحنته منتشين وثملين ودافئين، يتجولان في الظلام وكأن ما من شيء يمكن أن يقف في وجههما.

«لا تعتقدين أن والدتك مستيقظة، أليس كذلك؟» سأل باز. قالت روثي: «آمل أنها نائمة».

«نعم، وإلا غضبت كثيراً».

ضحكت روثي، لكنها تعلم أنه على حقّ.

لم تكن والدتها فقط، بل كانت المدينة بأسرها قلقة ومتوترة، وتحرص على حبس أطفالها في الداخل طوال الليل. ففي أوائل ديسمبر، اختفت فتاة في السادسة عشرة من عمرها تدعى ويلا لوس دون أن تترك أثراً، وذلك أثناء عودتها من منزل صديقتها الذي يبعد نصف ميلٍ سيراً على الأقدام. وقبل ذلك مباشرةً، عُثر على خروفين وبقرة وقد قطعت أعناقها. وبالطبع، قبل ذلك كانت هناك حالات اختفاء أخرى، إذ اختفى صبي عام 1952 بعد أن شاهده أصدقاؤه يزحف داخل كهف ولم يستطع أحد العثور عليه بعد ذلك، واختفى صيادٌ عام 1973 بعد أن انفصل عن أصدقائه ولم يعد أبداً إلى المخيم، والحادثة الأكثر شهرة، اختفاء فتاة جامعية عام 1982 عندما ذهبت للتنزه مع صديقها. حيث خرج الشاب من الغابة وحده، مشلولاً ومضرجاً بالدماء. لم يستطع أبداً أن يخبر الناس بما حدث، واتُهم بقتلها على الرغم من عدم العثور على الجثة. وفي النهاية، اعتبر مجنوناً وأرسل إلى مستشفى حكومي.

أطلق عليها الناس اسم «مثلث ويست هول». وجرى الحديث عن طوائف شيطانية، وقاتل منحرف، وباب إلى بعدٍ كوني اخر، وبالطبع، الفضائيين، مثل يعتقد باز وأصدقائه.

مكتبة ياسمين

في حين رأت روثي أن الأمر كله مجرد ترهاتٍ. لم تجد تفسيراً لمقتل الماشية، لكنها خمنت أن البقية كانت مجرد عبث أطفال ضجرين. ربما أضاع الولد الصغير والصياد طريقهما في أنحاء الغابة الشاسعة. قد يضيع المر ويشعر بالبرد، فيبحث عن مكانٍ دافئ يلجأ إليه، وفجأة يجد نفسه بين أنياب ذئبٍ جائع. ومن الواضح أن فتى الكلية جنَّ جنونه وقتل حبيبته، حكاية مأساوية لكنها واردة.

أما ويلا لوس. حسناً، ربما واصلت السير في تلك الليلة، وخرجت إلى الطريق السريع وركبت مع سائق شاحنةٍ يتجه غرباً، لتهرب إلى أيِّ مكانٍ آخر غير هذا المكان. ألم تمض روثي نفسها سنواتٍ تتخيل كيف تفعل الشيء نفسه بالضبط؟ هل من طفلٍ في ويست هول لم يتخيل هذا؟ لم يكن ثمة شيء هنا يدفعك إلى البقاء؛ بل أصغر متجر بقالة في العالم، ومتجر معداتٍ قذر، ومكتبة لطيفة، ومقهى يغالي في أسعاره، ومتجر تحفٍ مليء بالهراء الغريب الذي تأكله العث، وقاعة رقص متهالكة تستخدم في الغالب من قبل السيدات المسنات اللواتي يلعبن البنغو وحفلات الزفاف العرضية. أما سوق المزارعين يوم السبت فهو الحدث الأكثر إثارة كلَّ أسبوع.

مدت يدها واحتضنت يد باز، شبكت أصابعها بأصابعه الخشنة القاسية الملطخة دوماً بالدهان الأسود والشحوم مهما حاول غسلها. تأملته في الضوء الخافت المنبعث من لوحة القيادة. كان يضع قبعة بيسبول تحمل وجه كائن فضائي، وتظهر عيناه من تحت حافتها تحدقان بتركيزٍ في الطريق الثلجي، ويرتدي سترة عمل بالية امتلأت جيوبها بجميع أشيائه: السجائر والولاعة وأداة ليذرمان

مكتبة ياسمين

متعددة الاستخدامات، ومنديل، ومناظير صغيرة، ومصباح صغير على شكل قلم، وهاتف خلوي.

كانت هذه أوقاتها المفضلة معه، عندما يجلسان بمفردهما في شاحنته. وحين يصحبها معه إلى الجبال لصيد الأطباق الطائرة. كان يركن السيارة لساعاتٍ، ويتشاركان ترمساً من القهوة أو ست عبواتٍ من جعة لونغ تريل، بينما يروي لها عما رآه وصديقه المفضل، تريسر، مرةً خلف مزرعة بيمسي. لقد شاهدا ضوءً غريباً يومض وينبض، يبدأ من ناحية الصخور، ثم ينتقل إلى حقل الذرة. ثم ادعى أنهما شاهدا مخلوقاً صغيراً يطير تقريباً بين سيقان الذرة، كان شاحباً وسريعاً، حركاته سريعة وغير منتظمة جداً بالنسبة لأي إنسان.

أقسم باز: «أعرفُ تماماً ما رأيت». «لقد كان كائناً فضائياً. رمادي اللون. كان تريسر هناك معي، لقد رآه أيضاً. كان قصيراً جداً، بطولِ أربعة أقدامٍ أو نحو ذلك، ويرتدي رداءً يشبه العباءة الطويلة التي تتطاير وراءه عندما يركض. أراهن على أنه هو من قتل تلك الأغنام والأبقار. إنهم يستخدمون الماشية لإجراء التجارب، يستنزفون دماءهم ويزيلون أعضاءهم بدقةٍ جراحية ولا يمكن لأي حيوان أن يفعل شيئاً من هذا القبيل».

كان تريسر رجلاً صالحاً، لكن روثي لم تفهم كيف يمكن لفردٍ واحد أن يدخن كمية الحشيش التي يدخنها ويبقى صاحياً. لم يكن لديها شك بأنهما شاهدا الفضائي الرمادي الصغير بعد استنشاق جرعات وفيرة من الحشيش في شاحنة باز.

ومع ذلك، وبعيداً عن قصة باز، كان هناك الكثير من الحديث المخيف عن الغابة ويد الشيطان.

«أوه»، صاح باز عندما وصلا إلى أسفل الطريق إلى

مكتبة ياسمين

منزل روثي.

«عظيم»، تأففت روثي وهي تنظر لأعلى لترى أن مصابيح المطبخ وغرفة المعيشة مضاءة، والضوء يتدفق من خلال النوافذ. لم تكن والدتها نائمة. مدت روثي يدها إلى جيبها مرة أخرى وأخرجت علبة أقراص النعناع ومضغت ثلاثة منهم لتتخلص من رائحة الشراب في أنفاسها. رفعت كمها، وضغطت على الزر الموجود على ساعتها الرقمية الكبيرة فأضاءت الشاشة الصغيرة: 1:12 صباحاً 2 يناير. إنها في ورطة كبيرة.

اقتربت روثي وأعطت باز قبلة قوية. كان طعمه مثل الحشيش والشراب. قالت: «تمن لي الحظ».

قال لها وهو يغمز: «حظاً طيباً». «اتصلي بي غداً وأخبريني عن العواقب».

فتحت روثي الباب وقفزت من السيارة، فغرق حذاؤها في الثلج الطازج بعمق أربع بوصات. سارت ببطءٍ نحو المنزل، سارت بحذر شديد لشخصٍ ثملٍ يحاول ألا يترنح، وحاولت استنشاق جرعات كبيرة من الهواء البارد المنعش المفعم برائحة دخان حطب المدفأة. ما كان عليها أن تشرب المزيد من الشراب مع الجعة. حشيشة إيميلي القاتلة لم تساعد أيضاً. صفعت وجهها بيديها المغلفتين بالقفازات السميكة. استفيقي. استفيقي. استفيقي.

أمها ستأكلها حيّة. ستعاقبها عقاباً شديداً. ولن تسمح لها برؤية باز طوال شهر.

شقت روثي طريقها إلى الباب الأمامي، وأبقت عينيها على النوافذ. لم تر أي حركةٍ في الداخل. من المستحيل أن تخلد والدتها إلى الفراش دون إطفاء المصابيح، فإهدار الكهرباء جريمة خطيرة في منزلهم.

مكتبة ياسمين

أخذت نفساً عميقاً أخيراً وفتحت الباب الأمامي ببطءٍ، ودخلت بعد أن أغلقت الباب خلفها، واستعدت للهجوم. لكنها لم تجد والدتها بانتظارها.

تجمدت وأصاخت السمع.

لم تسمع صوت خطوات. ولا حتى السؤال المعتاد: هل لديك أدنى فكرة عن الوقت الآن، يا فتاة؟

كان المنزل غارقاً في النوم. وهذا رائع حتى الآن.

نفضت روثي ثوبها ونزعت حذاءها. تسللت بهدوء إلى المطبخ وشربت كوباً من الماء وهي تستند بتثاقل على المنضدة، وتحمي عينيها من وهج الضوء العلوي الساطع. وجدت أطباق العشاء مغسولة وموزعة في مكانها، ولكن هناك كوب مليء بالشاي على الطاولة. لمسته. فوجدته بارداً كالحجر. بجانب الشاي هناك شريحة من فطيرة التفاح ينقصها قضمة واحدة، ووضعت الشوكة على جانب الطبق. لا يمكن أن تفوت روثي قطعة من فطيرة والدتها أبداً، بل التهمتها ووضعت الطبق في الحوض.

****

أطفأت المصابيح وذهبت إلى غرفة المعيشة لإطفاء ذلك المصباح أيضاً. كان حطب الموقد قد احترق وصار رماداً. ألقت فوقه بضع قطع من الحطب لتبقي المدفأة مشتعلة طوال الليل، وتوجهت إلى سريرها.

بينما راحت تتسلق الدرج بأقصى قدر من الهدوء مستندة على الدرابزين للحفاظ على توازنها، ورأسها يدور بفعل الشراب القوي، خطرت لها فكرة سعيدة أنستها كلَ شيء آخر؛ كانت حرة في المنزل. كادت أن تضحك بصوت عالٍ.

مكتبة ياسمين

في منتصف الطريق، خطت في بركة صغيرة وتوقفت. كان هناك العديد من البرك القذرة على الدرج الخشبي. يبدو أن أحدهم صعد دون أن يخلع حذائه. انزعجت روثي من بلل جواربها، وصعدت بقية الدرج إلى القاعة المغطاة بالسجاد. كان باب غرفة والدتها موصداً، ولا يوجد ضوء تحته.

في حين كان باب غرفة فون مفتوحاً، وسمعت صوت تنهد شقيقتها الصغيرة أثناء نومها. خرج روسكو من غرفة فون وسار نحو روثي مصدراً أصواتاً كالخرخرة وذيله المنفوش الكبير يلوح في الهواء مثل لافتة تطالب بالحبّ.

ابتسمت روثي للقط الرمادي وهمست: «تعال أيها العجوز»، وانزلقت إلى غرفتها والقطة تسير خلفها مباشرة. لم يكن سريرها مرتباً، ويعلو مكتبها كومة من فوضى الكتب المدرسية والأوراق من الفصل الدراسي الذي انتهى للتو، كتب اللغة الإنجليزية ومقدمة في علم الاجتماع وحساب التفاضل والتكامل وتطبيقات الكمبيوتر الدقيق الجزء الأول. وعلى الرغم من أنهم لم ينشروا الدرجات حتى الآن، عرفت أنها تفوقت في جميع المواد الدراسية، حتى لو كانت مملة.

من السهل جداً أن يحصل فأر التجارب على معدل 4.0. لطالما اشتكت لوالدتها من أنه تعليمٌ ضعيف المستوى. «هل هذا ما تريدين أن أتعلمه؟»

أجابت والدتها الجواب الذي بات تعويذة مألوفة الآن: «اصبري لمدة عام واحد فقط».

أجل.

أغلقت روثي الباب، ونزعت الجينز وجواربها الرطبة، وزحفت إلى السرير. استقر روسكو بجانبها، وعجن البطانيات، ودار مرة ومرتين وثلاث مرات

مكتبة ياسمين

قبل أن يستلقي ويغمض عينيه.

حلمت بفيتزجيرالد مجدداً. مخبز صغير ذو نوافذ ضبابية تفوح منها رائحة الخبز الطازج والقهوة. وهناك منضدة طويلة مع واجهة زجاجية وقفت أمامها طوال ساعات، تحدق في صفوف من الكعك وفطائر التفاح والبسكويت المغطى بالسكر الملون الذي يتلألأ مثل المجوهرات.

«ماذا تختارين يا حمامة؟» سألت والدتها. أمسكت بيد روثي الصغيرة بإحكامٍ. كانت والدتها ترتدي قفازات ناعمة من جلد البقر. أشارت روثي إلى يدها الأخرى، لطخت أصابع الفتاة الصغيرة السمينة الزجاج.

كعكة مع كريمة زهرية.

ثم رفعت روثي نظرها لترى والدتها تبتسم، وهذه كانت اللحظة الوحيدة التي كان فيها الحلم مضحكاً دائماً، لأن المرأة التي تقف فوقها لم تكن والدتها على الإطلاق. كانت امرأة طويلة ونحيلة تضع نظارات سميكة على شكل عيون القطط.

قالت المرأة وهي تمسّد شعرها: «اختيار جيد يا حمامة».

ثم تغيّر الحلم، كما هو الحال في كثير من الأحيان، ووجدت نفسها في غرفة مظلمة صغيرة مع وميض ضوءٍ خافت. كان هناك شخص آخر معها؛ فتاة صغيرة ذات شعر أشقر ووجه قذر. بدا أن الغرفة تصبح أصغر فأصغر ولم يكن هناك هواء كافٍ؛ كانت روثي تلهث من أجل التنفس، وتبكي.

فتحت روثي عينيها. كان روسكو يخنقها وجسده الدافئ والثقيل يلتف على أنفها وفمها.

«ابتعد عني، أيها الأحمق»، تمتمت روثي بغضب،

مكتبة ياسمين

وهي تدفعه بعيداً.

لكنها لم تكن القطة. كانت ذراع أختها بمنامتها الناعمة. شعرت روثي بألم شديد في رأسها وكانت أنفاسها تشبه رائحة فضلات القطط. لم تكن في مزاج جيد لاستقبال الزوار في هذا الوقت المبكر.

«ماذا تفعلين هنا؟» صاحت روثي. كان سريرها المزدوج مزدحماً بما فيه الكفاية دون أختها الصغيرة التي كانت تمارس الألعاب البهلوانية أثناء نومها، وغالباً ما تستيقظ ورأسها عند نهاية سريرها. تزحف فون أحياناً إلى سرير والدتها ليلاً، لكنها لم تأت إلى سرير روثي منذ فترة طويلة.

لم تجب فون. أفسحت لها روثي قليلاً لتجد أن الفراش كان دافئاً ورطباً.

«يا إلهي». صرخت. «هل تبوّلت في سريري؟» مدت يدها. كان الفراش مبللاً. وكذلك كانت منامة أختها الصوفية. أبقت فون عينيها مغلقتين متظاهرة بالنوم. لكن روثي دفعتها وحاولت إخراجها من السرير.

قالت: «اذهبي وأيقظي أمي».

نامت فون على بطنها ودفنت وجهها في الوسادة. «لا..يع»، تمتمت.

«ماذا؟» سألت روثي ولفت أختها نحوها لمواجهتها.

«قلت، لا أستطيع». صار وجه فون متوهجاً ويتصبب عرقاً. ضربت رائحة البول رأس روثي بقوة مما جعل معدتها تنقلب.

«لم لا؟»

«إنها ليست هنا. لقد رحلت».

ألقت روثي نظرة خاطفة من فوق فون إلى المنبه.

مكتبة ياسمين

كانت السادسة والنصف صباحاً. نادراً ما استيقظت والدتها قبل السابعة، ناهيك عن الخروج من المنزل. كانت بحاجة إلى ثلاثة أكواب من القهوة قبل أن تتحدث صباحاً حتى.

«ما قصدك بأنها رحلت؟»

هدأت فون لبرهةٍ ثم نظرت إلى روثي بعيونٍ جاحظة. قالت: «يحدث هذا في بعض الأحيان».

قالت روثي وهي تخرج من السرير الرطب: «لا بد أنك تمزحين». لمست قدميها العاريتين الأرض الباردة. لقد انطفأت النيران في المدفأة. ألقت بسترة على كتفيها، وارتدت سروالاً دافئاً.

أسرعت روثي إلى غرفة والدتها. شعرت بالغثيان، وعندما تجشأت شعرت بطعم الشراب في حلقها. تساءلت عما إذا كانت لا تزال ثملة قليلاً ومنتشية، فشعرت بالغرابة مما هي فيه. وضعت يدها على المقبض وفتحتها ببطء، دون أن ترغب في أن يوقظ صرير المفصلات والدتها. ولكن عندما فتح الباب، رأت فقط السرير مرتباً بعناية.

همست فون: «لقد أخبرتك». لقد وقفت خلف روثي في الردهة.

قالت روثي وعيناها مثبتتان على سرير والدتها الفارغ: «اذهبي ونظفي نفسك وارتدي ملابسك». وقفت لمدة دقيقة، تترنح قليلاً، بينما خرجت أختها بهدوء من الردهة.

«ما الذي يجري بحقّ الجحيم؟» قالت. كانت السادسة والنصف صباحاً.

«أين ذهبت أمي؟

هبطت السلم الخشبي الضيق، وعدت درجاته من أجل الحظ، كما فعلت عندما كانت صغيرة. كان هناك

مكتبة ياسمين

ثلاثة عشرة درجة، لكنها لم تحسب الرقم السفلي يوماً بل كانت تقفز من فوقه وكأنه لم يكن موجوداً حتى يكون لديها اثنتا عشرة درجة وحسب.

«أمي؟» صاحت. كان كوب الشاي الممتلئ لا يزال على الطاولة. ذهبت روثي إلى غرفة المعيشة لتكتشف أن قطع الحطب التي وضعتها في المدفأة ليلة أمس لم تشتعل قط. لقد كان موقداً كبيراً من الحجر الأملس بني مقابل الموقد المبني من الطوب لمدفأة المزرعة الأصلية القديمة. كان هذا الموقد المصدر الوحيد للحرارة، فقد رفض والداها شراء الوقود الأحفوري.

انحنت، ورأسها يدور، وسحبت الجذوع غير المحترقة من الموقد حتى تتمكن من جرف الرماد إلى العلبة المجاورة له. ثم أشعلت النار مجدداً بواسطة الجريدة والورق المقوى وعود ثقاب.

قامت فون بتبطين السلالم، مرتدية ثياب حمراء وياقة حمراء، جوارب الصوف السميكة المنسوجة يدوياً من والدتها على قدميها. حمراء بالطبع.

قالت روثي وهي تغلق الباب الزجاجي للموقد الخشبي الذي اندلعت النيران فيه للتو: «تبدين أحادية اللون جداً».

«هاه؟». قالت فون باستغراب. بدت عيناها مرحتين يعلوهما احتقان كما لو كانت مريضة.

قالت روثي وهي تحدق في أختها الصغيرة الغريبة: «انسي الأمر».

ولدت فون في المنزل على يد القابلة، تماماً مثل روثي.

تلقت روثي تعليمها في المنزل حتى الصف الثالث، ثم استسلم والداها أخيراً ووافقا على

مكتبة ياسمين

إرسالها إلى مدرسة ويست هول يونيون بعد أن أنهكتهما بتوسلاتها.. بقدر ما أرادت أن تكون هناك، كان الانتقال صعباً ومؤلماً، فقد كانت متأخرة أكاديمياً، وتعمد الأطفال مضايقتها بسبب الملابس المبهرجة المنسوجة يدوياً التي كانت ترتديها، ولجهلها بجدول الضرب. عملت روثي بجد للحاق بالركب والاندماج، وسرعان ما تفوقت في المدرسة وحصلت على أعلى الدرجات في الفصل عاماً بعد عام.

عندما بلغت فون الخامسة أصرت روثي على تسجيلها في روضة الأطفال.

«من المستحيل أن أسمح بأن تكون فون غير لائقة اجتماعياً يا أمي. يجب أن تذهب إلى المدرسة. إنه الوضع الطبيعي الذي يجب اتباعه».

نظرت إليها والدتها ملياً، ثم سألت: «وما الرائع في الوضع الطبيعي؟»

في النهاية، استسلمت الأم وسجلت فون في المدرسة. راقبت روثي فون بقلق العام الماضي وهي تختلس النظر من خلال نوافذ الصف إلى ملعب روضة الأطفال، حيث كانت فون تجلس دائماً بمفردها وترسم في التراب وتتحدث بحيوية مع نفسها. لم يكن لديها أي أصدقاء. عندما تحدثت روثي بلطفٍ مع فون عن هذا، قالت أختها الصغيرة إن الأطفال الآخرين يطلبون اللعب معها طوال الوقت.

«ولماذا لا تنضمين إليهم؟» سألتها روثي. «لأنني مشغولة».

«ما الذي يشغلك؟»

«ألعب مع الأصدقاء الذين لدي بالفعل»، قالت فون، وهربت قبل أن تسألها روثي عن أي أصدقاء

مكتبة ياسمين

تتحدث؟ النمل؟ الحصى؟

وضعت فون يديها في جيوب سروالها الأحمر، وحدقت في النار.

«متى كانت آخر مرة رأيت فيها أمي؟» سألتها روثي، وهي تنهار على الأريكة وتفرك صدغيها في محاولة مثيرة للشفقة لوقف الصداع الرهيب.

«تناولنا العشاء معاً. حساء العدس. ثم جاءت أمي ووضعتني في الفراش. وقرأت لي قصة». بدت فون مثل إنسانٍ آلي تنفد منه البطاريات. «الفتاة ذات الرداء الأحمر».

أومأت روثي برأسها. ربما هذا يفسر اختيار فون للملابس. لطالما أخذت القصص على محمل الجد. كانت تستمتع بها كثيراً وقصة واحدة فقط كانت كافية لتجعلها تعاود قراءتها لها مراراً وتكراراً حتى تحفظ كلّ كلمة منها. وبعد ذلك، إذا لم تقرأها لها، كانت تشعر كأن جزءاً منها بقي عالقاً داخل القصة. كانت تترك آثاراً من فتات الخبز حول المنزل؛ وتبني منازل صغيرة من الطين والعصي والطوب؛ وتهمس باستمرار لنفسها ولدميتها القماشية القديمة، ميمي، عن الاتجاه الذي ذهب فيه الذئب، أو ما إذا كان الضفدع حقاً أميراً وسيماً.

«ماذا سنفعل؟» كان صوت فون خافتاً.

«سأذهب للتحقق في الخارج. لنرى إن كانت الشاحنة هنا. ثم سأتحقق من الحظيرة».

«تقول ميمي إننا لن نجدها».

أخذت روثي نفساً عميقاً، ثم سمحت للهواء بالخروج بقوة. «لا يهمني حقاً ما تعتقده دميتك الآن يا فون».

حنت فون رأسها، فأدركت روثي أن الوقت غير

مكتبة ياسمين

مناسب الآن لتتصرف بفظاظة، سواء كانت ثملة والصداع يقتلها أو كانت والدتها مفقودة. فون طفلة في السادسة فقط. وتستحق بعض الاهتمام.

قالت روثي وهي تنحني وترفع ذقن فون: «مرحباً». «آسفة يا حلوة. أنا فقط متعبة جداً وقلقة. لم لا تصعدين إلى الطابق العلوي وتحضرين ميمي. أحضريها، وعندما أعود للداخل سأعد لنا إفطاراً كبيراً. لحماً مقدداً مع البيض والشوكولاتة الساخنة. ما رأيك؟»

لم تجب فون. بدت صغيرة وشاحبة. وبشرتها تتوهج من الحمى.

نادت روثي أختها بالاسم المحبب لأمها: «مرحباً أيتها الغزالة الصغيرة». «سيكون كلّ شيء على ما يرام. سنجدها. ثقي بي».

أومأت فون برأسها وتراجعت متجهة إلى أعلى الدرج.

من السخف أن روثي فكرت بـ ويلا لوس. كيف قامت فرق البحث بمسح البلدة بأكملها، بل وولاية فيرمونت بأكملها حتى، ولم تعثر لها على أثر.

كيف استطاعت أن تختفي تماماً، في لحظةِ كانت هنا، واختفت في اللحظة التالية؟

قالت فون إن هذا يحدث هذا في بعض الأحيان.

هزت روثي رأسها. لم تقتنع. لا يمكن لأحد أن يختفي هكذا دون أثر. لا ويلا لوس، ولا العجوز المملة أليس واشبورن التي كان لديها فتاتان في المنزل، ودجاج لإطعامه، وغامرت رغم ذلك بالذهاب إلى المدينة يومين كلّ أسبوع لبيع البيض والمنسوجات في سوق المزارعين صباح يوم السبت، وتذهب لتسوق البقالة كلّ يوم أربعاء

مكتبة ياسمين

عندما يعلن متجر شوب أند سيف عرض القسيمة المزدوجة.

من الواضح أن كلّ هذا كان خطأ فادحاً. ستظهر أمها في أي لحظة، وسيضحكون كثيراً حول فكرة أنها قد تختفي من بين جميع الناس.

مكتبة ياسمين

روثي

أمضت روثي ما يقرب من ساعة في تفتيش المنزل والفناء والحظيرة، لكنها لم تجد أثراً لأمها. وعلى الرغم من أن حذاءها ومعطفها مفقودان، كانت الشاحنة لا تزال في الحظيرة والمفاتيح تحت حاجب الشمس في السيارة. لم تظهر آثار أقدام في الثلج «ولكن حتى لو كان هناك آثار أقدام، لا بدَ أنها دفنت الآن تحت الثلج».

وقفت روثي في الحظيرة تحدق بيأسٍ في جزازة العشب المعطلة وكومة الإطارات الصيفية وأبواب الشبك والنوافذ وأكياس علف الدجاج. كلّ شيء في مكانه المعهود. بدا كلَ شيء طبيعياً.

أغمضت عينيها، وتصورت والدتها تنظر إليها من فوق نظارات القراءة الطبية، وشعرها الرمادي مشدود إلى الوراء في ضفيرة، وقد ارتدت سترةً من ستراتها السميكة المنسوجة يدوياً. قالت لها والدتها ذات مرة: «جزء من الحيلة للعثور على شيء مفقود، البحث في جميع الأماكن التي لا يكون فيها».

ابتسمت روثي. «حسناً، إذن. لنكتشف الأماكن التي لست فيها».

مشت روثي حول الحظيرة لتفقد الدجاج في الخلف. كان داخل قنَ خشبي كبير محاط بشبكة أسلاك مغلقة. فتحت البوابة ودخلت وفتحت القفص.

همست بصوت منخفض: «مرحباً يا فتيات». «كيف كانت ليلتكنَ؟» أجابت الدجاجات بالكثير من القرقرة والهديل المتوتر. نثرت لهم روثي حبات الذرة المطحونة من الدلو في الخارج، وتأكدت من أن طعامهم وموزعات المياه الساخنة كانت ممتلئة.

مكتبة ياسمين

«لا تعرفون أين ذهبت أمي، أليس كذلك؟» وكان الردَ المزيد من القرقرة.

قالت وهي تخرج من القنّ: «لا أعتقد ذلك».

غادرت الحظيرة ونظرت عبر الفناء إلى الغابة. تساقط الثلج أكثر ليلاً وغطى الفناء حتى بدا مثل سطح القمر الأبيض.

فكرت روثي في جميع الأماكن التي لم تكن فيها والدتها: المنزل والفناء والحظيرة وقنّ الدجاج. كما أنها لم تأخذ الشاحنة.

«أمي». نادت بأعلى صوتها. هذا سخيف فعلاً. بدا أن الثلج الممتد يمتص كلّ الأصوات؛ شعرت كأنها تصرخ في مضرب القطن.

نظرت روثي عبر الفناء إلى بداية الغابة. كانت فكرة ذهاب والدتها إلى الغابة في ظلام ليلة شتوية سخيفة، إذ على حد علم روثي، لم تطأ قدما والدتها الغابة قطّ. كان لديها طرق محددة لأداء الأعمال المنزلية التي تقود من وإلى كومة الحطب والحظيرة وقنّ الدجاج وكومة السماد بالقرب من بستان الخضروات، ولم يسبق أن انحرفت عنها قطّ. لطالما آمنت والدتها بالكفاءة. وبالتالي فإن الخروج عن مساراتها والاستكشاف والمشي بلا هدف، كلها مضيعة للوقت والطاقة التي من الأجدر إنفاقها بشكل أفضل للحفاظ على الدفء وإنتاج الطعام.

ولكن مع ذلك، يمكنها استبعاد جميع الاحتمالات، مهما كانت غير واردة. توجهت عائدة إلى الحظيرة، وأمسكت زوجاً من أحذية الثلج، وربطتهما بقدميها.

وعبرت الفناء ببطءٍ وعلى مضض وتوجهت إلى الغابة. شاءت أم أبت، كان عليها أن تمر بالمكان الذي وجدت فيه والدها.

مكتبة ياسمين

فيما مضى، كانت المنطقة الشمالية والشرقية للمنزل والحظيرة أرضاً زراعية مفتوحة، لكنها مزروعة الآن بأشجار الحور والقيقب والصنوبر الأبيض. وعلى مر السنين، كانت الغابات تتعدى على المنزل والفناء، وتقترب شيئاً فشيئاً، وتهدد بالاستحواذ على مزرعتهم البيضاء الصغيرة. الأشجار قريبة جداً من بعضها، ومن الصعب التنقل بينها، إذ تتشابك الجذور والشجيرات والصخور الكبيرة التي تخترق الثلج وتعيق خطوات حذاء الثلج. كانت أرضهم مغطاة بالصخور؛ الأمر الذي أثار دهشة روثي دوماً أنها كانت تظهر كلَ ربيع في فنائهم وحديقتهم، ويلقون بها في الغابة بأعداد لا تحصى، أو يكدسونها على الجدار الحجري الذي يمتد على طول الحافة الشرقية للفناء.

لطالما كرهت روثي دخول الغابة ونادراً ما ارتادت هذا الطريق، حتى عندما كانت طفلة صغيرة. في ذلك الوقت كانت متأكدة من أن جانب التل مليء بالسحرة والوحوش وأنها غابة شريرة مسحورة كتلك التي قرأت عنها في القصص الخيالية.

لم يكن من المفيد أن والديها شجعا مخاوفها، وسردا قصصاً عن الذئاب والدببة، والأشياء السيئة التي يمكن أن تحدث للفتيات الصغيرات اللائي فقدن في الغابة.

«هل يمكن أن تأكلني الوحوش؟» سألت روثي.

قالت والدتها: «نعم». «يوجد كائنات في الغابة ذات أسنان رهيبة. وهل تعرفين ما الطعام المفضل لديها؟» سألت مع ابتسامة، وأخذت يد روثي في يدها. قالت وهي تلتهم أصابع روثي: «الفتيات الصغيرات».

فبكت روثي وعانقتها أمها بقوة.

مكتبة ياسمين

قالت والدتها وهي تمسح دموعها: «ابقي في الفناء وستكونين بخير».

ألم تتوه في الغابة مرةً عندما كانت صغيرة جداً؟ لم تتذكر التفاصيل بسهولة. تذكرت أنها كانت في مكان مظلم وبارد وتنظر إلى شيءٍ فظيع لدرجة أنها اضطرت إلى النظر بعيداً. ألم تفقد شيئاً أيضاً، أو ربما أخذوا شيئاً ما منها؟ الشيء الوحيد الذي كانت متأكدة منه أن والدها وجدها وحملها إلى المنزل. تذكرت أنها كانت بين ذراعيه، وكان ذقنها يرتكز على الصوف الخشن لمعطفه عندما نظرت إلى أعلى التل والصخور الشاهقة التي كانا يتحركان بسرعة بعيداً عنها. «كان مجرد حلم سيء»، قال والدها بمجرد عودتهما إلى المنزل وهو يربّت على شعرها. صنعت لها والدتها كوباً من شاي الأعشاب الذي فاحت منه رائحة الزهور لكن مذاقه يشبه مذاق الدواء الغريب. كانوا في مكتب والدها حيث تفوح رائحة الكتب القديمة والجلود والصوف الرطب. كرر والدها: «إنه مجرد حلم سيء». «أنتِ بأمانٍ الآن».

انزلق حذاء الثلج فوق قمة الجليد، عبرت روثي الحقل المتضخم خلف الحظيرة ووجدت المسار الذي نادراً ما يستخدم والذي أدى إلى أعلى التل حيث يد الشيطان. أخذت نفساً عميقاً ودخلت بين الأشجار وبدأت تتبع المسار الضيق. لقد فوجئت بمدى سهولة العثور على الطريق، إذ لسببٍ ما، كان الطريق واضح المعالم. وهناك من قام بتقليم الأغصان والفروع مؤخراً. من فعل هذا؟ ليست والدة روثي، بالتأكيد.

أمعنت النظر في الغابة بعناية على جانبي الطريق بحثاً عن ثوب والدتها البرتقالي أو آثار أقدامٍ، أو أي دليلٍ على الإطلاق. ولم تجد شيئاً.

مكتبة ياسمين

تابعت روثي البحث خطوة إثر خطوة. أصبح الطريق أكثر انحداراً. أطلق سنجابٌ تحذيراً من فوق شجرة قيقبٍ قريبة. ومن بعيد، سمعت صوت إيقاع نقار الخشب.

إن ما تفعله جنوني، كيف خطر لها أن تأتي إلى هنا في الصباح الباكر وهي تعاني من صداع الثمالة ولم تنم أكثر من خمس ساعات. أرادت أن تعود أدراجها، وتركت نفسها تتخيل عودتها إلى المنزل لتجد والدتها هناك آمنةً في مطبخهم الدافئ، تنتظر روثي مع فنجان من القهوة ولفائف كعك القرفة في الفرن.

لكن والدتها لم تكن تنتظرها في المنزل. فكرت في فون، وتخيلتها تسأل: «هل وجدتها؟» فأدركت روثي أن عليها مواصلة البحث. لم تستطع العودة إلى فون قبل أن تبحث في كلِّ مكان حتى بالقرب من صخورِ يد الشيطان.

اتبعت روثي الطريق المنحدر لمدة عشر دقائق، ثم وصلت إلى البستان المهجور حيث يمتد صف تلو الآخر من أشجار التفاح والكمثرى المنحنية والمكسورة وقد تشابكت أغصانها ومالت مثل عجوزٍ ترتدي شالاً من الثلج. كان البستان مهملاً انتشرت فيه شجيرات العليق وأشجار الحور الهزيلة بين صفوف الأشجار المثمرة حيث كانت هناك ممرات نظيفة ذات مرة. حاول والد روثي مرةً، إحياء البستان وتشذيب كلِّ شجرة، ورش المبيدات الحشرية، وقطع جميع الشجيرات البرية الطفيلية، لكن الفاكهة الوحيدة التي أنتجها كانت مشوهة وذات مذاق مرَ لا يمكن أكله. تساقطت على الأرض لتتعفن أو تصبح طعاماً للغزلان والدببة التي تتجول في البستان في بعض الأحيان.

توقفت روثي لالتقاط أنفاسها وراودها شعور

مكتبة ياسمين

مفاجئ بأنها لم تكن وحدها.

«أمي». نادت بصوت مرتفعٍ ومتوتر.

مسحت ببصرها الأشجار بحثاً عن أي علامة على الحركة.

انهار الثلج عن فروع إحدى أشجار التفاح، مما جعل روثي تقفز رعباً. هل تحرَك شيء آخر، شيء ما في أعماق الظلال؟ حبست أنفاسها وانتظرت. لكن السكون جعل أذنيها تصدر طنيناً. أين ذهبت أصوات الطيور والسناجب؟

لم يكن هناك أي أثرٍ من أي نوع، ولا حتى أرنب ثلجٍ أو طائر قرقفٍ أو حتى فأر حقل. شعرت بأنها وحيدة في العالم.

لم تسمح روثي لنفسها بالتفكير فيما حدث لوالدها كثيراً.

قبل أكثر من عامين بقليل، كان يقطع الحطب للمدفأة ولم يعد لتناول العشاء. خرجت روثي للبحث عنه عندما حلَ الظلام.

قالت والدتها: «يبدو أن الرجل العجوز السخيف لم يعد يشعر بمرور الوقت». «ولا بقرقرة معدته أيضاً، كما هو واضح».

كان خريفاً رطباً والأرض زلقةً بسبب الطين والأوراق المتعفنة. انزلقت عدة مرات في طريقها إليه، واصطدمت ركبتاها بالصخور وخدشتها الأشواك. وجدته في شمال البستان. وعلى بعد عشرة أقدام منه وجدت كومة أنيقة من الخشب المقطوع ومنشاراً بجانبها. كان مستلقياً على جانبه ويده تقبض بقوة على فأسه. كانت عيناه مفتوحتين لكنهما غريبتا المظهر.

شفتاه زرقاوان.

مكتبة ياسمين

كانت روثي قد تعلمت الإسعافات الأولية في المدرسة، فركعت على ركبتيها وبدأت تطبق خطوات الإنعاش القلبي الرئوي بينما كانت تصرخ بأعلى صوتها على أمل أن يصل إلى المنزل. ضغطت وضغطت لما شعرت به ساعاتٍ ولكن ربما كانت دقائق فقط، قاطعت المرفقين، مع العد بسرعة رغم لهاثها - واحد- و - اثنان- و- ثلاثة - و-أربعة- كما فعلت مع الدمية البلاستيكية في الفصل. في النهاية، وصلت والدتها، ثم أسرعت مرة أخرى لاستدعاء سيارة إسعاف. واصلت روثي الضغط على الصدر حتى وصل طاقم الإسعاف التابع لإدارة الإطفاء في ويست هول. كان ذراعاها وكتفاها يرتجفان، وأنهكت عضلاتها لكنها استمرت في الضغط، حتى سحبتها والدتها برفق.

ولكن عندما كانت في طريقها للخروج من المكان لاحظت آثار حذاء والدها في الطين، آثار الخطوات الأخيرة التي قدر له أن يمشيها على الإطلاق. ولاحظت بجانبها وجود مجموعة أخرى من آثار الأقدام، لكنها أصغر بكثير.

سألت فون عن ذلك لاحقاً. «هل ذهبت إلى الغابة لرؤية أبيك اليوم؟»

هزت فون رأسها بقوة، وعانقت دميتها على صدرها.

«أنا وميمي لا نذهب إلى الغابة. أبداً. لا نريد أن نؤكل».

أصيبت روثي بالقشعريرة عندما تذكرت كلمات أختها الصغيرة الآن وتحذيرات والدتها قبل فترة طويلة.

«ماما؟» خرج صوت روثي صارخاً وأنثوياً. أسرعت عبر البستان تحاول الركض بصعوبة بسبب أحذية

مكتبة ياسمين

الثلج. انتهت أشجار التفاح والكمثرى، وواصلت روثي صعودها إلى الغابة المظلمة. بدت أشجار الزان والحور والقيقب أكثر ضآلة من أي وقت مضى، عارية ومغطاة بالثلج الطازج. كانت متأكدة من أنها ستجد عيوناً تراقبها لو نظرت خلفها وهي تتسلق صعوداً والدرب يزداد انحداراً.

لطالما حذرها والداها من السير هنا بمفردها: المكان وعر جداً ومن الوارد أن تكسر كاحلها. ذات مرة، وجد والدها بئراً قديماً بعيداً عن الغابة وبعد يد الشيطان، كان دائرة مخفية من الحجارة التي تحيط بفوهة عميقة جداً لدرجة أنه لم يستطع رؤية القاع. «لقد رميت حجراً فيه، وأقسم أنني لم أسمع صوت ارتطامه بالقاع». البعض قال أن هناك كهفاً حيث تعيش ساحرة عجوز. ويفترض أنه المكان الذي دخل إليه الصبي عام 1952 ولم يخرج منه قطّ. عندما عاد أصدقاؤه في وقت لاحق مع المساعدة، لم يتمكنوا حتى من العثور على المدخل مجدداً، بل مجرد سطح فارغ من الصخور حيث كان مدخل الكهف. عندما اختفت ويلا لوس الشهر الماضي، قام فريق بحث بتمشيط هذه الغابات لكنه لم يعثر على شيء.

* * * *

اعتنق كلّ شخص في البلدة قصةً عن يد الشيطان، وعلى الرغم من اختلاف القصص في تفاصيلها، فإن هناك حقيقة واحدة اتفق عليها الجميع: إنه مكان شرير ويجلب الحظ السيء لمن يقترب منه. كان الأطفال يتحدون بعضهم ويقضون الليل أحياناً وقد أحضروا معهم بضع قارورات من الشراب المسكر. كما ذهب باز وأصدقاؤه إلى هناك لتدخين الحشيش ومراقبة الأطباق الطائرة.

مكتبة ياسمين

شعرت روثي بالقشعريرة في جلدها. لم تستطع التخلص من الشعور أنها لم تكن وحدها هنا.

«مرحباً؟»

محاولة غبية بالطبع، لكنها تحركت بشكل أسرع على أي حال في محاولةٍ لإنهاء رحلة البحث. ستصعد أعلى الصخور، ثمَ تذوز وتعود أدراجها.

كانت تلهث بصعوبة عندما وصلت إلى يد الشيطان، بسبب الجهد الذي بذلته لتتسلق الصخور وغالباً بسبب رغبتها في الإسراع لإنهاء هذه المهمة.

انبثقت الصخور الداكنة الضخمة من الأرض كما لو أنها نمت هناك وظهرت مثل فطر عش الغراب المسنن. كانت هناك خمس صخور- خمسة أصابع - تبرز من الأرض، وتميل إلى الوراء كما لو كانت يداً مفتوحة في انتظار اصطياد شيء ما «أو شخص ما، ربما». كانت الصخور التي شكلت راحة اليد منبسطة ومغطاة بالثلج، لكن الصخور الأطول تبرز نحو الأعلى ولم ترها روثي مثل الأصابع بل مثل الأسنان الداكنة الحادة.

يا إلهي، يا لها من أسنان كبيرة.

هي كذلك حتى أمضغك بشكل أفضل يا عزيزتي.

وقفت في ظل أطول حجر - الإصبع الوسطى، الذي ارتفع حوالي عشرين قدماً في الهواء، ونادت أمها مرة أخرى. «أمي».

انتظرت، وأصغت إلى صوت أنفاسها حتى بدا صوتها مرتفعاً جداً كما لو أن الغابة تتنفس معها.

أحكمت روثي ربط الأشرطة على حذائها الثلجي وعادت بسرعة إلى المنزل، انزلقت وتزحلقت وسقطت عدة مرات؛ تحركت بأسرع ما يمكن في محاولة لتجاهل الشعور بأنها كانت مطاردة.

مكتبة ياسمين

«هل أخذت الشاحنة؟» سألت فون.

هزت روثي رأسها. كانت قد توقفت مرة أخرى عند قن الدجاج بعد أن نزعت حذاء الثلج وأخذت بعض البيض من صناديق القش. أخرجتها بحذرٍ من جيوبها ووضعتها على المنضدة. شعرت بالبرد والتعب. وكان ساقاها ورئتاها يحترقان من مغامرة حذائها الثلجي أعلى التل.

«أين أمي؟» سألت فون وقد ارتعش ذقنها واغرورقت عيناها بالدموع وانتفخت مثل الضفدع.

اعترفت روثي: «لا أعرف». ألا يجب أن نتصل بشخصٍ ما؟ سألت فون.

«تقصدين الشرطة؟ أعتقد أنه لا يمكن حتى الإبلاغ عن شخص مفقود قبل أن يمر على غيابه مدة أربع وعشرين ساعة. وهي لم تغب حتى لمدة 12 ساعة. وستغضب ماما لو فعلنا يا فون. تفهمين قصدي».

«لكن.... الجو بارد جداً في الخارج. ماذا لو كانت مصابة؟»

«بحثت في كلَ مكان يمكن أن تذهب إليه. من المستحيل أن تكون أمي هناك. ثقي بي».

«إذن، ماذا سنفعل؟» سألت فون.

«سننتظر. هذا ما أظن أنها تريدنا أن نفعله. إذا لم تعد مع حلول المساء سنتصل بالشرطة، لست متأكدة». ربتت على شعر شقيقتها الصغيرة وأعطتها أفضل ابتسامة مطمئنة. «سنكون بخير».

عضت فون شفتها، بدت وكأنها على وشك البكاء. «من المستحيل أن تتركنا».

وضعت روثي ذراعها حول شقيقتها الصغيرة وعانقتها بقوة. «أعلم ذلك، سنتدبر الأمر. سنتابع

مكتبة ياسمين

البحث بعد الإفطار. لا يمكن لأحد أن يختفي هكذا دون أثر. سيكون الأمر مثل لعب دور نانسي درو».

«مَن؟»

«انسي الأمر. «ثقي بي وحسب، اتفقنا؟ سنكون بخير. سنجدها. ثقي بي».

مكتبة ياسمين

كاثرين

في بعض الأحيان، عندما تستيقظ كاثرين ليلاً، كانت تشعر بهما معاً بجوارها. تخيلت أن الجانب الآخر من السرير دافئ، وإذا ما ركزت نظرها بشكل صحيح، فإن بوسعها أن ترى انخماصاً ناعماً على الوسادة حيث وضعا رأسيهما. كانت تتقلب في الصباح وتضغط الوسادة على وجهها في محاولةٍ لالتقاط رائحة منها.

لم تكن مجرد رائحة شامبو أو مرطب حلاقة أو شحم دراجة نارية. كان كلَ ذلك ممزوجاً مع شيء حار ساحر في جوهره، إنه جوهر غاري. أما رائحة أوستن فكانت مثل رائحة الحليب الدافئ والعسل الشهي الذي كان بوسعها أن تشربه وتعيش عليه للأبد. في الساعات الناعمة من الصباح الباكر، قبل شروق الشمس، اعتقدت أنه قد يكون من الممكن تقطير كلَ شيء يتعلق بالإنسان، حتى رائحته.

بمجرد أن استيقظت، مثل الآن، جالسة في المطبخ مع كوب من القهوة الفرنسية في يدها ولا تزال ترتدي أحد قمصان غاري القديمة، أدركت مدى سخافة الفكرة، وعرفت أن وجودهما في السرير معها كان مجرد حلم، أو ربما ذاكرة الجسد. مثل شخصٍ يشعر بالألم في طرفٍ وهمي لا يملكه.

كم عدد الصباحات التي أمضوها على هذا النحو، أوستن محشورٌ بينهما بمنامته الصوفية الناعمة يروي لهما قصصاً عظيمة عن أحلامه: «... ثم كان هناك رجل يرتدي قبعة سحرية يمكنه سحب أي شيء يريده منها - حلوى الخطمي وحمامات السباحة، وحتى سباركي، ماما!» كانت تربَت على شعره وتفكر كم كان جميلاً أن يستحضر كلبهم الميت مرة أخرى في أحلامه.

مكتبة ياسمين

سببت القهوة الحمضية لمعدتها الفارغة انقباضاً وألما حاداً. نقرت خاتمها على حافة الكوب. كان غاري قد أهداها إياه قبل أسبوعين من وفاته. أدارته حول إصبعها، ولاحظت العلامة العميقة التي تركها على إصبعها كما لو أنه يحاول شقّ طريقه ببطء داخل جلدها ليصبح جزءاً منه.

عليها أن تأكل شيئاً. لم تتناول عشاءً لائقاً ليلة أمس، بل جلست على طاولة عملها مع برطمان من الزيتون وكوب من شراب الشيراز. منذ وفاة غاري، كانت تعيش تقريباً على الحساء المعلب والبسكويت المملح. بدت فكرة طهي وجبة مناسبة لنفسها فكرة سخيفة، ولا تستحق الجهد. ولو أرادت تناول شيء أفضل، فالأجدر بها أن تخرج إلى مكان ما. إلى جانب أنها اكتشفت بعض أنواع الحساء المعلب الفاخر، مثل حساء سرطان البحر، وحساء القرع مع الجوز، والفلفل الأحمر المحمص مع الطماطم.

لكنها لم تكن تتسوق، فأصبحت خزانة الحساء والمكسرات فارغة؛ لذا كان عليها الذهاب إلى السوق اليوم. كانت قد أفرغت بعض المواد الجافة أمس، دقيق الشوفان وصودا الخبز والدقيق، لكن الأواني والمقالي ما زالت في الصناديق. إنها في هذه الشقة منذ يومين، وبخلاف إعداد منطقة عملها الفني في غرفة المعيشة وترتيب السرير، لم تفعل الكثير للاستقرار فيها.

في الحقيقة، لقد أحبت المظهر الفوضوي لأسطح الطاولات والأرفف العارية؛ وبدت لها الجدران البيضاء الفارغة مثل صفحة بيضاء. حتى أنها ترددت حيال تعليق ملابسها في الخزانة، وفضلت الشعور بالتشرد والعيش مع الحقائب. ما الذي يحتاجه المرء حقاً للعيش؟ أثارتها الفكرة قليلاً،

مكتبة ياسمين

تجربة العيش في حياةٍ مختزلة.

نظرت كاثرين حولها إلى أكوام صناديق الورق المقوى التي تحمل علامة «مطبخ» ودوّن عليها المحتويات بدقة: أوعية الخلط، وسكاكين اللحم، وصانع الآيس كريم، وآلة الخبز. ولكن من ذاك بحق السماء الذي يحتاج حقاً صانع الآيس كريم أو آلة الخبز؟ قررت أن هذه الأشياء والعديد من الأشياء الأخرى الرائعة داخل الصناديق، يجب أن تذهب. في غرفة المعيشة كان هناك المزيد من الصناديق: أقراص مدمجة وأفلام وكتب وألبومات صور. الأشياء التي صنعت الحياة يوماً. لكنها الآن تبدو أبعد ما يكون عن الواقع داخل صناديقها هذه. مجرد بقايا من حياة امرأةٍ أخرى. كاثرين التي كانت متزوجة من غاري ولديها ابن؛ تلك التي قدموا لها في حفل زفافها أوان من الخزف الصيني وألبومات الصور ومبراة سكين كهربائية. الآن كلَ هذه الأشياء باتت ألعاباً، وكأنها طفلة في بيت لعبٍ تحاول أن تتخيل ما يفعله البالغون.

* * * *

توفي أوستن قبل عامين وأربعة أشهر بسبب إصابته بسرطان الدم. كان عمره ست سنوات. ولم يمض على وفاة غاري أكثر من شهرين وبعضُ الشهر. تشعر في بعض الأحيان شعرت أنها يومان، وأحياناً عشرون عاماً. وبدا قرارها بالانتقال من بوسطن إلى ويست هول في فيرمونت، البلدة التي يبلغ عدد سكانها 3163 نسمة، مثيراً للقلق، حتى بنظر عائلتها وأصدقائها. ادعت أنها بحاجة إلى بداية جديدة. إذ كانت قد حصلت للتو على منحة بيكهام؛ ثلاثين ألف دولار لتغطية نفقات المعيشة ومستلزمات الفن، مما مكنها من العمل على فنها

مكتبة ياسمين

بدوام كامل، لإنهاء سلسلة صندوق التجميع التي كانت تعمل عليها طوال العام الماضي. لأول مرة في حياتها ستكون فنانة وحسب، وليست زوجة أو أماً أو مديرة معرض. أعطت إشعاراً بمغادرة شقتها في بوسطن، واستقالت من وظيفتها في المعرض، وانتقلت إلى شقة صغيرة في الطابق الثالث من منزل فيكتوري قديم في الشارع الرئيسي من ويست هول.

لم تخبر أحداً بالحقيقة.

بعد ما يقرب من شهر من حادث غاري، كانت قد تلقت فاتورة أمريكان إكسبريس النهائية. آخر إشعار عليها، بتاريخ 30 أكتوبر، يوم وفاته، كانت وجبة بقيمة 31.39 دولاراً في مقهى لولو في ويست هول، فيرمونت. لسبب ما، قاد ثلاث ساعات إلى فيرمونت، تناول وجبة، ثم استدار عائداً إلى بوسطن. لقد أخذ الطريق ذات المناظر الخلابة عند العودة، متجهاً جنوباً على الطريق 5، الذي شق طريقه إلى أسفل بجانب الطريق السريع I-91. كانت الثلوج تتساقط بغزارة تنذر بعاصفةٍ مبكرة، وانعطف غاري بسرعة كبيرة جعلته يفقد السيطرة على السيارة فاصطدم بحافة صخرية. أخبرتها شرطة الولاية أنه لقي حتفه على الفور.

عندما زارت المرآب عند تقاطع وايت ريفر للمطالبة بأي ممتلكات داخل سيارة غاري، ألقت نظرة واحدة على الوسائد الهوائية المفتوحة والزجاج الأمامي المحطم والواجهة الأمامية التي سحقت بأكملها مثل الاكورديون، وأغمي عليها في الحال. في النهاية، لم يكن هناك الكثير داخل السيارة، أخذت بعض الأوراق من صندوق القفازات و زوجاً إضافياً من النظارات الشمسية وكوب السفر

مكتبة ياسمين

المفضل لدى غاري. الشيء الذي تمنت حقاً العثور عليه، كان حقيبة الظهر السوداء التي استخدمها حقيبةً لكاميرته، لكنها لم تكن في السيارة. حاولت العثور عليها وألحت بالسؤال على الميكانيكيين في المرآب، وموظف التأمين وشرطة الولاية والموظفين في غرفة الطوارئ، لكن الجميع نفى رؤيتها.

غادر غاري المنزل في العاشرة من صباح ذلك اليوم مع حقيبة ظهره، قائلاً إن لديه تصوير حفل زفاف في كامبريدج وسيكون في المنزل في موعد العشاء.

لماذا كذب عليها؟

شغل السؤال بالها واستحوذ على تفكيرها. بحثت في مكتبه وملفاته وأوراقه وحاسوبه ولم تعثر على أيِّ شيء خارج عن المألوف. اتصلت بأصدقائه وسألتهم عما إذا كانوا يعرفون أصدقاء لـ غاري في فيرمونت، أو أي سبب يجعله يذهب إلى هناك.

كان النفي هو جواب الجميع، لم يستطيعوا التفكير في أي شخص. أخبروها أنه ربما سمع عن متجر تحف رائع هناك، أو أنه أراد أن يقود السيارة دون هدفٍ وحسب. قال صديقه المفضل، راي، وهو يختنق حزناً: «أنتِ تعرفين غاري، رجلٌ يعيش اللحظة. دائما على استعدادٍ للمغامرة».

بمجرد أن فتحت فاتورة المقهى في ويست هول، ركبت كاثرين السيارة وبدأت القيادة شمالاً. وجدت ويست هول، فيرمونت، على بعد حوالي خمسين ميلاً شمال المكان الذي تعرض فيه غاري للحادث.

كانت بلدة صغيرة مثالية من بلدات نيو إنجلاند، يرتفع في مركزها ثلاثة أبراج للكنيسة ومكتبة غرانيتية، وحديقة خضراء مع شرفة في الوسط.

مكتبة ياسمين

خرجت من حديقة البلدة، ومرّت بمدرسة ويست هول يونيون، حيث كان الأطفال الصغار في معاطفهم وقبعاتهم الشتوية في الملعب يقذفون الكرات ويتسلقون هيكل لعب ملون بألوانٍ زاهية. فكرت في أوستن، كم كان يحب التسلق ولم يظهر أي خوف من الصعود إلى قمة أي هيكل والصراخ: «أنا ملك الجبال». واعتقدت لبرهة أنها تراه يلعب هناك، وأنه ذلك الصبي النحيل ذي الشعر المجعد الجالس على قمة الهيكل. ثم رمشت، وكان الطفل شخصاً آخر.

تابعت الطريق الذي أخذها عبر مقبرة مرج التوت البري - المليئة بالحجارة القديمة المائلة والمحاطة بسياج من الحديد المطاوع الصدئ. عادت إلى منطقة وسط البلدة ووجدت مقهى لولو في الشارع الرئيسي، محشورٌ بين مكتبة وبنك، وجميعهم يتشاركون نفس المبنى الكبير من الطوب. دخلت وطلبت قهوة، ونظرت من النافذة الزجاجية الكبيرة إلى الشارع، وفكرت، كان هذا ما نظر إليه غاري عندما جلس يتناول وجبته الأخيرة.

كان أمامها منظر واضح لحديقة البلدة. وكان يوماً مشرقاً من أيام نوفمبر الخالية من الغيوم. بدت الأشجار التي تنتشر في صفوف عبر أرجاء الحديقة عارية من أوراقها الآن، ولكن عندما جاء غاري إلى هنا، ربما كانت متوهجة باللونين الأحمر والبرتقالي والأوراق تتساقط مع هبوب رياح السحب العاصفة.

«لكن ما الذي كُنت تفعله هنا؟» سألت بصوتٍ عالٍ.

بالنظر إلى الأسعار في القائمة، قررت أنه التقى شخصاً ما. لم تكن أسعار الأصناف أعلى من اثني عشر دولاراً، حتى لو طلب كأس جعة فلن يتمكن من تناول وجبة بقيمة 31 دولاراً هنا بمفرده.

مكتبة ياسمين

نادت كاثرين عندما مرت النادلة: «عفواً ». «أتساءل عما إذا كان بإمكانك مساعدتي». أخرجت الصورة الصغيرة لغاري التي احتفظت بها في محفظتها. «أتساءل عما إذا كنت تعرفين صاحب الصورة. كان هنا الشهر الماضي».

هزت النادلة راسها، وهي امرأة شابة ذات خصل شعرٍ زرقاء ووشم الين واليانغ على ظهر يدها. قالت وهي تومئ برأسها في اتجاه المرأة خلف المنضدة: «يجب أن تسألي لو». «إنها تتذكر الزبائن جيداً».

شكرتها كاثرين، ونهضت واقتربت من المالكة، لولو، شخصياً، التي كانت مثقلة بالمجوهرات الفضية والتركوازية ولديه شعر قصير أحمر لامع.

تعرفت لولو على غاري على الفور. «نعم، لقد كان هنا، لا أعرف متى، ولكن ليس قبل فترة طويلة».

«هل التقى بشخص ما؟»

نظرت إليها لولو نظرة استفهام، وفكرت كاثرين في إيضاح كلَ شيء: إنه زوجي، قتل في حادث بعد ساعات فقط من جلوسه هنا يأكل شطيرة وحساء أو ما شابه، لم أسمع من قبل بهذا المكان، ولا أعرف ما جاء به إلى هنا، من فضلك، أريد أن أعرف.

ولكن بدلاً من ذلك، وقفت أمامها واكتفت بالقول: «من فضلك. إن الأمر مهم».

أومأت لولو برأسها. «كان مع امرأة. لا أعرف اسمها، لكنها من أهل البلدة. لقد رأيتها في الجوار، لكنني لا أعرف أين».

«صفيها لي؟»

هل كانت جميلة؟ أجمل مني؟

فكرت لولو لبرهةٍ. «أكبر سناً. شعرها بلون الفلفل ومضفور في جديلة. كما قلت لك، لقد رأيتها في

مكتبة ياسمين

الجوار. أعرفها من مكانٍ ما. أنا لا أنسى الوجوه».

قضت كاثرين ما يقرب من ساعتين في مقهى لولو، تناولت القهوة، ثم الحساء وشطيرة، ثم شريحة من الكعكة المخملية الحمراء. تساءلت عما تناوله غاري هنا، وأي طاولة كان يجلس عليها. شعرت أنها قريبة منه وكأنه يجلس هناك بجانبها، يتقاسمان سراً بين لقيمات الكعك.

- من كانت تلك المرأة يا غاري؟ من المرأة ذات الضفيرة؟

راقبت حركة الناس ذهاباً وإياباً على طول الرصيف: أشخاص يرتدون سترات صوفية وملابس دافئة، ورجال يرتدون سترات صيد منقوشة حمراء، وطفلان يرتديان قبعات ويتزلجان على ألواح التزلج. لم ترَ شخصاً واحداً يرتدي بدلة، أو حتى ربطة عنق أو كعباً عالياً. الوضع مختلف جداً عن بوسطن. يبتسم الناس في الواقع ويلقون التحية على بعضهم البعض في الشارع. لا بدَ أنَ غاري أحبَ المكان.

لطالما تحدثا عن مغادرة المدينة والانتقال إلى بلدةٍ صغيرة مثل هذه، وكيف سيكون ذلك أفضل بكثير لأوستن. نشأ غاري في بلدة صغيرة في أيداهو وقال إنها جنة الأطفال حيث وجد مجالاً للتنفس والاستكشاف، والتعرف على الجيران، وحيث سمح له والداه بالبقاء خارجاً حتى وقت متأخر لأن الأشياء السيئة لا تحدث هناك. كان آمناً.

توقفت كاثرين عند لوحة إعلانات في الردهة في طريق خروجها من مقهى لولو. ألقت نظرة خاطفة على الإعلانات الموجودة عليها: دراجة جبلية للبيع، دروس يوغا بيكرام، منشور يعلن أن سوق المزارعين سيكون في صالة الألعاب الرياضية في

مكتبة ياسمين

المدرسة الثانوية خلال أشهر الشتاء، وملصق يبحث عن زملاء للانضمام إلى مجموعة من المؤمنين بصيد الأجسام الفضائية. وهناك، في المنتصف، لافتة كتب عليها شقةٌ للإيجار وسط البلدة في مبنى فيكتوري مجدد. غرفة نوم واحدة. يمنع وجود حيوانات أليفة، قيمة الإيجار 700 دولار تشمل التدفئة. كانت هناك علامات تبويب صغيرة في الأسفل مع رقم الهاتف للاتصال.

ثم شعرت به مرة أخرى، غاري يقف بجانبها ويضع ذراعه حولها ويهمس، هيا اتصلي. ودون تفكير، مزقت أحد أرقام الهواتف ووضعتها في جيب سروالها الجينز.

فتاةٌ جيدة، همس غاري بلطفٍ في أذنها اليمنى.

ألم يحن وقت الذهاب إلى العمل؟ سألها غاري الآن بصوتٍ مشاغب ومألوف جداً، وهي جالسة على طاولة المطبخ في شقتها الجديدة. وقفت كاثرين وذهبت إلى المنضدة لإعادة ملء فنجان القهوة ثم شقت طريقها إلى غرفة المعيشة بين أكوام الصناديق وجلست خلف طاولة الرسم. كانت طاولة مطبخ ريفية قديمة حصلت عليها منذ تخرجها من الكلية، بعرض ثلاثة أقدام وطول خمسة أقدام، مصنوعة من ألواح خشب الصنوبر السميكة. كانت مشوهة بضربات المنشار والسكين وعلامات الحفر، وتناثرت فوقها قطرات الطلاء والألوان على مدى سنوات. كانت هناك ملزمة مثبتة على الجانب الأيمن، حيث احتفظت أيضاً بأدواتها: المطرقة والمناشير والمثقب ومكواة اللحام ومشابك القصدير والحفر والقطع، إلى جانب صندوق أدوات بلاستيكي مليء بمختلف المسامير والبراغي والمفصلات. وفي الخلف، كانت هناك علبة قهوة

مكتبة ياسمين

مليئة بفرش الطلاء وسكاكين إكس أكتو وأقلام عادية وأقلام تحديد. وفي خزانة خشبية مصنفة بعناية على يسار الطاولة كانت جميع لوحاتها وأعمالها الجاهزة.

وفي وسط الطاولة، وضعت صندوقاً آخر، والذي بقيت مستيقظة لوقت متأخر من الليل تعمل عليه. صندوق خشبي مقاس 4 × 6 بوصات، أطلقت عليه اسم «عهود الزفاف». وضعت في واجهته بابين مزدوجين، مصممين مثل نوافذ الكنيسة مع تصاميم زجاجية ملون. عندما فتحت هذه، كان هناك المذبح الخشبي مع صورة صغيرة لكاثرين وغاري في يوم زفافهما، وكلاهما يبدو شاباً وسعيداً بشكل مستحيل، دون ملاحظة الغراب الغامض الذي اختلس النظر إليهم من وراء الستارة. عندما فتحتهما، ظهر مذبح خشبي مع صورة صغيرة لكاثرين وغاري في يوم زفافهما، وكلاهما يبدوان شابين وسعيدين بشكل لا يوصف ولا يلاحظان الغراب الغامض الذي أطل عليهما من خلف الستارة.مكرر وعبارة «حتى يفرقنا الموت» كتبت بخطَ أنيق، وعدّ غلَق في الهواء مثل سحابة حلوة فوق رؤوسهم. ولكن في الظل أسفل أقدامهما كانت هناك علامات انزلاق صغيرة على طريق متعرج ضيق، وعلى يسار المنصة يوجد نصف سيارة مصنوعة من علبة ثقاب وجدت طريقها عبر جانب الصندوق، وقد تحطمت نهايتها الأمامية. في الجزء السفلي، يوجد سطران بسيطان بين علامتي اقتباس: «لدي تصوير حفل زفاف في كامبريدج. سأعود في موعد العشاء».

هذا الصباح، كانت تضع اللمسات الأخيرة على هذا الصندوق؛ القليل من الزخارف الفضية حول النوافذ،

مكتبة ياسمين

والطلاء الذهبي للصليب في الأعلى، ثم تغطيه بالكامل بورنيش غير لامع. بعد ذلك، ستبدأ العمل على الصندوق التالي في السلسلة: وجبته النهائية. لم يكن لديها التفاصيل لهذا العمل على الإطلاق، فقط أن الباب سيفتح على مشهد في مقهى لولو: غاري والمرأة الغامضة. كانت تعتمد على غاري للمساعدة، لتوجيهها وإظهار التفاصيل التي عليها إضافتها. غاري في دور موسى.

في بعض الأحيان، فقط في بعض الأحيان، عندما تكون منسجمة وتائهة في فنها، كلما أغلقت عينيها تجد غاري بجانبها مرة أخرى، يهمس بأسراره في أذنها. كان بإمكانها رؤيته تقريباً: شعره البني الداكن مع مفارق الشعر المضحكة، والنمش على أنفه وخدوده التي يتضاعف عندما يسير في الخارج تحت الشمس لمدة طويلة.

غاري الذي أحبَ قصص الأشباح الجيدة. غاري، الذي داعبها ذات مرة بقوله: «من الأفضل أن تأملي بأن تموتي أنتِ أولاً يا عزيزتي، لأنني إذا متُ أولاً سأعود إلى هنا وأطاردك».

ارتسمت على وجهها ابتسامة عندما تذكرت هذا الآن. أخذت علبة زرقاء من سجائر أميركان سبيريتس، العلبة الأخيرة التي وجدتها في استوديو غاري. لم تقرب السجائر منذ الكلية، وكانت دائماً تطالب غاري بالإقلاع عن التدخين، وتشكو دائماً من رائحة ملابسه وشعره. الآن وجدت رائحة دخان السجائر مريحة، وسمحت لنفسها بسيجارة واحدة في اليوم. وأحياناً اثنتين. أخرجت واحدة من العبوة وأشعلتها، رغم علمها أن الوقت مبكرٌ قليلاً لكنها لم تبال.

«ما الذي كنت تفعله هنا غاري؟» سألت بصوت

مكتبة ياسمين

عالٍ، وهي تراقب تصاعد الدخان نحو الأعلى؛ كانت تأمل سراً أنها لو بدأت في صنع الصندوق التالي فقد تأتي الإجابات مع إضافة التفاصيل. «من المرأة ذات الضفيرة؟ أين أجدها؟»

مكتبة ياسمين

روثي

«ثمانية عشر، تسعة عشر، عشرون»، صرخت روثي ويداها تغطيان وجهها. فتحت عينيها ونهضت عن الأريكة، وصاخت: «جاهزة أم لا، ها أنا قادمة».

كانت لعبةُ الغميضة لعبة فون المفضلة، وكانتا تلعبان منذ ما يقرب الساعة الآن من بعد أن غسلتا أطباق الإفطار وضعتاها جانباً. ظنت روثي أن هذا قد يساعد في إلهاء عقل فون عن رحيل الأمَ. ورأت أيضاً أنها طريقة فعالة بل وممتعة بالنسبة لهما لتفتيش المنزل بحثاً عن أدلة. توجد دوماً قاعدتان عندما تلعبان الغميضة. الأولى هو أن غرفة الأم، والقبو، والخارج تعدّ خارج الحدود المسموحة. والقاعدة الثانية أنّ فون هي من يختبئ دائماً. كانت روثي تعاني من رهاب الأماكن الضيقة والمظلمة ولم تستطع البقاء مختبئة لفترة طويلة. في حين أن فون تحب الاختباء، وكانت بارعة حقاً في ذلك؛ ففي بضع مرات، كان على روثي أن تصرخ وتعلن استسلامها، فتخرج فون من مكان غير مرجح مثل سلة الغسيل أو الخزانة تحت حوض المطبخ.

«أين يعقل أن تكون؟» سألت روثي بصوتٍ مرتفع وهي تبحث في أرجاء غرفة المعيشة. فتشت خلف الأريكة وذهبت إلى الردهة الأمامية وبحثت في الخزانة. ومن هناك اتجهت إلى المطبخ حيث فتشت باهتمامِ كلَ خزانة فيه. ولم تجدها. لا يعقل أن تختبئ فون في إحدى دروج المطبخ. لكن روثي فتشتها أيضاً. «هل تحولت إلى فأر صغير تسللت إلى مكانٍ أعجز عن إيجادك فيه؟» صاحت روثي.

كان هذا أيضاً جزءاً من اللعبة، المزاح السخيف المستمر الذي جعل فون تضحك أحياناً وتتخلى عن مخبئها.

مكتبة ياسمين

لمدة عشرين دقيقة، فتشت روثي المنزل، وبحثت في جميع الأماكن المفضلة لدى فون، لكنها لم تجد أي علامة على مكان أختها.

«هل أنتِ تحت مكتب والدك؟ كلا. هل تحولت إلى ذرةٍ من الغبار وحملك الهواء بعيداً؟»

لم تكن فون في أي من الخزائن، أو تحت أي سرير أو طاولة، أو مستلقية في حوض الاستحمام مع ستارة الحمام الملونة حولها. حتى أنّ روثي تحققت تحت حوض الاستحمام القديم، وتذكرت أنها وجدت شقيقتها محشورة هناك على بطنها ذات مرة.

لطالما شعرت روثي بالانزعاج عندما تعجز عن إيجاد شقيقتها. لكنها اليوم شعرت بالذعر يتصاعد شيئاً فشيئاً عندما تفقدت كلَ مكانٍ قد تختبئ فيه.

ماذا لو أنّ فون رحلت حقاً؟ ماذا لو أن ما حدث للأمَ حدث لها أيضاً؟

توقفي، قالت لنفسها. إنها لعبة وحسب.

«فون؟» نادت روثي. «استسلمت. انتهت اللعبة. اخرجي».

لكن فون لم تظهر. انتقلت روثي من غرفة إلى أخرى، ونادت، وأصاخت السمع علها تسمع ضحكة أو حفيفاً، وشعرت بالعرق البارد يتجمع بين لوحي كتفيها. انتهى بها المطاف في غرفة المعيشة، حيث زحفت على ركبتيها ونظرت خلف الأريكة.

«بوو».

صرخت روثي. كانت فون تقف وراءها تماماً.

«أين كنت؟» سألتها روثي وهي تتنفس الصعداء.

«أختبئ مع ميمي». كانت الدمية تتدلى بخفةٍ من يد فون.

«أين؟»

مكتبة ياسمين

هزت فون رأسها. «إنه سرّ. هل انتهينا من اللعب الآن؟»

«لدي لعبة جديدة»، قالت روثي. «تعالي». صعدت مع أختها إلى حجرة والدتها.

«ماذا نفعل هنا؟» سألت فون. كانت أمي جادةً بشأن «احترام خصوصية بعضنا»، أي ألا ندخل دون قرع الباب، ولا نتطفل عندما لا يكون هناك أحد. لم تستطع روثي تذكر آخر مرة وطأت قدمها غرفة نوم والدتها، ربما عندما كان والدها على قيد الحياة.

كانت أكبر غرفة نوم في المنزل، لكنها بدت أكبر بسبب قلّة ما فيها، إذ كانت الجدران بيضاء تظهر فيها شقوق قديمة في الجص، وفيها سرير واحد وخزانة ملابس وطاولة جانبية واحدة بجانب السرير؛ دون لوحاتٍ على الجدران ولا تراكم أشياء. ولا حتى جورب ضال على أرضيات خشب الصنوبر القديمة، فقط زوجان من السجاد الصوفي المزخرف يدوياً على جانبي السرير.

كانت غرفة والدتها تتمتع بأفضل إطلالة في المنزل أيضاً، حيث كانت النافذة بجوار السرير تطلّ شمالاً عبر الفناء إلى جانب التل الغني بالأشجار. في فصلي الخريف والشتاء، عندما تكون الأشجار عارية من أوراقها، يمكنك رؤية الامتداد كله حتى يد الشيطان أعلى التل. حدقت روثي بهذا الطريق الآن، ولمحت فقط بعض الصخور تختلس النظر من خلال بطانية الثلج الكثيف. ثمّ، ولجزءٍ من الثانية، لمحت حركة ظلّ ينزلق من خلف الصخور، ويعود، ثم اختفى. لا بدّ أنه سرابٌ، قالت لنفسها وابتعدت.

قالت روثي لأختها الصغيرة: «سنلعب لعبةً جديدة». اتسعت عينا فون.

«أيَ لعبة؟» «لعبة البحث». «مثل الغميضة؟»

مكتبة ياسمين

«نوعاً ما. إلا أننا لا نبحث عن بعضنا، بل نبحثُ عن أدلة».

«أووه، أدلَة». صاحت فون. ثم صارت ملامحها جادة. «أيَ نوع من الأدلة؟»

«سنبحث عن أيَ شيء غير عادي، أي شيء مريب».

أي شيء قد يساعدنا في معرفة مكان أمي». أومأت فون بحماس. حملت ميمي من الذراع الذي صنعته الأم. أصبح شعر الخيوط الأصفر متشابكاً الآن، وتآكل النسيج الموجود على يديها وقدميها وأصابه التلف في بعض الأماكن. لديها ابتسامة محاكة بعناية والتي لطالما أثارت خوف روثي وذكرتها بالندبات أو الشفاه المخاطة لإبقائها صامتة. كانت ميمي تهمس لفون دائماً وتخبرها أسرارها. عندما كانت فون صغيرة جداً، وجدوها مختبئة في الخزانة و الدمية في حضنها تخوضان محادثة عميقة جداً.

ابتسمت روثي لأختها. «هل أنت وميمي جاهزتان للعبِ؟»

قالت وهي ترفع وجه الدمية إلى أذنها وتستمع: «دعيني أرى ما إذا كانت ميمي جاهزة». أصغت فون لمدة دقيقة، أومأت برأسها، ثم أنزلت الدمية. «تقول ميمي إنها جاهزة، لكنها تريد أن تعرف ما إذا كان بإمكاننا لعب الغميضة مرة أخرى».

«ألم نلعب الغميضة بما يكفي ليوم واحد؟» قالت فون: «ميمي لا تعتقد ذلك».

وعدت روثي: «حسناً، سنلعب جولة أخرى لاحقاً». «أوه، نسيت أن أخبرك بأفضل جزء حول لعبة البحث عن الأدلة هذه، هناك جوائز. قبلة شوكولاتة واحدة مقابل كلَ دليلٍ تعثرين عليه».

مكتبة ياسمين

«من مخبأ أمي السري؟»

أومأت روثي برأسها. احتفظت الأم بكيس من شوكولاتة قبلات هيرشي مخبأة في الجزء الخلفي من الثلاجة، ولم يُسمح لأي من الفتاتين بلمسها ما لم تفز بها كمكافأة عادةً. لم توافق الأم على تناول الفتيات للسكر المكرر، لذا كانت الشوكولاتة دائماً هدية كبيرة، خاصةً بالنسبة لفون.

«استعداد، تأهَب، انطلاق». صاحت روثي لكن فون ظلت جامدةً في مكانها. «لا أدري أين سأبحث»، قالت.

«أنت طفلة. استعيني بخيالكِ. لو أردتِ إخفاء شيءٍ ما هنا، أين ستضعينه؟»

نظرت فون حولها. «تحت السرير؟» خرج صوتها ضعيفاً وخجولاً.

قالت روثي: «ربما». «هيا بنا نبحث هناك». انحنت كلاهما على ركبتيهما للنظر تحت السرير. لا شيء هناك سوى غبار تراكم على مدى سنواتٍ.

فحصت روثي الأرضية تحت السرير بحثاً عن ألواح أرضية متحركة. عندما كانت صغيرة جداً، اكتشفت مكاناً جميلاً للاختباء تحت لوح متحرك في غرفتها تحت السرير مباشرة. وبمرور الوقت، وجدت هي وفون العديد من الأماكن الصغيرة مثل هذا في جميع أنحاء المنزل؛ منها باب خفيّ صغير فتح خلف الخزانة التي احتفظوا فيها بالأطباق؛ وركن من إطار الباب يقود من المطبخ إلى غرفة المعيشة التي كشفت عن منفذٍ صغير مثالي لإخفاء كنز صغير. يبدو من المرجح أن هناك مكاناً سرياً واحداً على الأقل في غرفة الأم.

قالت روثي لفون ذات مرة: «لا بد أن أطفالاً عاشوا

مكتبة ياسمين

هنا من قبل». «كل هذه الثقوب الخفية، إنها ليست شيئاً يفعله البالغون».

«ربما سنجد شيئاً تركوه وراءهم؛ لعبة، أو دفتراً، أو شيئاً ما من هذا القبيل». قالت فون بحماس. ولكن حتى الآن، كانت جميع المنافذ الخفية التي اكتشفوها فارغة.

سحبت روثي الفراش وتحققت بينه وبين نوابض الصندوق. لم تجد شيئاً. كان هناك كومة من الألغاز الورقية فوق الطاولة الجانبية قرب السرير، يبدو أن والدتها من كبار المعجبين بالكاتبة روث ريندل. فتحت الدرج ولم تجد سوى نصف قالبٍ من شوكولاتة هيرشي مع اللوز، ومصباح يدوي وقلم.

ولم يكن هناك يوماً طاولة جانبية من جهة والدها من السرير لأنه لم يكن يقرأ ليلاً. كان يرى أن الأسرّة صممت من أجل النوم وحسب لذلك لم يكن بحاجة إلى طاولة أو مصباح. كان يكتفي بالمطالعة في كرسيه الجلدي في المكتب «ومعظمها غير خيالية، مثل مجلدات سميكة ومثيرة للاكتئاب عن الاحتباس الحراري أو شرور صناعة الأدوية؛ وكتب سميكة ولامعة عن البستنة والإسكان؛ وأدلة ميدانية عتيقة مليئة برسومات لنباتات وحيوانات نيو إنجلاند». لطالما أحبّ والدها القراءة وملمس الكتب ورائحتها، حتى أنه كان يشتري ويبيع الكتب القديمة قبل ولادة روثي، وقبل انتقالهم إلى فيرمونت.

لم تكن روثي تعرف الكثير عن حياة والديها الماضية. تعرفا على بعضهما في الجامعة في كولومبيا. حين كانت والدتها تدرس تاريخ الفن ووالدها يدرس الأدب. كان من المستحيل تقريباً أن نتخيل والديها في الكلية، وفكرة أنهما كانا شابين

مكتبة ياسمين

وجريئين ومثاليين جعلت رأس روثي يدور. وبعد التخرج، عملا في تجارة الكتب في شيكاغو. ثم سافرا شرقاً إلى فيرمونت بعد قراءة كتاب سكوت وهيلين نيرينغ «الحياة الجيدة»، وقررا اعتماد سياسة الاكتفاء الذاتي قدر الإمكان. نجحا في شراء المنزل والأرض بثمن بخسٍ «وكأنها قدمت لهما هديةً، كما قال والداها»، وأحضرا دجاجاً وأغناماً، وزرعا حديقة خضرواتٍ ضخمة بين الصخور. كانت روثي أكبر من الثالثة بقليل عندما انتقلوا إلى هنا. ولدت فون بعد تسع سنوات، عندما كانت والدتهم في الثالثة والأربعين ووالدهم في السادسة والأربعين.

«حقاً؟» سألت روثي عندما أعلن والداها أن روثي ستحظى قريباً بأخ أو أخت رضيعة جديدة. شعرت بأن ثمة خطب ما، كان والداها يتهامسان ويخفيان شيئاً لعدة أيام، لكنها لم تتخيل هذا الخبر أبداً. عندما كانت صغيرة، تمنت كثيراً لو أنها تحظى بأخٍ أو أختٍ صغيرة، ولكن ألم يفت الأوان الآن؟

«ألستِ سعيدةً بهذا الخبر؟» سألتها والدتها. قالت روثي: «بالتأكيد». «صُدمتُ قليلاً وحسب».

أومأت والدة روثي برأسها. «أفهمكِ يا حبيبتي. بصراحة، لقد تفاجأنا قليلاً نحن أيضاً. لكن أنا ووالدك نعلم أن هذا ما قُدّر لنا، وأن هذا الطفل ينتمي إلى عائلتنا. ستكونين شقيقة كبيرة رائعة، أعلم هذا يقيناً».

وإلى أن طرأت لها هذه الحيلة الجديدة للاختفاء، كان الشيء الأكثر إثارة للاهتمام في والدتها هو قرارها بإنجاب طفل ثانٍ في هذا العمر، والذي بدا أنه حدث صدفةً وليس بناءً على قرار واعٍ.

اشتكت فون وهي تبحث بيأسٍ في أرجاء غرفة

مكتبة ياسمين

والدتها: «لا أحب أن أكون هنا بدونها». كانت على السرير حيث راحت تبحث بين الأغطية والوسائد. في حين مررت روثي يديها على امتداد جدران الجص الخشنة بحثاً عن فتحات سرية لكنها لم تجد شيئاً.

الحقيقة إن روثي شعرت بنفس شعور أختها، كما لو أنها تتعدى على خصوصية والدتها الغالية وتنتهكها.

قالت روثي: «لا بأس». «أعلم أن الأمر غريب بعض الشيء، لكن أعتقد أن أمي ستتفهم أننا اضطررنا لفعل ذلك. لأننا نريد أن نعرف مكانها».

اتجهت روثي نحو الخزانة. نهضت فون من السرير وراحت تراقب أختها وهي تتمايل قليلاً وتلوي ذراع دميتها ميمي بيديها.

دخل روسكو متردداً يدير رأسه من جانب إلى آخر وكأنه لا يعرف ما يتوقعه. كانت هذه الغرفة محظورة على القطط لأن والدتهم ادعت أنها تعاني من حساسية طفيفة ولم ترغب في النوم على سرير مغطى برائحة القطة. لذا راح روسكو يستكشف المكان بحذر وذيله الرمادي المنفوش الكبير يتمايل بفضول. مشى الهوينى نحو باب الخزانة، شمه قليلاً وتوقف. قوّس ظهره وقفز عائداً وهو يهرهر بصوتٍ عالٍ. ثم خرج من الغرفة.

نادته روثي قائلةً: «يا ملك الدراما العجوز».

اقتربت روثي من باب الخزانة، أدارت المقبض وسحبته. لم يحدث شيء. سحبت بقوة أكبر، ثم حاولت دفعه. ومع ذلك لم يتزحزح.

غريب. تراجعت إلى الوراء، وتأملت الباب فلاحظت أن درفتي الباب معلقتان إحداهما في الأعلى والأخرى في الأسفل، ومثبتتان في الإطار

مكتبة ياسمين

وعبر الباب نفسه، مما يمنع فتحه. لماذا يغلق أي شخص باب الخزانة هكذا؟

كان عليها أن تنزل وتحضر مفك براغٍ أو عتلة من الحظيرة مثلاً.

«أعتقد أنني وجدت شيئاً». جاء صوت فون مهزوزاً. قفزت روثي قليلاً، والتفتت لترى شقيقتها تدفع سجادة الصوف إلى الخلف على الجانب الأيمن من السرير وتسحب باباً صغيراً مبنياً على أرضية خشب الصنوبر العريضة. صار وجهها شاحباً.

«ما هذا؟» سألت روثي، وقطعت الغرفة في ثلاث قفزات.

لم تجب فون، بل حدَقت نحو الأسفل بعيون ضخمة وقلقة. نظرت روثي إلى مكان الاختباء السري الذي اكتشفته فون.

كانت مساحته حوالي قدم مربعٍ ونصف، وقد قطع لوحا الأرضية الخشبية بعناية ووضعا معاً مثل بابٍ صغير بمفصلات نحاسية قديمة. كان مخبأ سطحياً بعمق حوالي 6 بوصات فقط. وفي أعلاه وضع مسدس صغير بمقبض خشبي. وتحته صندوق أحذية. جحظت عينا روثي باستغراب. كان والداها من الهيبيين المحبين للسلم والسلام ويكرهان الأسلحة. يمكن لوالدها أن يثير لديك شعوراً قاتلاً بالضجر وهو يحدثك عن إحصائيات المسدسات، وكم كان من المرجح أن يتسبب السلاح بقتل أحد أفراد الأسرة أكثر من أي دخيل وكم عدد جرائم العنف المتعلقة بالسلاح. وعندما كانا يذبحان دجاجة أو ديكاً رومياً، جعلتهم أمهم يقومون بهذا الطقس التأبيني المفصل، يشكرون الأرض والطائر ويحثون روح الطائر على الانتقال إلى مستوى أعلى.

مكتبة ياسمين

قالت روثي بصوت عالٍ: «لا يمكن أن يكون مسدس أمي، لا بدّ من وجود خطأ ما». نظرت إلى فون التي وقفت متجمدة والدمية تتدلى من يدها وتتأرجح مثل البندول فوق الحفرة المفتوحة في الأرض.

قالت فون: «يجب أن نغطيها مرة أخرى. دعيها وشأنها».. رأت روثي أن أختها محقة نوعاً ما. ولكن عليهما الاستمرار في البحث.

أليس كذلك؟ ماذا لو كان ما في الصندوق يحمل دليلاً عما حدث لأمهما؟

ركعت روثي على ركبتيها، وجلست أمام الحفرة في الأرض في وضع الصلاة. مدت يدها إلى المسدس، ثم توقفت، وكانت يدها تحوم فوقه مباشرة.

«من فضلكِ لا»، قالت فون بعيون محمومة. «هذا خطير».

«فقط في حال ضغطت على الزناد. إلى جانب أنه ربما غير محشو». حملت روثي المسدس وفوجئت بثقله. صفقت فون بيديها فوق أذنيها وعصرت عينيها. أمسكت روثي السلاح بحذرٍ من أسطوانته المعدنية كي تتجنب وضع يدها في أي مكان قريب من الزناد. وضعته بهدوء على الأرض بجانبها وتأكدت من توجيه فوهته بعيداً عنها وعن فون. مدت يدها مرة أخرى إلى الحفرة وسحبت الصندوق.

كتب على جانبه كلمة «نايك».

فتحت روثي غطاء صندوق الأحذية. فوجدت كيساً قابلاً لإعادة للاستخدام في الداخل. وفي داخله محفظتان، إحداهما محفظة جلدية سوداء والأخرى محفظة نسائية كبيرة لونها كريمي.

مكتبة ياسمين

أمسكت روثي الكيس البلاستيكي الشفاف في يدها وكأنها تخشى فتحه. راودها شعورٌ بالوخز انتقل من يديها إلى ذراعيها وكتفيها ليستقر في صدرها.

كان هذا سخيفاً. إنها مجرد محفظة.

فتحت روثي الكيس وأخرجت المحفظة الأصفر. كانت تحمل رخصة قيادة في كونيتيكت وبطاقات ائتمان تخصَ رجلاً يُدعى توماس أورورك. رجلٌ ذو شعر بني وعيون بندقية، طوله ستة أقدام ويزن مئة وسبعين رطلاً، وهو متبرع بالأعضاء. يقطن في 231 كيندال لين، وودهافن، كونيتيكت. في حين تعود المحفظة النسائية لـ بريدجيت أورورك. لم يكن هناك رخصة قيادة، بل بطاقة ائتمان سيرز وماستركارد، وبطاقة موعد لصالون بيري للشعر. وثمة القليل من المال في كلتا المحفظتين. وفي محفظة بريدجيت يوجد بعض الفكة في جيب خاص بسحاب يحتوي أيضاً على سوار ذهبي صغير مع مشبك مكسور. أخرجت روثي السوار، كان صغيراً جداً على أن يكون لشخصٍ بالغ. أعادته إلى مكانه مرة أخرى.

«من هؤلاء؟» سألت فون. «ليس لدي أدنى فكرة».

«لكن لماذا محافظهما هنا؟»

«لا أعلم يا فون. هل أبدو لك كرةً بلورية تسير على قدمين؟»

عضت فون شفتها بقوة.

فاستدركت روثي واعتذرت وهي تشعر بالسوء. بعد رحيل أمها، أصبحت وحدها كلَ عائلة فون الآن.

وتعرف أنها لم تكن يوماً أفضل أخت كبيرة لها. أجبرت روثي على أن تحضر ولادة فون. أعطتها القابلة طبلاً على أمل أن يساعد الإيقاع في الحفاظ

مكتبة ياسمين

على تركيز والدتها أثناء المخاض. دقّت عليه روثي بيأس وشعرت بغرابة شديدة. عندما خرجت فون إلى الحياة راحت تصرخ وتخدش وجهها، الأمر الذي لم تجده روثي رائعاً أو جميلاً على الإطلاق، على الرغم مما قاله والداها والقابلة. لقد ذكّرت روثي باليرقة.

* * * *

ومع نمو فون، كانت روثي تلعب معها أحياناً بالألعاب والدمى ولعبة الغميضة، ولكن فقط لأن والديها أجبراها على ذلك، وليس بدافع الحب الأخوي. ليس لأنها لم تحبّ فون، ولكن يبدو أن فرق العمر بينهما يضعهما على كوكبين مختلفين تماماً.

«كلّ هذا يجعل رأسي يدور». قالت روثي. نظرت إلى رخصة قيادة توماس أورورك مرة أخرى. «إنها قديمة. لقد انتهت صلاحيتها، قبل حوالي خمسة عشر عاماً». وضعتها مرةً أخرى في المحفظة الجلدية البالية، وأعادت المحفظتين إلى الكيس، ثم وضعته بعناية في صندوق الأحذية.

«إذا عادت أمي، علينا أن نتظاهر بأننا لم نجد أياً من هذا، اتفقنا؟ يجب أن يكون هذا سرنا».

بدت فون وكأنها على وشك البكاء.

قالت روثي وهي تبتسم ابتسامةً مشجعة: «بالله عليكِ». «الأمر ليس بهذه الصعوبة. بوسعك حفظ السرّ، أليس كذلك؟ أنا واثقة. فأنت لم تخبريني حتى أين كنت تختبئين مع ميمي».

قال فون: «لقد قلت إذا». «هاه؟».

«قلت: إذا عادت أمي». ارتعش ذقنها، وتدحرجت دمعة على خدها الأيسر.

نهضت روثي وضمت شقيقتها الصغيرة بين

مكتبة ياسمين

ذراعيها، وفوجئت بأن عينيها أيضاً اغرورقتا بالدموع. بدت فون صغيرة و هشَة. كانت تحترق من شدة الحمى.. عانقتها روثي بقوة أكبر وتنحنحت كي تتخلص من الرغبة في البكاء. كان عليها قياس درجة حرارة فون، وإعطاؤها جرعة من التايلينول إذا كانت حرارتها مرتفعة كما شعرت. يا لها من طفلة مسكينة. ويا له من توقيت سيء للمرض. حاولت روثي أن تتذكر كلَ ما تفعله الأم عندما تمرض فون: التايلينول وعدد لا يحصى من أكواب شاي الأعشاب المخصص لتهدئة الحمى، وتكديس الأغطية فوق فون، وقراءة قصةٍ بعد قصة. أي الأشياء نفسها التي فعلتها عندما كانت روثي صغيرة.

همست روثي بهدوء في أذن فون: «قصدتُ: عندما». «عندما تعود. لأنها ستفعل». لم تعانقها فون بل ظلت هادئة بين ذراعي روثي.

«ماذا لو لم تعد؟ ماذا لو أنها... لا تستطيع العودة أو شيء من هذا القبيل؟» «ستعود، فون. لا بدَ أن تعود».

تراجعت للخلف ونظرت إلى وجه فون. «هل أنت بخير، فون؟ لديك التهاب في الحلق أو شيء كهذا؟»

لكن عينا فون المحتقنتين كانتا مركزتين على الثقب السري في الأرض.

قالت: «أعتقد أن ثمة شيء آخر هناك».

ركعت روثي على ركبتيها ومدَت يدها إلى هناك، فوجدت أن حواف الحفرة الداخلية أبعد إلى الداخل مما كانت تعتقد. وفي الزاوية البعيدة لمست يدها الحافة المربعة لكتاب. سحبته من مكانه.

مكتبة ياسمين

زوار من الجانب الآخر
اليوميات السرية لسارة هاريسون شي

كان كتاباً قديماً وله غلافٌ ورقي باهت.

قالت روثي: «غريب». «لماذا تخفي كتاباً؟» أمسكت به وتفحصت الغلاف وبدأت تقلب الصفحات. لفت انتباهها الكلمات المدونة على الصفحة الأولى من المفكرة: كنت في التاسعة من عمري حين رأيت راقداً أول مرة.

قرأت روثي بقية الصفحة الأولى. «عمَ يتحدث الكتاب؟» سألت فون.

قالت: «يبدو أن هذه السيدة اعتقدت أن هناك طريقة لإعادة الموتى إلى الحياة. يبدو مخيفاً، ولكن لماذا تخفي أمها كتاباً كهذا؟»

قال فون: «روثي، انظري إلى الصورة على الغلاف الخلفي».

كانت هناك صورة بالأبيض و الأسود غير واضحة كتب أسفلها: سارة هاريسون شي في منزلها في ويست هول، فيرمونت، 1907.

امرأة بشعرٍ مشعثٍ وعيون مسكونة تقف أمام منزلٍ ريفي أبيض مائل السقف تعرَفت عليه روثي على الفور.

«محال. إنه منزلنا». قالت روثي. «عاشت هذه السيدة هنا، في منزلنا».

مكتبة ياسمين

كاثرين

آمنت كاثرين أنه عندما يسير العمل على ما يرام، يصير كلَ شيء في مكانه الصحيح كما لو كان سحراً. وأنَ من واجب الفنان أن ينفتح على كلَ الاحتمالات وأن يدع نفسه تنساق مع أي خطوة تالية ممكنة.

ولكن اليوم لم يكن من الأيام التي تسير فيها الأمور على ما يرام.

لم ينته العمل على الصندوق الجديد نهايةً جيدة. وواجهت صعوبة في اتخاذ أي قرار بشأنه؛ هل عليها استخدام صورة غاري، أم تصنع دمية صغيرة على هيئة غاري تجلس على الطاولة مع الغريبة ذات الشعر الرمادي؟ وماذا ستضع على الطاولة؟ وشعرت بأن اختيار وجبته الأخيرة كان مسؤولية كبيرة. ومن بين كلَ المشاهد التي أعادت ابتكارها حتى الآن، كان هذا المشهد أكثرها اعتماداً على خيالها.

طوال الصباح، شعرت بوجود غاري معها بقوة لدرجة أنها باتت متأكدة من أنه يراقبها من خلف ظهرها ويسخر منها. استطاعت شم رائحته وشعرت بحرارة جسده تقريباً في الهواء المحيط بها.

ماذا تفعلين بالله عليكِ؟ سألها وهي تحدق بغباء في الصندوق الخشبي الفارغ الذي صنعته للتو.

قالت بصوت عالٍ مليء بالمرارة: «أحاول أن أفهم لماذا كان آخر شيء قلته لي كذبة».

لم تكن تلك الكذبة الأخيرة فقط ما أزعجها، بل كلَ ما حدث في الأيام التي سبقت ذلك. من الواضح أن غاري أخفى شيئاً عنها.

قبل أسبوعين من وقوع الحادث، ذهبا في رحلةِ نهاية الأسبوع إلى اديرونداكس. وقد منحتها الرحلة

مكتبة ياسمين

أملاً كانت تنتظره. كان الوقت منتصف أكتوبر وأوراق الشجر في ذروة سحر ألوانها الخريفية والهواء مليء بالتغيير. سافرا على متن دراجة هارلي وأقاما في كوخٍ ريفي وسط الغابة. لقد كانت المرة الأولى التي يخرجان فيها في رحلةٍ معاً منذ وفاة أوستن، واستمتعا بالفعل دون أن يستنزف مشاعرهما الحزن والغضب.

شربا زجاجة من النبيذ قرب النار، وضحكا على نكات بعضهما «قالت كاثرين إن الرجل الذي يدير الأكواخ لديه أنف مثل حبة اللفت، واستمر غاري في تشبيه ملامح كلَ شخص يعرفانه وأفضلها ملامح أخت كاثرين، هيزل، التي كان رأسها مثل رأس الخرشوف مع الشعر الشائك وما إلى ذلك». ضحكا حتى شعرا بألمِ في الخاصرة، ثم مارسا الحب على الأرض. اعتقدت كاثرين أنهما نجحا أخيراً في تجاوز حزنهما. وأنهما سيجدان طريقة للمضي قدماً في الحياة وصنع حياة جديدة معاً بدون أوستن. وربما، مجرد احتمال، أن ينجبا طفلاً آخر في يومٍ من الأيام. حتى أن غاري ذكر الأمر في تلك الليلة، ووجهه يتوهج ثملاً. «أتظنين؟» سألها.

قالت له وهي تبتسم وتبكي في الوقت نفسه: «ربما». «ربما».

شعرت أنها أقرب إلى غاري من أي وقت مضى. كما لو أنهما خاضا هذه الرحلة المهولة معاً، عرفا بعضهما في أحلك الظروف، ولكن ها هما الآن، يخرجان من الجانب الآخر يداً بيد. في طريق عودتهما إلى المنزل، توقفا في متجرٍ صغيرٍ لبيع التحف. اشترى غاري صندوق ملفاتٍ معدني مليء بالصور الورقية والمعدنية القديمة لإضافتها إلى مجموعته. وكانت هناك بعض الرسائل القديمة والصفحات المطوية

مكتبة ياسمين

الصفراء محفوظة بين الصور، بالإضافة إلى مظروفين. عندما فتح أحدهما، عثر على خاتمٍ صغيرٍ مضحك أعطاه لكاثرين، وقال لها وهو يضعه في إصبعها: «نحو بدايات جديدة». منحته قبلةً حينها. قبلةً من تلك القبلات الحارَة والمثيرة للدوار التي كانت تمنحه إياها أيام الجامعة..

وظنّت عندما أدارت الخاتم الصغير حول إصبعها أنهما سيبدآن من جديد.

ولكن عندما عادا من الرحلة، شعرت كاثرين على الفور بوجودِ شيءٍ غير طبيعي. عاد غاري للابتعاد عنها مجدداً، بل أسوأ من قبل هذه المرة. كان يمكث في الخارج لوقتٍ متأخر، ويغادر مبكراً، ويقضي ساعاتٍ في الاستوديو الخاص به الذي جهزه للعمل في الجزء الخلفي من شقتهما. عندما سألته كاثرين عما كان يعمل عليه، هزّ رأسه وقال: «لا شيء».

حاولت التواصل معه بكل طريقة ممكنة، طهت عشاءه المفضل، واقترحت عليه القيام برحلة أخرى على الدراجة النارية قبل أن يبرد الطقس كثيراً. حتى أنها طلبت منه أن يروي لها قصة عن الأشخاص في الصور التي يعمل على ترميمها.

فقال لها: «أنا لا أعمل على ترميم أي صور في الوقت الحالي». فماذا كان يفعل إذن، ساعةً بعد ساعة، داخل الاستوديو والباب مغلقٌ والموسيقى تصدح عالياً حتى تكاد تشعر بإيقاعها يهتز عبر أرضية المنزل؟

احتفظت بالخاتم الصغير الذي أعطاها إياه، وتأملته علّه يعيدها مع الوقت إلى الحالة التي وصلا إليها في الكوخ. لكن غاري بقي بعيداً وغامضاً.

كانت تخشى أن يعود إلى المكان المظلم الذي سجن نفسه فيه بعد وفاة أوستن. ولا تقصد المكان

مكتبة ياسمين

الذي لم تستطع كاثرين أن تتعرف فيه على زوجها وحسب، بل المكان الذي شعرت بالخوف منه بالفعل. لقد تحوَل إلى رجلٍ هش يشرب كثيراً، وبات عرضةً للانفعالات الجسدية العنيفة التي من شأنها تدمير معدات كاميرا يقدر ثمنها بألاف الدولارات أو تحطيم التلفزيون ذي الشاشة الكبيرة. ذات مرة، ربما بعد شهرين من وفاة أوستن، كسر غاري جميع كؤوس الشراب في المطبخ واستخدم إحداها لجرح ذراعه. النزيف البطيء للدم أكد لكاثرين أنه لم يقطع شرياناً رئيسياً، لكنه قد لا يكون محظوظاً جداً إذا حاول مرة أخرى.

قالت بصوت هادئ قدر المستطاع وهي تخطو نحوه ببطء: «غاري». «ضعه من يدكَ، يا عزيزي. ضع الكأس من يدكَ».

نظر إليها كما لو أنه لا يعرف من تكون، والحقيقة أنها هي أيضاً لم تعرف من يكون في تلك اللحظة. لم تجد خلف عينيه أيَ أثرٍ لغاري الذي وقعت في حبّه وتزوجته.

«غاري؟» قالت مرة أخرى، على أمل أن تتمكن من إيقاظه بلطفٍ من حلمٍ مزعج.

رفع قطعة الزجاج المكسور وتقدم خطوةً نحوها. فهربت من الشقة مذعورةً.

لم تنس نظرته تلك قطّ، نظرةً سوداء خاوية، مثل محاجر العين الفارغة.

قررا زيارة استشاري نفسي لعلاج الحزن في الأسبوع التالي. نتج عنها اعتذارات دامعة وبائسة، وتراجعت وتضاءلت نوبات الغضب تدريجياً. إلى أن توقفت تماماً في النهاية، واستبدل الغضب غير المحدود بالحزن البسيط. عاد غاري إلى طبيعته مرة أخرى، أو نسخة حزينة من نفسه في الواقع، ولكن

 مكتبة ياسمين

نسخة يمكن التعرف عليها على الأقل. فاعتقدت كاثرين أن كلَ شيء ربما عاد مقبولاً.

وعندئذٍ، في أكتوبر، بمجرد عودتهما من عطلة نهاية الأسبوع تلك، بدا أن جميع علامات التحذير قد عادت. لقد سمح غاري لوحش الحزن بالسيطرة عليه مجدداً. ولم تعد واثقةً من قدرتها على التحمل.

ثم غادر في صباح أحد الأيام إلى جلسة تصوير، وفي وقت لاحق من تلك الليلة كانت تدفن وجهها في الأريكة، تصرخ في وسائدها وتضربها حتى مزقتها بعد أن طرق اثنان من ضباط الشرطة بابها.

رغم عدم يقينها من كيفية تصميم وجبته النهائية داخل الصندوق، قررت بدء العمل على التصميم الخارجي، ومنح الصندوق واجهةً من الطوب، مما يجعله يبدو مثل مقهى لولو. ولكن عندما بدأت بطلاء اللافتة فوق الباب، لم تتمكن من العثور على أي من فرش الطلاء الصغيرة التي تملكها. لا بد أنها في صندوقٍ ما، لكنها أفرغت للتو جميع الصناديق التي كتب عليها «أدوات الفنون». تنهدت كاثرين محبطة.

ولكن وقع نظرها على صندوق معدات غاري الأحمر الذي كان يستخدمه لتنظيم لوازم تنظيف وترميم الصور القديمة التي جمعها. لا بد من وجود فرشاة صغيرة هناك، إذ غالباً ما كان يستخدم شيئاً كهذا للتنظيف اليدوي. رغم أن معظم الناس باتوا يرممون الصور بواسطة الكمبيوتر هذه الأيام، على عكس غاري.

فتحت الصندوق فوجدت فيه علبة من الهواء المضغوط، وقفازات قطنية بيضاء، ومسحات قطنية، وفرشاة وأقمشة تنظيف ناعمة، وكحول وأصباغ ومسحوق حبر، وهناك، في الأسفل، في

مكتبة ياسمين

علب بلاستيكية لكل منها، وجدت الفرش، ومن بينها الفرشاة التي تحتاجها.

وعندما رفعت العلبة وجدت كتاباً صغيراً مدسوساً تحتها. أمر غريب.

مكتبة ياسمين

زوار من الجانب الآخر
اليوميات السرية لسارة هاريسون شي

شعرت وكأنها نكتة مضحكة، كتاب دسه غاري هناك لتجده هي؛ أهذا ما أصبحت عليه الان؟ زائرة؟

سحبت الكتاب، وفتحته على الصفحة :12

لقد شعرت باليأس منذ ذلك الحين. طريحة الفراش. والحقيقة أنني أدركت عدم جدوى المضي قدماً. لو كان لدي القدرة على النهوض من فراشي لهبطت السلم وأخذت بندقية زوجي وضغطت على الزناد وهي داخل فمي. لطالما تخيلت نفسي أفعل ذلك. تصورت الأمر كله. وحلمت به. شعرت بنفسي أطفو على تلك السلالم، أحمل البندقية، وأتذوق طعم البارود.

لقد قتلت نفسي مراراً وتكراراً في أحلامي.

وأستيقظ باكية يقتلني الأسى لأنني ما زلت على قيد الحياة، عالقة في جسدي البائس وحياتي البائسة. وحيدة...

نسيت كاثرين أمر حقيبة الفرش وابتعدت عن طاولة العمل تحمل بيدها الكتاب الصغير المريب. عبرت غرفة المعيشة، وأخذت علبة السجائر والولاعة عن طاولة القهوة ثم جلست على الأريكة وعادت تقرأ الكتاب من الصفحة الأولى.

مكتبة ياسمين

روثي

قالت باز وهو يحمل المسدس الذي وجدوه تحت أرضية غرفة والدتها: «إنه محشو بالتأكيد». أبقى إصبع السبابة بعيداً عن الزناد، ووضعه على طول الأسطوانة المعدنية. جلسا جنباً إلى جنب على سرير والدتها. روثي تحمل زجاجة جعة. ووضع باز زجاجته الباردة على الطاولة بجانب السرير. لكن روثي شعرت بالقلق من أن هذا سيترك دليلاً قاطعاً على أنهما كانا هنا. فوضعت الزجاجة على الأرض ومسحت سطح الطاولة بأكمامها.

كانت الساعة العاشرة وفون تغط في النوم. لقد عانت من الحمى حتى بلغت حرارتها 102. وثابرت روثي على إعطائها التايلينول كلّ أربع ساعات لتبقيها منخفضة. حتى أنها حضرت بعضاً من شاي والدتها مع الأقحوان ولحاء الصفصاف وقدمته لفون. وعندما نامت فون اتصلت بـ باز وطلبت منه المجيء. فجاء ومعه ست زجاجاتٍ من الجعة.

«أترين؟ انظري هنا»، قال باز، ورفع المسدس لترى التفاصيل الداخلية. «تحمل الأسطوانة ست خراطيش. ست طلقات. إنه مسدس قديم، لكنه جميل جداً، وفي حالة جيدة. لقد حافظت والدتك عليه نظيفاً ومزيتاً».

«هل أنت متأكد؟». سألت روثي دون أن تصدَق أن والدتها يمكن أن تلمس مسدساً حتى.

«حسناً، ثمة من فعل ذلك. وهذه غرفة نومها، صحيح؟ ولكن من المألوف بالنسبة لامرأةٍ تعيش وحدها هنا مع أطفالها أن ترغب بوجود حماية من نوعٍ ما. يبيع والدي مسدساتٍ للنساء أكثر من الرجال».

مكتبة ياسمين

ارتعش جسد روثي لكنها ألقت نظرة عن قرب. «كيف يعمل؟»

قال باز وقد أشرقت عيناه تماماً: «أمر بسيط». كان يحبّ الفرص التي تجعله يبدو خبيراً في شيء ما. يدير والد باز متجر آي بولز للرماية والذخيرة على الطريق 6. فترعرع باز محاطاً بالبنادق وتعلم الصيد مذ كان في الثامنة من عمره. «ما لدينا هنا هو مسدس كولت أحادي الحركة. هذا مزلاج الأمان. عليك دفعه إلى الوراء. ثم استخدمي إبهامك لسحب المطرقة نحو الأسفل حتى تنقر. بعد ذلك، عليك فقط أن تصوبي وتضغطي على الزناد فيحرر الزناد المطرقة، ويطلق الرصاص».

أدار باز المسدس بيده. «يمكننا تجربته غداً إن شئتِ. يمكن أن أعلمك الرماية بهذا المسدس».

هزت روثي رأسها. «ستقتلني أمي».

أومأ برأسه وأعاد المسدس إلى الصندوق بعناية واحترام.

قال وهو يخلع قبعة البيسبول ويمرر يده خلال خصلات شعره القصير: «ما زلت لا أصدق أنها اختفت على هذا النحو».

قالت روثي: «أعرف». «ذلك ليس من طبعها. إنها غريبة بعض الشيء، لكنها جديرة بالثقة فعلياً. وملتزمة. إنها بالكاد تذهب إلى البلدة، واليوم رحلت واختفت من على وجه الأرض. هذا غير منطقي».

«ما الذي تنوين فعله إذن؟ أعني، إذا لم تظهر؟»

«لا أعرف». تنهدت روثي. «فكرت في الاتصال بالشرطة إذا لم تعد الليلة، لكننا وجدنا هذه الأشياء. وبتّ لا أعرف حقاً ماذا أفعل. ماذا لو أنها تورطت في شيء... غير قانوني؟»

مكتبة ياسمين

أومأ برأسه. «ربما من الجيد أنك لم تتصلي بالشرطة.

فالعثور على المسدس والمحفظة يثير تساؤلات كثيرة».

قالت روثي باستسلامٍ: «أعرف». بدت مستحيلةً فكرةُ أن والدتها المتواضعة المحبة لشاي الأعشاب متورطةٌ في فعلٍ إجرامي.

ما الذي لم تعرفه روثي أيضاً؟ ما الذي يمكن أن ينكشف إذا اتصلت بالشرطة؟

بقي باز هادئاً لمدة دقيقة. «لعلهم الفضائيون». «اللعنة»، قالت روثي. «أنا لست في مزاج جيد للحديث عن نظريات الفضائيين الآن».

«لا، لا، أنا جاد. اختطفها الفضائيون. يحدث ذلك طوال الوقت. يمتصونها عبر الأشعة الساحبة ويجرون التجارب ويحقنون المسابر وما إلى ذلك، ثم يتركونها تذهب على بعد أميالٍ أحياناً من مكان اختطافها، بعد مسحِ ذاكرتها. وأنت تعرفين ما رأيته أنا وتريسر في الغابة على بعد أقل من ميلٍ من منزلكم».

تذكرت روثي الغابة المعتمة والصخور النافرة مثل الأسنان التي جعلتها تشعر كما لو كانت على وشك أن تبتلع.

«بربك، باز. أنا أحتاج بعض المنطق هنا».

«حسناً. ولكن هل يمكنني فقط أن أشير إلى شيء واضح نوعاً ما؟» سأل باز.

هزت كتفيها باستهجان.

«حسناً، هل فكرت يوماً في الطريقة التي تعيشون بها؟ أتدرين أنكم معزولون نوعاً ما عن العالم هنا، وبالكاد تستقبلون أيَ زوار، و رقم هاتفكم غير

مكتبة ياسمين

مسجل، وتنشرون لافتات عدم التعدي في كل مكان».

قالت روثي: «أنت تعرف طباع أمي، إنها غريبة الأطوار تماماً. وكان والدي مثلها. لهذا السبب انتقلا إلى هنا من شيكاغو عندما كنت في الثالثة. لم يرغبا في أن يكونا جزءاً من الآلة. أرادا العودة إلى الأرض، وعيش هذا الحلم الطوباوي الهيبّي السعيد مع الدجاج وحديقة الخضروات والخبز الطازج بالحبوب الكاملة».

«ماذا لو كان الأمر أكثر من ذلك؟» سأل باز. «ما قصدك؟»

«أقصد أنه في بعض الأحيان، إذا فضّل الناس عدم العثور عليهم، فلا بدّ من وجود سبب وجيه لذلك».

صمتا لمدة دقيقة.

قالت: «سأذهب لتفقد فون». «وعندما أعود، سنحاول فتح الخزانة».

وعبرت الردهة باتجاه غرفة فون. في الوهج الناعم للمصباح الليلي في غرفة فون، وجدت شقيقتها الصغيرة ملتفة تحت لحاف، وروسكو يهرهر بسعادةٍ فوقها. سقطت ميمي على الأرض.

«مرحباً أيها العجوز. هل تعتني بفون؟» سألت روثي وهي تداعب القط. «أحسنت». مدت يدها إلى جبهة فون. لا تزال دافئة، لكن الحمى تراجعت. التقطت ميمي، ووضعتها بجوار فون، وسحبت اللحاف لتدثرهما معاً

أبلغت باز في غرفة والدتها: «أعتقد أن حرارتها انخفضت».

«هذه أخبار جيدة».

«أجل. طفلة مسكينة. من المؤسف أنها مريضة

مكتبة ياسمين

الآن في غياب والدتي».

ابتسم باز. «أنت بقربها الآن».

«نعم، ولكن من الأفضل أن تظهر أمي قريباً. لا أستطيع الاعتناء بطفل. كان عليك أن تراني وأنا أحاول اكتشاف جرعة التايلينول التي علي أن أعطيها لها. لم أعرف حتى ما وزنها، واضطررت لسؤالها».

أخذ باز يديها في يده. قال لها: «أنت تبلين بلاءً حسناً». «لا تقسي على نفسك».

قالت روثي: «كما تشاء». «الآن دعنا نرى ما حال تلك الخزانة».

أخذ باز العتلة التي وجدتها روثي في الحظيرة وذهب إلى العمل. وقفت روثي خلفه وراقبته وقد اعتراها التوتر فجأةً بشأن ما قد تجده في الداخل. في أقل من خمس دقائق، أزال باز الألواح العلوية والسفلية.

«هل تودين نيل هذا الشرف؟» سألها، وهو يبتعد عن باب الخزانة.

هزت روثي رأسها. «لا، تفضل أنت».

قال باز: «حسناً إذن». أبقى العتلة المعدنية الثقيلة في يده اليمنى تحسباً، وأدار المقبض وسحب الباب ببطء.

«لا شيء». أدخل رأسه لينظر بدقةٍ أكثر. «فقط بعض الثياب». تراجع وعاد ليجلس على السرير مع جعته وقد خاب أمله.

تقدمت روثي نحو الخزانة لتلقي نظرةً.

كان باز على حق، لم تجد شيئاً غير عادي في الداخل. قلبت روثي الملابس على الشماعات، كانت قمصان والدها المألوفة، وقمصان والدتها ذات

مكتبة ياسمين

الياقات وملابسها الصوفية. وثمة كومة من الكنزات الصوفية على الرف في الأعلى. صنادل وأحذية ركض في صفوف مرتبة على الأرض في الأسفل.

كانت والدتها تحتفظ بمعظم ملابس والدها بعد وفاته، كما لو كانت تتوقع عودته. تحققت من أن باز لم يكن ينظر، ودفنت روثي وجهها في أحد قمصان والدها المنقوشة القديمة المعلقة في الخزانة في محاولة لالتقاط رائحة منه. فلم يعانق أنفها سوى رائحة الصنوبر والغبار.

لم تشعر بالارتياح لوجودها داخل الخزانة، وإن كان بابها مفتوحاً. لطالما أخافتها الأماكن الضيقة الصغيرة. وفي أسوأ كوابيسها، تجد نفسها محاصرة في غرف صغيرة، أو تضطر إلى الهرب منها من خلال ممرات ضيقة بالكاد يمكن أن تدخل فيها. وكانت دائماً تعلق وتستيقظ لاهثةً تصرخ.

أخرجت روثي أكبر قدر ممكن من جسدها خارج الخزانة الآن وراحت تبحث بين الملابس وهي تفكر كم هو غريب أن والدتها أقفلت الباب على مثل هذه الأشياء. ألم ترتد هذه السترة الخضراء الأسبوع الماضي؟ بحثت روثي داخل جميع الجيوب، وحتى داخل الأحذية. ولكن كلَ ما وجدته علبتي ثقابٍ ونصف لفةٍ من علكة لايف سيفرز مغطاة بالوبر. أخرجت جميع الأحذية، ونظفت الأرضية، وضغطت فوق حواف ألواح الأرضية بحثاً عن مقصورة سرية أخرى.

قال باز وهو يحدق في الخزانة: «ما زلت أرى أن الأمر غريب للغاية».

«نعم، لماذا تحاول إبعاد الناس بهذه الطريقة؟ كلَ ما لديها هنا هو مجموعة من الأحذية القديمة والقمصان القديمة».

مكتبة ياسمين

هز باز رأسه. «ليس هذا ما يزعجني. يبدو لي أنها كانت تحاول إخفاء شيء ما».

ضحكت روثي ضحكة صاخبة، وراقبت باز يمزق ملصق زجاجة الجعة التي في يده.

شعرت بالغرابة و الإثارة لوجود باز هنا في المنزل، بل وفي غرفة والدتها بالذات. لم تفكر والدتها كثيراً في علاقتها مع باز، وأوضحت أنها تعتقد أن روثي يمكن أن تجد صديقاً أفضل من هذا الولد المدمن الذي يعمل في ساحة الخردة لدى عمه.

قالت لها والدتها ذات مرة: «أرى أن الصبي وسيم، لكنه ليس الشخص الذي أتخيل حياتك معه».

«ومع من تتخيلين حياتي إذن؟» سألت روثي بغضب واضح.

فكرت والدتها لبرهةٍ. «مع شخصٍ لم يقض كلَّ وقته يبحث في السماء عن الأطباق الطائرة. إنه يلفت الكثير من الانتباه لنفسه بهذه الطريقة. رأيت منشوراً في سوق المزارعين - لقد أطلق مجموعة لصيد الأطباق الطائرة أو شيئاً من هذا القبيل. وكتب في النشرة أنه يعتقد أن يد الشيطان بقعة ساخنة للفضائيين».

هزَت روثي كتفيها.

قالت والدتها: «هذا ما ينقصنا». «باز وفرقته السعيدة من المجانين يتجولون في غابتنا».

قالت روثي: «إنها ليست غابتنا».

قالت والدتها وهي تمص شفتيها: «ومع ذلك». «يحتاج الصبي إلى التفكير بعقلانية بعض الشيء».

قالت روثي وهي تندفع خارج الغرفة: «أنت لا تعرفين من يكون على الإطلاق».

إنَ باز الشخص الأكثر عقلانية واستقراراً الذي

مكتبة ياسمين

عرفته يوماً. نعم، لديه بعض الأفكار الغريبة، وإن يكن؟ إن لديه شخصية قوية للغاية. لقد أدركت أن والدتها لا تثق بالأشخاص الذين لا تعرفهم، ولكن، مع ذلك، غضبت روثي لأن والدتها لا تثق بحكمها عليه.

لكن الآن بعد رحيل والدتها، كلّ هذا يبدو سخيفاً وصغيراً. إن قدَر لوالدتها أن تعود، فإن روثي ستغير سلوكها كلياً. كانت تصر على دعوة باز على العشاء لتشهد والدتها كم كان شاباً رائعاً ومميزاً عندما تتعرف عليه عن كثب. حتى أنها ستأخذ أمها لترى تماثيله. من يدري، ربما، بفضل علاقات والدتها مع الفنانين الحرفيين، قد تطرح عليه بعض الأفكار لتسويق أعماله، ولعله في يوم من الأيام يكسب لقمة العيش بفضلها. انضمت إلى باز على السرير، والتقطت كتاب «الزوار من الجانب الآخر»، وقلبته لإلقاء نظرة على صورة منزلها الذي تقف أمامه سارة هاريسون شي.

قال باز: «من الغريب حقاً أنها تعيش هنا». «أعني، كنت أعرف أنها من ويست هول، ولكن -»

«مهلاً، هل سمعت عنها من قبل؟»

استقام باز في جلسته. «بالتأكيد. سارة هاريسون شي من الأشخاص الأكثر شهرة الذين عاشوا في ويست هول. حتى أنني قرأت الكتاب، ولكن قبل أن ألتقي بك بمدة طويلة. أعتقد أنني لهذا السبب لم أتعرف على منزلك. هذا جنون».

لم يكن باز جيداً في المدرسة، بل من أولئك الأشخاص الذين يتعلمون عن طريق الممارسة، وفي المدرسة الثانوية، واجه صعوبة دوماً في حفظ الأشياء ثم بصقها مرة أخرى على أوراق الاختبارات. لقد أبلى بلاءً حسناً في كلّ ما يتعلق بتكنولوجيا السيارات العملية، ولكن أعطه اختباراً

مكتبة ياسمين

مدرسياً مفاجئاً وسوف يفشل فشلاً ذريعاً. كان قارئاً بطيئاً جداً، واشتبهت روثي في أنه يعاني من عسر القراءة، لكنها لم تقل ذلك أبداً لأنه يكره من يعتقدون أنه غبي.

«إذن كانت مشهورة بسبب هذا الكتاب؟»

«أجل. وحققت شهرة واسعة في بعض المحافل».

أومأت روثي برأسها. على الرغم من قراءته البطيئة، قرأ باز الكلمات ببراعةٍ عندما يتعلق الأمر بنظريات خوارق الطبيعة والمؤامرات. بالطبع سيعرف كلَ شيء عن السيدة الغريبة التي رأت الموتى.

«تعني، بين الأشخاص الذين يؤمنون بالأشباح وما إلى ذلك؟ من هي؟ وسيطة أو شيء من هذا القبيل؟»

«لم تكن روحانية وحسب، ليس بالمعنى التقليدي على أي حال. ادعت أن الموتى يمكن أن يعودوا إلى الحياة فعلاً. ليس مثل الأشباح، بل مع أجساد حقيقية من لحم ودم».

شعرت روثي بالقشعريرة تجتاح جسدها؛ نظرت إلى صورة سارة في ظهر الكتاب.

وتابع باز: «لكنني أعتقد أنها اشتهرت بسبب كيفية موتها». «والمقالات التي نشرتها ابنة أخيها، والتي تبدو مثل لغز جريمة قتل حدثت في الواقع».

قالت روثي: «كل ما تقوله المقدمة يوحي بأنها قتلت بوحشية».

«هذا واضح».

«فما الذي حدث إذن؟» سألت.

نظر إليها باز بشرود. «هل تودين حقاً معرفة ذلك؟» أومأت روثي برأسها حين رأت أنه يتوق

مكتبة ياسمين

بشغفٍ لإخبارها.

فضلاً عن أنه لا يمكن أن يكون حديثاً بهذا السوء؟

أخذ نفساً عميقاً. «حسناً. عثر عليها في الحقل خلف منزلها، أو ربما يجب أن أقول، خلف منزلكم». توقف لبرهة هنا، يراقب ملامحها، وهو يعلم أنه يثير خوفها ويستمتع بكل ثانية.

قال بصوتٍ يبدو مخيفاً مثل صوت فنسنت برايس: «لقد سلخ جلدها». «نزعوه مثل قشرة العنب. وهل تعرفين الجزء الأكثر رعباً؟ يقولون أنَ أحداً لم يعثر على جلدها قطَ». صرخت روثي برعبٍ، وحاربت غريزتها لتطلق صيحة رعبٍ أنثوية: أووووه.

«لا أصدق ذلك»، قالت وهي تستقيم في جلستها لترتشف آخر جرعة من زجاجة الجعة. «هذا مختلق تماماً».

«لا»، قال باز وهو يرفع إصبعين: «أقسم بشرف الكشافة. قالوا إن زوجها مارتن هو من فعل ذلك. طبيب البلدة، و شقيق مارتن، وجده بجانب جثتها وفي يده مسدس مغطى بالدماء ويبدو في حالة جنون. أطلق النار على نفسه أمام ناظري أخيه مباشرة».

صارت عيون باز كبيرة ومتألقة. غمره الحماس كما حدث عندما روى لها إحدى قصصه الفضائية.

«ثمة المزيد أيضاً. قال جدي إن والده أخبره أنه بعد وفاتها، شاهد الناس سارة تمشي في المدينة أحياناً في وقت متأخر من الليل».

«ماذا، تقصد مثل الشبح؟» كان شعور روثي حيال الأشباح يشبه شعورها حيال الأطباق الطائرة.

«لا. بل مثل شخص حقيقي يرتدي جلدها!»

مكتبة ياسمين

«حسناً، لقد تجاوزت الحدود رسمياً. هذا أكثر من مقزز».

«ناهيك عن أنه هراءٌ واضح!»

«هذا حقيقي. اسألي من تشائين. وقعت بعض الوفيات الغريبة، وألقى الناس اللوم على سارة، أو مهما كان ذاك الذي يتجول في جلدها. لذلك بدأ الجميع في القرية يضعون هدايا على شرفاتهم من أجلها، طعاماً وأموالاً أو مطرباناتٍ من العسل. كانت تمشي في أرجاء البلدة وتجمعها في وقت متأخر من الليل. وكلما اكتمل القمر، كانت البلدة بأسرها تضع لها الهدايا. وبعض الأشخاص المسنين مثل سالي جنسن التي تقطن على طريق بولروش؟ لا تزال تفعل ذلك حتى اليوم».

هزت روثي رأسها لا تصدق ما يقول. «مُحال».

«سأثبت ذلك. عند موعد اكتمال القمر القادم، سنذهب في جولةٍ معاً في أرجاء البلدة. سأريك العطايا الموضوعة هنا وهناك على الشرفات وعتبات الأبواب».

«ولكن كيف لم أسمع عن أيٍ من هذا من قبل؟»

هز رأسه، ووضع زجاجة الجعة الفارغة، ثم أسند ظهره على السرير، وعقد يديه خلف رأسه. «أعتقد أن الناس لا يتحدثون عن ذلك كثيراً. تحدث جدي عن الأمر مرةً واحدة فقط، عندما كان لطيفاً وثملاً في احتفال عيد الشكر. وبدا يومها خائفاً حرفياً».

هزت روثي رأسها، واستلقت على السرير بجانب باز، وأغلقت عينيها. لقد كان يوماً طويلاً ومرهقاً. وشعرت بالحاجة لأن ترتاح لدقائق وحسب.

وفجأة عادت بذاكرتها إلى متجر فيتزجيرالد، وهي تمسك بيد والدتها. كان ضوء الفلورسنت يومض

مكتبة ياسمين

فوق رأسيهما ويزداد تعتيماً باطراد.

«ماذا تختارين يا حمامتي؟» سألتها والدتها التي أمسكت يدها بإحكام. شعرت أن المخبز يتقلص من حولهما وتقترب الجدران.

حدقت روثي في صفوف الكعك والبسكويت وأشارت إلى الكعكة الوردية. صار السقف أدنى إليهما الآن.

نظرت نحو الأعلى لترى والدتها تبتسم. والغريب مرة أخرى، أنها كانت امرأة طويلة ونحيلة تضع نظارات ذات إطار صدفي على شكل عيون القطط. لم يكن المخبز أكبر بكثير من الخزانة الآن، وأصبح كلّ شيء مظلماً للغاية. كان المصدر الوحيد للضوء هو الواجهة الزجاجية التي تحمل الكعك، والتي بدت متألقة ومتوهجة.

شعرت روثي بذلك الذعر القديم المألوف الذي رافق وجودها في مثل هذا المكان الصغير الضيق. راحت تتنفس بسرعة كبيرة وهي تلهث بفم مفتوح مثل الكلب.

قالت المرأة: «اختيار جيد يا حمامتي»، ثم مدت يدها إلى رأسها من الخلف وسحبت سحاباً. فخرج كامل شكلِ والدتها متقشراً، تاركاً كيساً من اللحم الأحمر النازف مع ثقب للفم.

حاولت روثي الصراخ لكنها لم تستطع. استيقظت مذعورةً وقلبها يدق بعنف.

طرفت عيناها بقوة. كانت قرب باز مستلقيةً على سرير والدتها فوق الأغطية. وباز يشخز بهدوء. كان المصباح لا يزال مضاءً يومض مثل العين. لمحت حركةً إلى جانبها الأيمن، شيء ما في الخزانة. التفتت؛ فتحرك الظل. القط؟ لا، كان حجمه أكبر من روسكو. جلست وحاولت استنشاق نفسٍ عميق؛

مكتبة ياسمين

ومن الزاوية الخلفية للخزانة لمحت بريق عينين.

هلع باز من السرير بجسدٍ جامد. «ما هذا؟»

أشارت روثي إلى الخزانة بيدٍ ترتعش. «يوجد شيء ما في الداخل»، قالت وهي تشعر بجفافٍ شديد في حلقها جعل من الصعب عليها أن تنطق. «إنه يراقبنا».

وضع باز قدميه على الأرض في غضون ثانيتين والعتلة في يده. اتجه إلى الخزانة وأزاح الملابس عن الشماعات.

وقال: «لا شيء هنا».

هزت روثي رأسها، هبطت من السرير، واقتربت من الخزانة بحذر. لم يكن هناك شيء سوى الصفوف المألوفة من الأحذية، وملابس والديها على الشماعات. ولكن ثمة شيء مُختلف. بدا الهواء في الخزانة غريباً ودهنياً و مستهلكاً. وكانت هناك رائحة نفاذة غريبة، رائحة مألوفة لها، لكنها لم تستطع تحديد أين صادفت رائحة كهذه من قبل.

«إنه مجرد حلم سيء على الأرجح؟» قال باز، وهو يمسّد شعرها. قالت: «نعم، ربما»، وأغلقت باب الخزانة بقوة على أمل أن تتمكن من قفله.

مكتبة ياسمين

1908

زوّارٌ من الجانب الآخر

اليوميات السرية لسارة هاريسون شي

15 يناير 1908

أصبحت الأمور غريبة للغاية؛ أشعر كما لو أنني أطفو خارج جسدي، أراقب نفسي ومن حولي بالفضول نفسه الذي أشعر به حين أشاهد الممثلين على خشبة المسرح. غرقت طاولة مطبخنا تحت أكوامٍ من أطباق الطعام الذي تجلبه النساء: الخبز البني، والفاصوليا المخبوزة، ولحم الخنزير المدخن، والفطائر، وحساء البطاطا، وخبز الزنجبيل، ورقائق التفاح، وكعكة الفواكه المنقوعة في الشراب. أثارت رائحة الطعام اشمئزازي. كلَّ ما أستطيع التفكير فيه هو كم كانت جيرتي ستحبها كلها ولا سيما خبز الزنجبيل الطازج المغطى بالكريمة المخفوقة. لكن جيرتي رحلت والطعام يأتي بلا توقف.

ها أنا أومئ برأسي، أصافح الناس، أستقبل عناقهم وطعامهم وإيماءاتهم اللطيفة. نظفت كلوديا بيميس المنزلَ من الأعلى إلى الأسفل وأبقت إبريق القهوة ممتلئاً. وقطع الرجال الحطب وأدخلوه حزماً إلى المنزل ونظفوا الفناء.

وظلَّ لوشيوس بجانب شقيقه مارتن. قضى الاثنان معظم يوم أمس في الحظيرة يبنيان نعش جيرتي.

وعلى امتداد اليومين الماضيين، حضر الكثير من الناس لتقديم التعازي والتعبير عن أسفهم. لكن كلماتهم بدت فارغةً من أي معنى. باهتة. فقاعات فارغة تطفو إلى السطح.

باتت جيرتي مع الملائكة الان. نحن جميعاً نصلي لأجلكم.

مكتبة ياسمين

دخلت معلمة المدرسة، دليلة بانكس وهي تصيح، وتقول من خلال الدموع: «كانت جيرتي تحمل في عقلها خيالاً لا حدود له». «لا أستطيع أن أخبرك كم سأفتقدها».

وذرفت الدموع بغزارة حتى بللت وجهها وهي تقول مرة تلو الأخرى: أنا آسفة للغاية. نحن آسفون جداً.

لا أحتاج تعاطفهم، أريد عودة جيرتي، وإذا لم يكن بوسعهم منحي هذا، فلا أبالي بأن يذهب العالم إلى الجحيم ويأخذ معه دموعهم وفطائرهم وخبز الزنجبيل.

وجد شيب المسكين مكاناً له عند قدمي كرسي جيرتي في المطبخ. جلس هناك طوال اليوم، وبدا متفائلاً في كلَ مرة يسمع فيها شخصاً يدخل الغرفة، ليعود ويسند رأسه بحزن على مخالبه الأمامية عندما يدرك أن القادم ليس جيرتي.

قالت ابنة أخي، أميليا: «يا له من مسكين»، وجلست على ركبتيها لتمسّد رأس الكلب وتطعمه بقايا طبقها. تصرفت أميليا بلطف شديد. وأصرت على البقاء معنا بضعة أيام للمساعدة في بعض الأمور. إنها في الحادية والعشرين من عمرها وتتمتع بشخصية مميزة وقوية الإرادة.

أحضرت لي الليلة الماضية شراباً دافئاً قبل النوم وأصرَت على شرب الكوب بأكمله. وأوضحت: «يقول العم لوشيوس إنه مفيد لك».

ثم أخذت الفرشاة وراحت تفك التشابك في خصلات شعري. لم أكن قد مشطت شعري بالفرشاة منذ كنت طفلة صغيرة.

«هل يمكنني إخبارك سراً؟» سألت أميليا. أومأت

مكتبة ياسمين

براسي.

همست لي: «الموتى لا يغادروننا أبداً»، كانت شفتاها بالقرب من أذني لدرجة أنني شعرت بدفء أنفاسها. «هناك مجموعة من السيدات في مونبلييه يجتمعن مرة واحدة في الشهر ويتحدثن مع أولئك الذين عبروا. لقد حضرت اجتماعاتهم عدة مرات حتى الآن، وسمعت الأرواح تقرع على الطاولة. يجب أن تأتي معي، عمتي سارة»، قالت بإلحاح واضح. «بمجرد أن تشعري بأنك قادرة على ذلك، سنذهب إلى هناك».

قلت: «لن يوافق مارتن». همست: «إذن لن نخبره».

لم يكن مارتن مرتاحاً، بل كان بطبعه خجولاً وأخرقاً ومرتبكاً. فيما مضى كنت أجد هذه الأشياء صبيانية ولطيفة ومحببة؛ واليوم أتمنى لو كان رجلاً مختلفاً، رجلاً أكثر ثقةً بنفسه. لقد بتّ أحتقر الطريقة التي يتجنب بها النظر في عيني أي شخص، كيف يمكنني الوثوق برجل مثل هذا؟ قبل مدة طويلة، كنت أحبّ إصابته بالعرج حتى، لأنها تذكرني على نحوٍ ما بكل ما قدمه لعائلتنا، وسعيه المستمر لمنحنا الدفء والشبع، والحفاظ على استمرار المزرعة مهما حدث. والآن أشعر بالقرف من طريقة جرّ قدمه المعطوبة على الأرض بتثاقلٍ؛ إنها مثال الضعف والفشل. أعلم أن هذا خطأ، وهذا يثير اشمئزازي، هذا السم الجديد الذي يتكاثر في داخلي، لكنني لا أستطيع منع نفسي.

في أعماقي، أفهم السبب الحقيقي لهذه المشاعر، فأنا ألوم مارتن على ما حدث لجيرتي. لو لم تتبعه إلى الغابة ذلك الصباح لكانت بجانبي الآن.

«سنتجاوز هذا الحزن»، قال لي وهو يضغط على يدي بيده الباردة الرطبة مثل السمكة. ابسم لي

مكتبة ياسمين

ابتسامة دافئة ومحبة، ولكن وراء ذلك أرى قلقه.

ولا أقول شيئاً. لا أقول إنني لم أعد أرغب في تجاوز هذا الحزن. وأن أكثر ما أريده هو التسلل بعيداً ورمي نفسي في قاع ذلك البئر حتى أكون مع جيرتي مرة أخرى.

حتى الكاهن آيرز لا يستطيع منحي أي شعورٍ بالراحة.

جاء بعد ظهر اليوم لمناقشة التأبين وترتيبات دفن جيرتي. حاولت تأجيل هذا النقاش، لكن اليوم مارتن ولوشيوس أعلنا أنه حان الوقت، لقد انتظرنا بما فيه الكفاية.

جلسنا على الطاولة أمام أكواب القهوة التي أصبحت باردة. أحضر القس آيرز سلة من الكعك صنعتها زوجته ماري. وتبادلنا أطراف الحديث عن دفن جيرتي في المقبرة قرب كرانبيري ميدو مع عائلة مارتن، ولكن لم أفهم ذلك. قلت: «إنها تنتمي إلى هذا المكان». أومأ مارتن برأسه، وفتح لوشيوس فمه ليقول شيئاً لكنه تراجع عن ذلك.

ولذلك قررنا أن ندفنها في قطعة أرض عائلية صغيرة خلف المنزل، بجانب أخيها الصغير وأمي وأبي وأخي.

بينما كان القس آيرز يغادر، أمسك يدي. «يجب أن تتذكري يا سارة، أنَّ جيرتي في مكان أفضل الآن. إنها بجوار الربّ».

بصقت في وجهه.

فعلت هذا بشكل عفوي ودون تفكير، كما لو كان تصرفاً طبيعيا بالنسبة لي مثل شرب الماء عند العطش.

تخيلوا، لقد بصقت في وجه القس ايرز! لقد عرفت

مكتبة ياسمين

الرجل طوال حياتي، هو من عمدني، وزوجني أنا ومارتن، ودفن ابننا تشارلز. لقد عشت حياتي كلها أصدق تعاليمه، وأحيا كلمة الله. ولكن اكتفيت.

«سارة». قال لوشيوس، وهو ينظر نحوي بقلق ويسحب منديلاً أبيض نظيفاً من الجيب الأمامي لسرواله ويسلمه إلى القس.

مسح القس آيرز وجهه وابتعد عني. لم يبدُ غاضباً أو قلقاً بشأني، بل خائفاً مما قد أفعله بعد ذلك.

قلت: «إذا كان الله الذي تعبده وتصلي له هو الذي أحضر جيرتي إلى ذلك البئر، وهو من أخذها مني، فلا أريد أي صلة لي به بعد اليوم». «من فضلك غادر منزلي وخذ إلهك الشرير معك».

سيطر الذعر على مارتن المسكين وحاول إيجاد بعض الأعذار لي. قال: «أنا آسف للغاية»، بينما كان يمشي مع لوشيوس لوداع القس آيرز.

«لقد سيطر الحزن على أعصابها. ليست في كامل وعيها». لستُ في كامل وعيي.

لكن وعيي لم يتغير عما كان عليه. بيدَ أن قطعة منه باتت مفقودة الآن. قطعة على هيئة جيرتي بُترت من مركز وجودي.

وربما، بفضل هذا الحزن الجديد، صرتُ أرى الأشياء بوضوحٍ لأول مرة.

أفهم الآن أن مارتن لم يعرف حقيقتي قطّ. ثمة شخصٌ واحد فقط فعل ذلك، هو من أدرك حقيقتي كاملةً، ورأى كلَ الجمال جنباً إلى جنب مع القبح. إنَه الشخص الذي أشتاق إليه الآن.

عمتي.

لفترة طويلة، بذلت قصارى جهدي لإزاحة كلَ ذكرياتي عنها بعيداً. قضيت حياتي كلها في محاولة

مكتبة ياسمين

لإقناع نفسي أنها نالت ما تستحقه؛ وأن وفاتها، على الرغم من فظاعتها، كانت نتيجة أفعالها. لكن هذا لم يكن ما آمنت به في أعماقي يوماً. أكثر ما أفكر به هو كيف كان عليّ فعل شيءٍ ما لإيقافه. أقول بنفسي لو أنني وجدت طريقة لإنقاذها، لربما كانت حياتي ستصبح مختلفة. ربما كلَ المأساة والخسارات التي عانيت منها مرتبطة بطريقة ما بما فعلته ذات يوم عندما كنت في التاسعة من عمري.

من المضحك أنها أكثر شخص أشتاق إليه في أوقات كهذه، عندما انفطر قلبي وبتَ لا أرى أي معنى للاستمرار.

إنها الوحيدة التي تعرف ماذا تقول لي الآن، والوحيدة التي قد تكون قادرة على منحي الراحة الحقيقية. وأنا أعلم يقيناً أنها ستضحك لو أخبرتها أنني بصقت في وجه القس.

كانت ستهزّ رأسها وتضحك.

أخبرت عمتي مرةً أنّ: «القس آيرز يقول أن هناك إلهاً واحداً فقط». كان ذلك بعد أسابيع قليلة من رؤيتي لـ هيستر جيمسون في الغابة وسؤالي عمتي عن الراقدين. «وأنه من الخطأ الصلاة لأي شخص أو أي شيء غيره».

ضحكت العمة، ثم بصقت خلاصة التبغ البنية على الأرض. كنا نقود عربتها القديمة المليئة بجلود الحيوانات في رحلة إلى تاجر في سانت جونسبري. لقد قامت بالرحلة أربع مرات في السنة ودائماً ما كان يعطيها سعراً عادلاً مقابل الجلود. وتلك كانت المرة الأولى التي وافق فيها أبي على السماح لي بالقيام برحلة ليلية معها. قبل المغادرة، رشت العمة بعض التبغ على الأرض حول العربة وتلت صلاة رحلة آمنة للأرواح والاتجاهات الأربعة.

مكتبة ياسمين

«ينظر القس الشاب ايرز إلى البحيرة ولا يرى فيها سوى انعكاس وجهه؛ هذا ما يعنيه الله بالنسبة له. إنه لا يرى المخلوقات التي تعيش في أعماقها، واليعسوب الذي يحوم فوق سطحها، والضفدع النائم على وسادة الزنبق». كان وجه العمة مليئاً بالشفقة والاحتقار لأنها هزت رأسها وبصقت خلاصة التبغ مرة أخرى. «قلبه وعقله مغلقان عن الجمال الحقيقي للبحيرة، المكان الذي يكمن فيه كلَ سحرها».

أمسكت العمة اللجام، وقادت الحصان على طول الطريق الترابي الضيق المليء بالأخاديد بسبب عجلات العربات. في بعض الأحيان انتابتني شكوك بأن العمة لم تكن بحاجة إلى اللجام على الإطلاق؛ يبدو أن بوسعها جعل الحصان يفعل ما تريده تماماً من خلال التحدث إليه. كان لديها قدرة مذهلة على التواصل مع أي حيوان تقريباً؛ وبإمكانها استدعاء الطيور إليها، وتقريب الأسماك من شبكتها. ذات مرة، رأيتها تُقنع سنوراً بالخروج من وكره والاتجاه مباشرة نحو الفخ الذي نصبته له.

تابعنا طريقنا ببطءٍ. كان الهواء دافئاً وحلواً وتصدح في أرجائه أغنيات الطيور. كنا على بعد عدة أميال شرق المدينة الآن، محاطين بتلال خضراء متتالية تنتشر فوقها الأغنام ذات اللون الكريمي التي تتمايل راضية وهي تأكل أعشاب الربيع الطازجة.

قلت: «لكنه رجل ذكي». «لقد درس لسنوات. ويقرأ الكتاب المقدس كلَ يوم».

«يوجد أنواع مختلفة من الذكاء، سارة».

أومأت برأسي، وفهمت ما تعنيه. كانت العمة أذكى شخص عرفته؛ جاء الناس إلى كوخها الصغير

مكتبة ياسمين

في الغابة من جميع أنحاء البلدة لشراء العلاجات والأدوية، وتعاويذ الحبّ والمحاصيل الجيدة. لكن لم يتحدث أحد عن ذلك أو يعترف بأنهم دفعوا لعمتي مقابل شراب لعلاج سعال طفل، أو تعويذة سحريةٍ يرتدونها لجذب الحبيب.

«يقول القس آيرز عندما نموت، تذهب أرواحنا إلى السماء، لتكون مع الله».

«هل هذا ما تؤمنين به؟» سألتها العمة، وعيناها مثبتتان على الطريق الوعر أمامها.

أجبت: «ليس هذا ما علمتني إياه».

«وما الذي علمتك إياه؟» التفتت نحوي، ورفعت حاجبيها.

كانت العمة غالباً ما تطرح عليّ هذه الاختبارات الصغيرة، وعرفت أنه كان عليّ اختيار كلماتي بعناية، فإذا أجبت جواباً خاطئاً، ستتجاهلني لساعات وتتظاهر بأنني لم أكن هناك؛ وقد تذهب إلى حدّ عدم إعطائي نصيبي من الغداء أو العشاء. كنت قد تعلمت في سن مبكرة أن خيبة أمل العمة يعني دائماً دفع الثمن، وهو شيء عملت بجد لتجنبه.

«تقولين دائماً إنَ الموت ليس نهاية، بل بداية. وإن الأموات يعبرون إلى عالم الأرواح ومع ذلك يحيطون بنا».

أومأت العمة برأسها في انتظار المزيد.

قلت لها: «تعجبني هذه الفكرة» «فكرة أنهم يحيطون بنا ويراقبوننا».

ابتسمت عمتي.

كان ثمة جدول ضيق على يسارنا، وبما أنه كان يوماً صافياً، تمكنا من رؤية بلدة كاميل هامب في البعيد. على يميننا كان هناك صف أنيق من أشجار

مكتبة ياسمين

التفاح المزهرة وتفوح منها رائحة زكية وحلوة. والنحل يطنّ من زهرةٍ إلى زهرة، يطير في حالة سكرٍ، مثقلاً بحبوب اللقاح.

اقتربت من العمة في العربة؛ كانت يداها على اللجام أقوى يدين عرفتهما في حياتي. شعرت بالأمان والإثارة، وكأنني كنت في المكان الذي أنتمي إليه.

في وقت لاحق من تلك الليلة، بعد أن بعنا الفراء للتاجر في سانت جونسبري، خيمنا بجانب النهر في منطقة عشبية تحت شجرة الصفصاف. صنعت العمة لنا سريراً صغيراً من جلد الدببة والبطانيات في الجزء الخلفي من العربة. أشعلنا النار، وعندما اتقد جمرها قمنا بشيّ السلمون المرقط الذي اصطادته للتو على العصي، وقلبناه بلطف على الفحم المتوهج. أحضرت وعاء معدنياً واستخدمته لتحضير شاي حلو مليء بالأعشاب والجذور، وشربناه في أكوابٍ من الصفيح. بعد العشاء، وبعد اشتعال النار، عمدت العمة إلى مصّ عظام السمك حتى أزالت عنها كلّ بقايا اللحم. أكلت تقريباً كلّ جزءٍ من السمكة، حتى مقل العيون. ورمت الأحشاء للكلب باكشوت، الذي كان يتجول خارج المخيم وعاد يحملُ عشاءه الخاص، قنفذ الخشب الذي كان بطيئاً جداً للعودة إلى جحره.

لم يكن القمر ظاهراً، وحلّ الليل مظلماً كالحبر. لم نتمكن من رؤية أي شيء خلف دائرة الضوء التي أنارتها النار. لم يتحول العالم إلى شيء سوى الضوضاء: ثرثرة النهر، التي بدت مهدئة في وضح النهار، وحملت الآن همهماتٍ غريبة؛ ونعيق ضفدع من حين لآخر؛ ونعيق البومة البعيد.

«حدثيني عن مستقبلي»، توسلت وأنا ألتقط

مكتبة ياسمين

العشب الطويل الناعم الذي نما من حولي.

ابتسمت العمة، وتمددت مثل القط. «ليس الليلة. القمر ليس مناسباً لمثل هذه الأشياء».

ناشدتها «من فضلك» وأنا أسحب طرف معطفها كما فعلت عندما كنت طفلة صغرة. أحببت ذلك المعطف. الزهور الملونة على طول حوافه السفلية والخرز وريش النيص المخاطة بأنماط أنيقة على الكتفين وأسفل الياقة.

قالت: «حسناً»، وهي ترمي عظام السمك في النار وتمسح يديها الدهنيتين على تنورتها. مدت يدها إلى الحقيبة التي علقتها في حزامها وسحبت كمية صغيرة من المسحوق المطحون بعناية.

«ما هذا؟»

قالت العمة: «صه». ثم تمتمت بشيء لم أسمعه، صلاة أخرى، على ما أعتقد. أمنـية. تعويذة.

ورمت المسحوق في النار. فطقطق وهسهس، وجعل النار تتلألأ بظلالٍ من الأزرق والأخضر. وبدا أن الأغصان المتدلية من الصفصاف فوقنا التقطت الضوء والتوهج وتمايلت مثل أذرع صغيرة امتدت نحونا. في الخارج على الماء، كان هناك رذاذ من طائرٍ يهبط أو ربما بطة أو مالك الحزين.

حدقت العمة في النيران وكأنها تبحث عن شيء ما.

ثمّ، هل تخيلت ذلك؟ أم أن عمتي جفلت بالفعل وأشاحت بنظرها بعيداً؟ استنشقت الهواء بعمق شديد، كما لو أن النار سببت لها ألماً قوياً.

«ما الأمر؟» سألتها وأنا أنحني نحوها. «ماذا رأيت؟» قالت العمة وهي تشيح نظرها بعيداً عني: «لا شيء»، لكنني أعرفها جيداً بما يكفي لأقول

مكتبة ياسمين

إنها تكذب. لا بدَ أن عمتي رأت شيئاً فظيعاً في مستقبلي، شيئاً مظلماً بما فيه الكفاية ليجعلها تبتعد.

قلت: «أخبريني»، ووضعت يدي على ذراعها. «أرجوكِ».

دفعت يدي عنها كما لو كنت حشرة مزعجة. «لا يوجد ما أقوله»، صاحت عمتي.

«أرجوكِ»، قلت مجدداً وأمسكت ذراعها ولمست طرف معطفها الناعم. «أعلم أنكِ رأيتِ شيئاً».

تجهمت مقلتاها، ومدت يدها نحو ظاهرِ يدي وقرصته بقسوة. سحبت يدي بعيداً وعدت إلى مكاني.

«كما أخبرتكِ، القمر ليس مناسباً اليوم لمثل هذه الأشياء. ربما أخبرك في المرة القادمة».

نظرت العمة مرة أخرى إلى النار التي تضاءل اشتعالها وتلاشت جميع الألوان الزاهية. ابتعدت عنها أكثر وأحطت ركبتي بذراعي محاولة الحصول على بعض الدفء. آلمتني يدي حيث قرصتها، وتساءلت عما إذا كانت قد جرحتني ولكن فضلت عدم النظر. من الأفضل أن نتجاهل الألم ونتظاهر بأنه لم يحدث.

بعد لحظات قليلة من الصمت المزعج، نظرت نحوي. «ما يمكنني إخبارك به هو أنك فتاةٌ مميزة يا سارة هاريسون، لكنك تعرفين هذا يقيناً».

«في داخلك شيء يجعلك مختلفة عن الآخرين». ونظرت إلي بجديةٍ كبيرة جعلت صدري يضيق بما فيه. «شيءٌ يشع ذكاءً، ويمنحك نفس المواهب التي أمتلكها. البصيرة والسحر. إنه يجعلك أقوى مما ظننت. ويا عزيزتي سارة الصغيرة، دعيني أقول لك

مكتبة ياسمين

أمراً آخر». ابتسمت، وانحنت للأمام، وألقت بعصا أخرى فوق النار. فطقطقت وهسهست حين التقطت النار. «حين تكبرين وتنجبين طفلةً، ستنقلين لها هذه المواهب إليها مضاعفةً. ستسير تلك الفتاة بين العوالم. ستكون قوية مثلي، وربما أكثر. لقد رأيت ذلك في النار».

* * * *

كم أتمنى لو أنَ العمة هنا الآن، كم أتوق إلى رؤيتها. لديَ ألف سؤال أود أن أسألها إياه. لكن أولاً سأخبرها أنها كانت محقة في تلك الليلة عندما حدقت في النار، كانت جيرتي مميزة. لقد رأت أشياء لم يرها الآخرون. أشياء مثل الكلب الأزرق وأهل الشتاء. لقد تنقّلت بين العوالم.

أنا في السرير الآن. قبل قليلٍ جاء لوشيوس ليعطيني جرعتي الليلية من شراب الرمَ الدافئ. وسلمني علبة من الحلوى الشريطية.

قال لوشيوس: «هذه من آيب كوشينغ». أومأت برأسي، وشاهدته يضع الحلوى على طاولتي بجانب السرير. يدير آيب المتجر العام. إنه رجل قليل الكلام، لكنه أحب جيرتي. كان دائماً يقدم لها سراً أقراص الليمون والتوفي عندما نذهب لشراء السكر والدقيق، أو القماش والخيطان لفستان جديد.

نظر لوشيوس إليَ. كانت عيناه مشرقتين وصافيتين؛ قميصه غير مجعّد وبياضه ناصع. كيف تمكن من أن يبدو مرتباً هكذا على الدوام؟

«أين أميليا؟» سألته.

«في الطابق السفلي». «فكرت بأن أحضر الليلة لأطمئن عليك». وضع يده على جبهتي، ثم وضع إصبعين على معصمي متحسساً نبضي. «كيف تشعرين؟»

مكتبة ياسمين

لم أجب. ماذا يتوقع مني أن أقول؟

قال: «مارتن قلق جداً عليك». «كان سلوكك الغاضب اليوم مع القس آيرز لا يغتفر».

عضضت شفتي، ولم أقل شيئاً.

قال وهو ينحني حتى أصبح وجهه أمام وجهي مباشرة: «سارة». «أفهم أنك حزينة. جميعنا نشعر بالحزن. لكني أتوسل إليك بذل المزيد من الجهد».

«جهد؟» سألته في حيرة.

قال: «لقد رحلت جيرتي». «لكن حياتكِ أنتِ ومارتن يجب أن تستمر».

ثم تركني وحدي مع الشراب الذي ازدردته في جرعتين طويلتين وأنا أستند مجدداً إلى الوسائد، وشعرت أن وزن اللحاف فوقي ثقيل بشكلٍ لا يمكن تصوره.

يقول لوشيوس إن جيرتي رحلت.

ولكن عندئذٍ سمعت صوت أميليا في رأسي يقول: الموتى لا يغادروننا أبداً.

فكرت فيما علمتني إياه العمة قبل زمن بعيد: الموت ليس نهاية، بل بداية. والأموات يعبرون إلى عالم الأرواح ومع ذلك يحيطون بنا».

صحث بأعلى صوتي: «جيرتي». «إن كنتِ هنا، أرجوكِ ارسلي لي إشارة». وانتظرت. استلقيت تحت الأغطية وانتظرت بتوقٍ شديد. انتظرت همسةً، أو لمسةَ أصابع ناعمة تكتب رسائل في كفي، أو حتى بضع نقراتٍ على الطاولة، كما قالت أميليا.

ولكن لا شيء من هذا. أنا وحدي هنا.

مكتبة ياسمين

زوار من الجانب الآخر

اليوميات السرية لسارة هاريسون شي

23 يناير 1908

دفنّا جيرتي قبل ستة أيام، في اليوم السابق للدفن، خرج مارتن من شروق الشمس إلى غروبها، حيث أشعل ناراً ضخمة لتذويب التربة بما يكفي حتى يتمكن من حفر حفرة لتابوتها الصغير. شاهدت النار من نافذة المطبخ، الطريقة التي أضاءت بها وجه مارتن، والرماد الذي ألقته على ملابسه وشعره. كان مشهداً فظيعاً. مثل منارة تؤكد لي أن النهاية قادمة لا محال ولم يكن بوسعي فعل شيء لإيقافها: ماتت جيرتي وسندفنها في الأرض. بدا مارتن وهو يقف هناك وكأنه شيطان بوجهٍ متوهج أحمر، يطعم النيران من غضبه. كان غير حليق، ووجهه نحيل وغائر القسمات. أردت أن أشيح نظري بعيداً، ولكن لم أستطع. وقفت أراقب المشهد من النافذة طوال اليوم، أراقب احتراق الأرض وكأنها تستهلك كلّ ذرة من الأمل أو السعادة علقت في داخلي.

أقبل جميع أهل البلدة لحضور دفن ابنتنا الصغيرة في اليوم التالي. قدم القس آيرز عرضاً رائعاً لهم، متحدثاً عن حملان الله الصغيرة ومجد مملكته الجميل، لكنني كنت أسرح في عالمٍ آخر وبالكاد أنصت لما يقول. لم أنظر حتى في عينيه. بل رحت أحدّق ملياً في صندوق الصنوبر البسيط الذي مددوا فيه جسد جيرتي. كانت ظهيرة باردة بائسة. كلَ خلية في جسدي كانت ترتعش. وضع مارتن ذراعه حولي، لكنني دفعتها بعيداً. خلعت معطفي ودثرت به التابوت علّه يخفف وطأة البرد القارس عن المسكينة جيرتي. شعرت باليأس منذ ذلك الحين

مكتبة ياسمين

وبقيت طريحة الفراش لقناعتي بأن ما من سبب يدفعني للمضي قدماً بعد اليوم...

. لو كان لدي القدرة على النهوض من فراشي لهبطت السلم وأخذت بندقية زوجي وضغطت على زنادها وهي داخل فمي. لطالما تخيلت نفسي أفعل ذلك. تصورت الأمر كله. وحلمت به. شعرت بنفسي أطفو على تلك السلالم، أحمل البندقية، وأتذوق طعم البارود.

لقد قتلت نفسي مراراً وتكراراً في أحلامي.

وكم استيقظت باكية يقتلني الأسى لأنني ما زلت على قيد الحياة، عالقة في جسدي البائس وحياتي البائسة. وحدي في غرفة النوم هذه مع جدرانها البيضاء المصفرة من سنوات من الغبار والدخان والأوساخ. لا شيء هنا سواي مع السرير الخشبي ومرتبة الريش، والخزانة التي تخفي ملابسنا الرثة والمنضدة الجانبية وأدراج مليئة بملابسنا الداخلية، والكرسي الذي يجلس عليه مارتن كلَ ليلة ليخلع حذاءه. قبل أن يسرق الموت جيرتي، كانت هذه الغرفة، بل المنزل بأسره، يتوهج بالحياة ويشع بالدفء. والآن صار كلَ شيء باهتاً وقبيحاً وبارداً.

وبتَ على يقينٍ إنه لا فائدة من المضي في العيش في غياب صغيرتي جيرتي، شرغوفتي الجميلة التي أراها هناك كلما أغمضت عينيَ تسقط في ذلك البئر مرةً بعد مرة.. تغوص في ظلامٍ لا نهاية له حتى تستحيل نقطة صغيرة تتلاشى حتى تنمحي تماماً. وعندما أفتح عيني لا أجد سوى هذه الغرفة الفارغة والسرير الفارغ وقلبي المكلوم الفارغ.

امتنعت عن تناول الطعام. وفقدت أي رغبةٍ في مغادرة السرير. أستلقي باستسلامٍ، أغوص وأطفو وأتخيل موتي بصورٍ كثيرة. جاء مارتن وذهب.

مكتبة ياسمين

حاول أن يطعمني بالملعقة، ويداعبني كما لو كنت طائراً صغيراً مصاباً. وعندما فشل في إقناعي، حاول الصراخ في وجهي: «اللعنة، يا امرأة! جيرتي هي التي ماتت وليس أنت! ليس أنت. حياتنا أنا وأنت مستمرة».

جاء لوشيوس لزيارتي عدة مرات. أحضر معه أقراصاً منشطة ظنَّ أنها قد تساعدني على استعادة عافيتي. كانت أقراصاً غليظة ومريرة الطعم، والطريقة الوحيدة لابتلاعها بأن أتخيل أنها سمّ قاتل.

حاولت أميليا حثي على النهوض من السرير. دخلت الغرفة بمرحٍ ترفلُ بثوب جديد مشرق، وشعرها مضفر بعناية. أحضرت لي الشاي وعلبة من البسكويت الفاخر المستورد من إنجلترا.

قالت وهي تفتح العلبة وتقدم لي كعكة: «لقد طلبها آيب كوشينغ من أجلي خصيصاً». أخذت واحدة وقضمت طرفها. فوجدت مذاقها مثل نشارة الخشب.

عندما جلس مارتن معنا، تحدثت أميليا عن أخبار البلدة، إذ اشتعل حريق في منزل ويلسون، وطرد ثيودور غرانت من المصنع لأنه جاء للعمل وهو في حالة سكر شديد؛ أما ميني أبار فقد كانت حاملاً بطفلها الخامس «على أمل أن تنجب فتاةً بالطبع، لأن لديها أربعة أولاد للتو».

بعد بضع دقائق، تركنا مارتن وخرج.

همست وهي تمشط شعري: «الموتى لا يغادروننا أبداً». قالت لي: «لقد ذهبت إلى الجلسة الروحية في مونبلييه». «وقد حضرت جيرتي أثناء ذلك. لقد قرعت الطاولة من أجلنا وأخبرتنا أنها بخير وتفتقدك كثيراً. تريد نساء الجلسة أن تنضمي إلينا.

مكتبة ياسمين

بوسعهن المجيء إلى ويست هول. سنجتمع في منزلي، ويمكنك أن تحكمي بنفسك. يمكنك التحدث إلى جيرتي مرة أخرى».

أردت أن أصرخ: «كاذبة». لكن كلَ ما استطعت فعله هو إغلاق عينيَ والعودة إلى النوم.

صحوت فجأةً وأنا على يقينٍ من أن جيرتي تجلس بجانبي. كنت أشعر بها، أشم رائحتها. وحين فتحت عينيَ كانت قد رحلت.

آهِ من قسوة الحياة. كم هي باردة وفارغة وقاسية.

وجدت نفسي أسترسل في الصلاة. دعوت الرب الذي هجرته حينئذ ليأخذني. صليت كي يأخذني إلى ابنتي جيرتي. وعندما لم يستجب لصلاتي، صليت للشيطان كي يأتي ويحرر روحي.

صباح أمس، دخل مارتن وقبّل جبهتي بحنان.

«سأذهب إلى الصيد في الغابة. كنت أستكشف في الخارج صباحاً ورأيت آثار أقدام وعلٍ كبير على ما يبدو. ستأتي أميليا ظهر اليوم. ستعد لك الغداء وتجلس معك إلى حين عودتي إلى المنزل. سأعود قبل حلول الظلام».

لم أكلف نفسي عناء الردّ، بل انزلقت مجدداً تحت الغطاء وعدت للنوم.

حلمت أن مارتن يطارد غزالاً عبر الغابة؛ ثم دخل الغزال على نحوٍ ما إلى المنزل ووقف عند حافة سريري. رفعت رأسي لألقي نظرة عليه، فاكتشفت أنه لم يكن غزالاً على الإطلاق، بل عمتي.

بدت أكبر سناً وأكثر حكمة، لكنها لا تزال ترتدي معطفها المصنوع من جلد الغزلان مع الريش والخرز والزهور الملونة. كانت رائحتها مثل الجلد والتبغ والغابة الرطبة الكثيفة. شعرت بالراحة على الفور،

مكتبة ياسمين

وصدقت، لأول مرة منذ أيام، أن الأمور ستكون على ما يرام. لقد عادت العمة. وبوسع العمة إصلاح أي شيء.

راحت عمتي تتحدث إلي. في البداية لم أفهم ما تقوله، وظننت أنها تتحدث لغة الغزلان، وهذا سخيف لأن الغزلان حيوانات صامتة. حلَ الظلام في أرجاء غرفة النوم وامتلات بالظلال التي تتحرك وتدور حولنا. شعرت بالسرير يرتفع كما لو أنه يطفو على ألواح الصنوبر العريضة ويرتفع أعلى فأعلى، والعمة تجلس على طرفه مثل صاري السفينة.

«من أين أتيتِ؟» سألتها.

أجابت دون تردد: «من الخزانة». شعرت بالارتياح لأنها نطقت بكلماتٍ يمكنني فهمها.

قلت: «لقد رحلت جيرتي»، وشرعت أبكي. «ابنتي الصغيرة».

أومأت برأسها ونظرت إلي مطولاً بعيونها السوداء الفحمية. «هل ترغبين في رؤيتها مرة أخرى؟» سألت العمة. «هل ترغبين في الفوز بفرصةٍ لوداعها؟»

«نعم»، قلت باكيةً. «أفعل المستحيل من أجل لحظةٍ واحدةٍ معها»..

«إذن، أنتِ جاهزة. هل تسمعين ما أقوله سارة هاريسون؟ أنتِ جاهزة».

عاد السرير طافياً نحو الأرض. وأشرق الضوء في أرجاء الغرفة. استدارت العمة عائدةً إلى الخزانة، وأغلقت الباب خلفها. أغلقت عينيَ وفتحتهما وشعرت أنني في كامل يقظتي.. حتى أن رائحة الغرفة صارت مثل رائحة الهواء بعد عاصفة رعدية. عرفت من إشراق الضوء بأن الوقت لا يزال صباحاً.

مكتبة ياسمين

وأن مارتن غادر قبل زمن قصيرٍ فقط.

استلقيت في مكاني لبرهةٍ أفكر في حلم الغزال والعمة. وأستعيد ما قالته لي بعد ظهر ذلك اليوم عندما سألتها أول مرة عن الراقدين:

«سأكتبُ كلَ شيء، كلَ شيء أعرفه عن الراقدين. وأطوي الأوراق وأضعها في ظرفٍ أختمه بالشمع. سيبقى معك ولكن لن تفتحيه إلا عندما تكونين مستعدة».

قفزت من سريري وركضت إلى غرفة جيرتي التي كانت غرفة نومي فيما مضى. شعرت بالوهن. لكن جسدي كان خفيفاً وطليقاً مثل زغب الهندباء البرية الذي يتطاير مفعماً بطاقة جديدة وغريبة لم أعرفها من قبل.

لم أدخل غرفتها منذ ذلك اليوم الرهيب، لذا ترددت لبرهة قبل فتح الباب. وجدت كلَ شيء كما تركته؛ السرير غير المرتب والأغطية المتشابكة التي اختبأنا تحتها معاً صباح ذلك اليوم. منامتها مرمية فوق السرير، وباب خزانتها مفتوح، وأحد فساتينها مفقود، ذاك الذي ارتدته لتلحق بوالدها إلى الفناء والغابة.

«احذر أيها الأب. ها قد أتت أكبر قطةٍ في الغابة».

الفستان الذي اختارته كان المفضل لديها، فستان أزرق مطرز بزهور بيضاء صغيرة. كنا قد صنعناه معاً عندما ارتادت المدرسة أول مرة، من الأقمشة التي اختارتها من المتجر. ساعدتني في قص القماش وحتى أنها خاطت بعض الجوانب بنفسها، وضغطت على الدواسة ووجهت القماش عبر الماكينة.

إنه الفستان نفسه الذي دفناها فيه.

على الجانب الأيمن من غرفتها، كانت هناك رفوف

مكتبة ياسمين

تحمل بعض الألعاب والكتب والكنوز الصغيرة التي جمعتها: الصخور الملونة، وعدسة مكبرة جميلة أعطتها إياه أميليا، وبعض تماثيل الحيوانات الصغيرة المضحكة التي صنعتها من الطين عند النهر، والكرة وأوراق اللعب التي اشترتها من المتجر العام. «طلب مني مارتن عدم إنفاق المال على مثل هذه الأشياء، ولكن كيف عساني ألا أفعل؟»

إن وجودي داخل غرفتها جعل صدري يضيق. شممت رائحتها في الهواء من حولي. وهذا فاق قدرتي على التحمل. ثم تذكرت ما جئت من أجله.

دفعت السرير الثقيل ذو الإطار الخشبي جانباً، ووجدت لوح الأرضية المتحرك حيث استقرت القدم الخلفية اليسرى للسرير. غرزت أصابعي في الشق بعمقٍ لدرجة أنني كسرت ظفراً، ولكن سرعان ما تمكنت من تحرير اللوح من مكانه.

وجدت الظرف التي أعطتني إياه العمة وخبأته عندما كنت في التاسعة من عمري، وختم الشمع في مكانه غير مكسور.

خبأت الظرف تحت منامتي، وأعدت السرير إلى مكانه، ثم عدت إلى غرفتي. صنعت خيمة من الملاءات، كما اعتدت أنا وجيرتي أن نفعل، وفتحت الظرف تحتها. وجدت في الداخل عدة صفحاتٍ مطوية بعناية. اضطررت إلى رفع جانب واحد من الملاءات للسماح بدخول ضوء كافٍ للقراءة.

كان هناك خربشة العمة المألوفة. شعرتُ بموجةٍ من الذكريات تتدفق في داخلي. تذكرت كيف علمتني العمة كتابة رسائلي، وكيف أميّز بين الفطر السام والفطر الذي يؤكل. شعرت بها بجانبي مرة أخرى، شممت رائحة شجرة الصنوبر والجلد والتبغ؛ سمعت صوتها الناعم الموسيقي الذي همس دروس

مكتبة ياسمين

الحياة في أذني.

عزيزتي سارة،

لقد وعدتك أن أخبرك بكل ما أعرفه عن الراقدين. ولكن قبل أن تمضي في القراءة، يجب أن تعي تماماً أن هذا سحرٌ قوي. ولا تفعلي شيئاً قبل أن تكوني واثقة منه. واعلمي أنه ما من مجالٍ للتراجع بمجرد أن تنتهي.

سيستيقظ الراقد ويعود إليك. ولا أحد يدري بالضبط كم الوقت الذي يستغرقه حدوث هذا. ففي بعض الأحيان يعودون إلى الحياة في غضون ساعات، وفي أوقات أخرى، في غضون أيام.

وبمجرد أن يستيقظ الراقد يستمر في السير لمدة سبعة أيام. ثم يرحلون عن هذا العالم إلى الأبد.

قلت لنفسي : «سبعة أيام»، وبدأت عجلات الشر تدور في رأسي. أضحي بأي شيء لأستعيد جيرتي سبعة أيامٍ كاملة!

مكتبة ياسمين

مارتن

25 يناير 1908

أيقظته الضوضاء بعد منتصف الليل، وسمع أصوات خدشٍ وخربشة. فتح عينيه على اتساعهما واستلقى في الظلام يصيخ السمع.

تسلل ضوء القمر الشاحب من خلال نافذة غرفة النوم المغطاة بالصقيع، مما أعطى كلَ شيء توهجاً مزرقاً. حدَق مارتن في سقف الجص وأصغى. كانت الغرفة باردة بعد أن انطفأت النار في المدفأة.. حاول التنفس بهدوء فشعر كما لو أنَ الغرفة تتنفس معه.

وها هي الأصوات مجدداً. صوت الخدش. وطرق المسامير في الخشب. حبس أنفاسه وأصغى.

هل هي الفئران؟ لا. هذه الأصوات لا تصدر عن الفئرانِ. بدا وكأنه شيء كبير يحاول فتح طريقه للخروج عبر الجدران. وما وراء الخربشة، سمع ما بدا وكأنه حفيف أجنحة ترفرف.

فكر في الدجاج الذي وجده في الغابة هذا الصباح، دجاجة أخرى من دجاجاتهم المسروقة. لكن هذه الأصوات لا تبدو من عمل ثعلب. لقد وجد بقايا الدجاجة بالقرب من الصخور. حيث كُسرت رقبة الدجاجة وفتح صدرها وأزيل القلب. لم يعرف أي حيوان من شأنه أن يفعل شيئا من هذا القبيل. لقد دفن بقايا الدجاجة في الصخور وحاول أن يزيحها من تفكيره.

قلبه يرتعش الآن، لمس السرير بجانبه متوقعاً الوصول إلى جسد زوجته الدافئ، لكن السرير كان بارداً. هل ذهبت إلى غرفة جيرتي مجدداً؟ هل عادتا تختبآن تحت الأغطية، وتضحكان؟

لا. لقد رحلت جيرتي. دفنت عميقاً تحت الأرض.

مكتبة ياسمين

لقد تذكر كيف كانت هيئتها عندما أخرجوا جثتها من البئر. كما لو كانت نائمة.

وتذكر ملمس شعرها في جيبه، ملفوفاً بهدوء مثل الثعبان.

«سارة؟». ناداها.

لقد أعياه القلق على سارة في الأيام الماضية. توقفت عن الأكل ولم تغادر السرير، وامتنعت عن الطعام أو الاستحمام. بدت أكثر ضعفاً وحياةً يوماً إثر يوم.

قال له لوشيوس: «بصراحة، لا يسعنا فعل شيء سوى الانتظار». كانا يقفان في المطبخ، يتحدثان بصوت منخفض. «استمر في محاولة إدخال الطعام والماء إليها، وإعطائها المقويات، ووفر لها كلَ ما تستطيع من راحة».

قال مارتن: «ما زلت أتذكر عندما فقدنا تشارلز». «أعياها الحزن». وتجنب أن يقول لنفسه أو حتى لأخيه بأن هذه المرة سيكون الأمر أسوأ. كان يخشى هذه المرة ألا تعود إليه.

فخسارة جيرتي المسكينة شيء لا يوصف لكن خسارة سارة أيضاً تعني أن حياته انتهت تماماً.

قال لوشيوس: «لا أريد إثارة خوفك يا مارتن». «ولكن إذا لم تستعد قواها قريباً، أعتقد أنه قد يكون من الأفضل أن نرسلها إلى مستشفى الولاية للأمراض النفسية في ووتربري».

انتفض جسد مارتن كله حين سمع هذا الكلام.

قال لوشيوس: «إنه ليس مكاناً فظيعاً». «لديهم مزرعة. ويسمحون للمرضى بالخروج إليها كلَ يوم. وسيحرصون على راحتها».

هز مارتن رأسه. «سوف تتعافى». «سأساعدها على

مكتبة ياسمين

أن تتعافى.. أنا زوجها. وبوسعي الحفاظ على سلامة زوجتي».

ولكن في أعماقه كان يدرك أن سارة تزداد سوءاً ساعة بعد ساعة. وها هي غائبة الآن والوقت منتصف الليل.

«سارة؟». نادى مرة أخرى، وأرهف السمع.

فسمع مجدداً أصوات الخدش والطرق والرفرفة، ولكن بدرجة أعلى هذه المرة وبحماس أكبر.

جلس يمسح بناظريه الغرفة في الظلام. استطاع أن يميز حافة السرير والخزانة إلى يساره، وهناك، في الزاوية اليمنى وجد شكلاً منحنياً يتحرك ببطءٍ وينبض.

لا.

إنه يتنفس. لقد كان يتنفس.

أرادَ أن يصيحَ لكنّ صوته اختنق وخرج مثل هسهسة.

نظر حوله مرعوباً يبحث عن سلاحٍ أو أي شيء ثقيل، وعندئذٍ تحرك ذلك الشيء ورفع رأسه فرأى شعر زوجته الطويل يلمع في ضوء القمر الخافت.

«سارة؟».. «ماذا تفعلين؟»

كانت تجلس على الأرض أمام الخزانة، ترتدي منامتها الرقيقة، وقدماها العاريتان شاحبتان مثل الرخام على الأرضية المظلمة. كانت ترتعش.

لم تتحرك، ولا يبدو أنها سمعته حتى. قلقٌ قضم أحشاءه مثل جرذٍ قبيح.

«عودي إلى السرير، عزيزتي. ألا تشعرين بالبرد؟»

ثم سمع الصوت مرة أخرى. صوت الخدش وصوت مخالب تحفر الخشب.. كانت قادمة من داخل الخزانة.

مكتبة ياسمين

«سارة»، قال وهو يقف على ساقيه المرتعشتين، والدم ينبض في رأسه، ويصدر هديراً مزعجاً في أذنيه. شعر أن الغرفة تدور من حوله وتصبح أطول فأطول. وبدت المسافة بينه وبين سارة بعيدةً للغاية. سقط ضوء القمر على باب الخزانة. ولاحظ أنه يتحرك قليلاً والمقبض يدور ببطء.

«ابتعدي عن الباب». صاح بها.

لكن زوجته جلست بلا حراك وعيناها مثبتتان على الباب.

قالت بهدوء: «إنها جيرتي». «لقد عادت إلينا».

مكتبة ياسمين

روثي
الوقت الحاضر

الثالث من يناير

ضبطت التدفئة في شاحنة باز على أقوى درجة لكنهما ظلا يرتجفان من البرد أثناء تجولهما في ضواحي كونيتيكت. كانت أرضية الشاحنة مليئة بأكياس ماكدونالدز، وأكواب القهوة، والزجاجات الفارغة من ماونتن ديو، مشروب باز المفضل عندما لم تكن البيرة خياراً. جلست فون بينهما؛ وعلى الرغم من أن الحمى فارقت جسدها كانت لا تزال ضعيفة وشاحبة. عمدت روثي وباز على جعلها ترتدي طبقاتٍ من الملابس السميكة ثم لفها في بطانية من الصوف قبل أن يغادروا المنزل قبل أربع ساعات.

«هل أنت متأكدة من أنك مستعدة لرحلة برية، أيتها الغزالة الصغيرة؟» سألت روثي.

أومأت فون بلهفة، فوافقت روثي، على الرغم من أنها كانت متأكدة تماماً من أن إخراج فون في هذا البرد القارس وهي مريضة لم يكن شيئاً توافق عليه الأم.

كان اليوم الثاني فقط على غياب الأم، ولكن بدأت روثي بالفعل في إدراك الملايين من الأشياء التي تقوم بها والدتها كلَ يوم للحفاظ على معيشة الأسرة بسلاسة، مع التنظيف والغسيل وإطعام القط وحرث وتجريف الممر وجلب الحطب وتقطيعه، ورعاية الدجاج، وإعطاء الدواء والسوائل لفون. لم تفهم روثي كيف تدبرت أمها الأمر برمته وحدها وجعلته يبدو سهلاً للغاية. ربما لم تكن والدتها فوضوية كما ظنت روثي دائماً.

مكتبة ياسمين

استعار باز جهاز تحديد المواقع من والده، واستخدمه للعثور على طريقهم إلى 231 كيندال لين، وودهافن، كونيتيكت، العنوان المدون على رخصة قيادة توماس أورورك.

حاول باز إقناعها بالعدول عن القيادة إلى كونيتيكت، وأنَّ عليهم على الأقل إجراء بحث صغير أولاً.

قال: «لقد مرَّ مليون عام، يا روثي». «ما فرص وجوده في نفس العنوان حتى؟ لقد أحضرت جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بي، امنحيني خمس دقائق في مكان ما مع الأنترنت لأتحقق من العنوان قبل أن نذهب إلى هناك عبثاً».

لكن روثي أصرت. وقررت أن يركبوا الشاحنة وينطلقوا على الفور.

«لقد مر خمسة عشر عاماً. ربما انتقلوا، وربما لا. قد نجد هناك جيراناً أو أقارب يمكنهم إخبارنا بشيء».

قال باز: «إنها رحلة مريعة للوصول إلى طريق مسدود».

«انظر، لا بدَ أن المحافظ تعني شيئاً ما، لقد احتفظت بها أمي كلَ هذا الوقت وأبقتها بعيداً عن الأنظار، أليس كذلك؟ رخصة القيادة هذه هي دليلي الوحيد، والعنوان المدون عليها يقود إلى وودهافن، كونيتيكت. علي الذهاب. وسأذهب».

وهكذا انطلقوا في طريقهم، روثي صامتة وشاردة طوال الرحلة. أدركت أن باز يعتقد أنها سخيفة، لكنها لم تستطع التخلص من الشعور بأن الذهاب إلى وودهافن هو ما يجب القيام به، ورفضت إضاعة المزيد من الوقت.

«إذن ما الخطة إذا عثرنا عليهم؟» سألها باز وهو

مكتبة ياسمين

يتنقل في شوارع وودهافن.

«سأسألهم عما إذا كانوا يعرفون أمي وأبي. وبناء على أجوبتهم، سأريهم محافظهم وأسألهم عما إذا كانوا يعرفون سبب وجودها مع أمي».

«وكيف سيساعدنا ذلك في العثور عليها؟» سألت فون.

اعترفت روثي، وهي تعبث بالقفل المكسور على صندوق القفازات: «لا أعرف». «لكنه أفضل من الجلوس والانتظار».

كانت روثي متأكدة من أنها لم تكن في كونيتيكت؛ فهي في الواقع، نادراً ما غادرت فيرمونت. كانت تراقب المناظر الطبيعية والمطاعم المتسلسلة والمتاجر الكبيرة وصفوف المنازل والشقق المتطابقة، برهبةٍ غريبةٍ وحائرة. آلمها فكها من طحنِ أسنانها، وهي عادة عصبية رهيبة رافقتها منذ طفولتها.

انعطفوا الآن إلى شوارع مصممة على شكل شبكة أنيقة. كانت جميع المنازل عبارة عن بيوت من القرميد ومزارع صغيرة بالكاد تبلغ مساحتها ياردات وأسيجة صغيرة حزينة تميز حدود الممتلكات. تجمع الثلج في كتل قذرة على طول حواف الشوارع. حاولت أن تتخيل النشأة في مكان مثل هذا، على مسافة قريبة جداً من الجيران تجعلك تنظر حتى من نوافذهم. ربما كان والداها على حق في إبعادهم عن العالم في منزلهم الصغير في فيرمونت.

أعلن باز: «هذا شارع كيندال»، كما لو أن روثي لم تستطع قراءة اللافتة بنفسها. لقد ذهب إلى عروض الأسلحة في جميع أنحاء الشمال الشرقي مع والده واعتبر نفسه المسافر العالمي المتمرس.

مكتبة ياسمين

«العنوان على الجانب الأيسر من الشارع». تفحّص أرقام المنازل. «هنا 185. 203. انظري، هناك 229، يليه عنواننا». والصوت الأنثوي المبتهج على نظام تحديد المواقع أكد ذلك.

وضع باز إشارة الانعطاف وانعطف إلى ممر 231 كيندال لين حيث ظهر منزل آيل للسقوط مطلي بالفينيل الأصفر الذي تصدع في أماكن عدة. كان هناك حوض سباحة بلاستيكي للأطفال في الفناء ظهرت حوافه من فوق الثلج المتساقط حديثاً. وثمة سيارة بونتياك بيضاء قديمة ذات مصد خلفي مكسور، تقف بجوار المنزل. يبدو أن من عاش هنا لم يكن غنياً بأي حال من الأحوال. لكن روثي تدرك معنى شظف العيش، مذ كانت تشتري كلّ شيء مستعمل، وتعيش مع أريكة مغطاة بسجادة قبيحة لإخفاء البقع والثقوب، وتعرف معنى ألا يكون المال متاحاً قطَ لفعل أشياء مثل رحلة إلى عالم ديزني. أو الكلية.

قالت روثي وهي تمسك بحقيبتها التي دست محافظ الغرباء داخلها: «انتظراني هنا».

قال باز: «سأراقب الوضع».

قالت فون: «أنا أيضاً»، ووجهها الصغير يختلس النظر من تحت قبعة معطفها الوردي المنتفخ.

شقت روثي طريقها عبر الممر المكسو بالجليد والدرجات الأمامية ودقت جرس الباب. لم تسمع صوت رنينه. انتظرت قليلاً ثم سحبت باب الشبك وطرقت بقوة على الباب الخشبي وراءه. كان هناك إكليلٌ لعيد فصح مزين بأرنبٍ محاط ببيضٍ بلون الزهر الباهت ومثبت في منتصف الباب. طرقت روثي الباب مرةً أخرى. فتحته امرأة بشعر أشقر محروق وبشرة متعبة.

مكتبة ياسمين

«نعم؟» كان الرواق الذي وقفت فيه المرأة صغيراً ومظلماً. وتفوح منه رائحة السجائر. تمنت روثي ألا تُدعوها المرأة للدخول. «مرحباً». ورسمت على وجهها أكبر ابتسامة ممكنة. «أنا أبحث عن توماس وبريجيت أورورك».

«مَن؟»

«كانا يعيشان هنا. توماس أورورك؟ وبريجيت أورورك؟»

حدقت المرأة في وجهها بشرود.

«لم أسمع بهما من قبل. آسفة». وأغلقت الباب في وجه روثي. ودون أن تتوقف، حاولت روثي مع الجيران. ولكن معظمهم إما لم يكونوا في المنزل أو لم يجيبوا على الباب. وعبر الشارع من 231 كيندال لين، قال رجل عجوز يرتدي رداء حمام لروثي إنه لا يعرف أي شخص يدعى أورورك. ولكن على الأقل كان سلوكه مهذباً معها.

أعلنت روثي وهي تدخل مرة أخرى كابينة الشاحنة: «طريق مسدود». «السيدة التي تعيش هناك الآن لم يكن لديها أي فكرة عما كنت أتحدث عنه والجار القديم الوحيد الذي كان في المنزل لم يسمع عن عائلة أورورك. ربما قطعنا كلَ هذه المسافة عبثاً».

«عبثاً»، رددت فون، بصوتها القادم من عمق قبعتها. نظرت روثي إلى باز بطرف عينها.

فأومأ لها بابتسامة. «هل تريدين تجربة طريقتي؟» هزّت روثي رأسها وغرقت في المقعد.

خرجوا من متاهة المنازل التي بدت جميعها متشابهة وعادوا إلى الطريق الرئيسي. مروا بمحطة إطفاء وبنك ومحل بيتزا ومحل بقالة. وسرعان

مكتبة ياسمين

ما صار الطريق محاطاً بساحات التسوق على كلا الجانبين. شعرت روثي بالدهشة من مدى انشغالهم، وحركة السيارات التي تدخل وتخرج من مواقف السيارات. ألا يفترض أن يكون الناس في العمل؟

دخل باز موقف مقهى ستاربكس، ثم مد يده إلى الخلف ليأخذ حقيبته.

«لماذا توقفنا؟» سألت فون.

«سيبحث عنهم عبر الإنترنت. كان عليَ أن أدعه يفعل قبل أن نغادر المنزل هذا الصباح».

قال باز بابتهاج: «ربما كان عليك أن تفعلي. ولم يفت الأوان بعد. هيا بنا، لنشرب بعض القهوة والشوكولاتة الساخنة».

«أحقاً تستطيع ذلك؟» سألت فون وهي تتبع روثي وباز خارج الشاحنة. «إلى حين نعثر على مكان شخص ما؟»

قالت روثي: «بالتأكيد». «أعتقد أنه يمكنك معرفة أي شيء إذا كنت تعرف ما تفعله».

قالت فون بفضول: «واو». «أتمنى لو كان لدينا كمبيوتر». للمرة المليون، شتمت روثي والديها لعدم السماح لها باقتناء جهاز كمبيوتر في المنزل.

قالا بأن التكنولوجيا ليست آمنة، وأن الأخ الأكبر «الحكومة» تراقب كلَ شيء، وترصد كلَ بريد إلكتروني وبحث على شبكة الإنترنت. قالت والدتها أيضاً أن الإنترنت اللاسلكي وأبراج الهواتف الخلوية تعبث بكهرباء جسمك ويمكن أن تسبب لك السرطان. كان على روثي الذهاب إلى المدرسة في وقت مبكر والبقاء حتى وقت متأخر كي تتمكن من استخدام أجهزة الكمبيوتر لإعداد التقارير والمقالات المدرسية.

مكتبة ياسمين

أما فون فقد كانت في الصف الأول فقط ولم تأخذ أي دروس في مختبر الحاسوب بعد. لذلك كان بالنسبة لها عالماً سحرياً أسطورياً.

طلبت روثي قهوة لها ولـ باز وشوكولاتة ساخنة لـ فون.

«دعيه يبرد قبل أن تأخذي رشفة، اتفقنا؟» حذرتها روثي. قالت فون: «تضيف أمي الحليب لتبريده». أومأت روثي برأسها، ومزجته نصفاً بنصف بالحليب واختبرته بنفسها للتأكد من أنه لم يكن ساخناً جداً قبل أن تشربه فون.

جلسوا حول الطاولة وفتح باز حاسوبه المحمول الذي زينه بملصقات عن الكائنات الفضائية وشعارات مؤسسات أبحاث الأجسام الغريبة. كتب لبرهة ثم راح يتصفح الشاشة. سحبت فون كرسيها نحوه لإلقاء نظرة عن كثب.

«هل لديك ألعاب هنا؟» سألت. قال باز: «أطنانٌ من الألعاب».

«هل يمكنك تعليمي كيف ألعب؟ أرجوك؟» ابتسم باز. «ربما لاحقاً. أعدك».

أومأت فون بحماس وأخذت رشفة من الشوكولاتة الساخنة دون أن ترفع عينيها عن الشاشة. استمر باز في الكتابة والنقر بأصابعه على لوحة المفاتيح.

«لا يوجد عنوان لهم في وودهافن، لكنني حصلت على حوالي زليون نتيجة بحث تحمل اسم توماس وبريجيت أورورك في جميع أنحاء البلاد. لدينا أطباء وممثلون وما إلى ذلك. والعثور على هذين الاثنين من بين كلَ هذه الأسماء سيكون مثل العثور على إبرة في كومة قش». أخذ رشفة من القهوة، ثم كتب المزيد. «ولكن يبدو أن هناك اثنين من عائلة أورورك مدرجان هنا في البلدة، وليام وكانديس.

مكتبة ياسمين

لا أعرف إن كانا من أقارب الزوجين اللذين نبحث عنهما، ولكن حصلت على عناوينهما وأرقام هواتفهما. وهذا أفضل ما يمكننا التعويل عليه».

قالت روثي، متفائلة مرة أخرى: «لنذهب».

قالت فون عابسةً: «اعتقدت أنني سأجرب لعبة كمبيوتر أولاً».

قال باز: «عندما نعود إلى فيرمونت». «سنذهب الآن للتحقق من هذه العناوين».

«ربما يساعدنا هؤلاء الأشخاص في العثور على أمي؟» قالت فون. قالت روثي: «هذا ما نأمله». «أغلقي معطفك واحملي فنجان الشوكولاتة».

دوّن باز العناوين وأغلق حاسوبه المحمول، وحملوا مشروباتهم إلى الشاحنة.

بالعودة إلى الشارع الرئيسي، وعند انتظار إشارة المرور التالية، تفحصت روثي المتاجر والمطاعم في واجهة مركز تجاري أمامها: وودهافن ليكورز وبيتزا دوني على طراز نيويورك، وهدايا فلامنغو الوردية. وفي نهاية الواجهة كان هناك متجر مغلق ونوافذه مغطاة علّق عليها لافتة «للإيجار».

أغمضت عينيها وفتحتها مجدداً وعضت لسانها لتتأكد من أنها لا تحلم.

«توقف!» صرخت روثي وهي تشير بيدها. «توقف هناك، الممر التالي على اليسار».

انعطف باز يساراً وأوقف سيارته في موقف سيارات مركز التسوق بسرعة كبيرة جعلت روثي تصطدم بفون وفون تميل نحو باز. وانسكبت قهوة روثي في حضنها.

«ما الأمر بحق الجحيم؟» قال باز بمجرد أن أوقف الشاحنة، لكن روثي كانت قد قفزت للتو من

مكتبة ياسمين

الشاحنة وركضت نحو المتجر المغلق ووقفت أمام اللافتة الحمراء الباهتة التي كتب عليها: مخبز فيتزجيرالد.

حبست أنفاسها وهي تقترب منها ببطءٍ، غير متأكدة مما إذا كانت تريد حقاً القيام بذلك. كانت تمشي مثل السائر في نومه، نصف دماغها تائه في حالة حلم، والنصف الآخر يصارع لفهم ما تراه: هل يعقل أن يكون هذا المكان موجوداً حقاً هنا، في عالم اليقظة؟

اقتربت بحذرٍ وهي تسمع طرق ضربات قلبها في أذنيها. غطت ألواح الخشب النوافذ، وألصقت أوراق صحيفةٍ على الجزء الداخلي من الباب الأمامي الزجاجي. لكن ثمة مساحة فارغة، وضغطت روثي وجهها على الزجاج، ووضعت يديها حول عينيها لإبعاد الوهج.

كان هناك صندوق العرض ذو الواجهة الزجاجية الطويلة الذي ضم فيما مضى صفوفاً من الكعك والبسكويت والفطائر، وقد أصبح الآن فارغاً باستثناء مصباح كهربائي مكسور وبعض المفارش المنسية. حتى الأرضية التي ظهرت بالأبيض والأسود كانت نفسها. كان بوسعها أن تشم رائحة الخميرة الدافئة للخبز الطازج، وتتذوق السكر على لسانها، وتشعر بيد والدتها تحيط بكتفيها.

«ماذا تختارين يا حمامتي؟»

«فحال». جاء باز خلفها وأمسك بها على حين غرة لدرجة أنها قفزت مذعورةً. «هل هذا هو المخبز الذي تحلمين به باستمرار؟»

هزت روثي رأسها. «هذا لا يعقل»، تلعثمت. ربما مجرد صدفة. بدت الكلمات جوفاء. لكن جزءاً من دماغها، الجزء الذي تمسك بشدة بكل ما كان عقلانياً

مكتبة ياسمين

ومعقولاً، لم يسمح لها بقبول الحقيقة.

«صدفة لعينة. كم من مخبزٍ باسم ڤيتزجيرالد يمكن أن يكون هنا؟ هل يبدو مشابهاً من الداخل؟»

قالت وهي تبتعد: «لا أعرف»، الكذبة تجعل حلقها ضيقاً، والحقيقة تجعلها تشعر بالدوار والارتباك. «هيا، دعنا نذهب للتحقق من تلك العناوين».

ظلَت عيون روثي معلقة على المخبز عندما قاد باز الشاحنة خارج موقف السيارات. وضعت لنفسها تفسيراً مقبولاً، يشبه النظريات المجنونة التي قد يستحضرها باز عن حلمٍ من حياة ماضية، أو رابط روحي مع فتاة أخرى، أو أشياء لم تتوقع يوماً أن تؤمن بها.

وضعت رأسها على الزجاج البارد لنافذة الشاحنة وأغلقت عينيها، تفكر.

ما تفسير أن تحلم بمكان مادي حقيقي لم تذهب إليه من قبل؟

وإذا كان المخبز حقيقياً، هل يعني ذلك أن المرأة التي ترتدي نظارات عين القطة كانت حقيقية أيضاً؟

مكتبة ياسمين

كاثرين

أسرعت كاثرين على طول الأرصفة الموحلة، مدركة عدم ملاءمة أحذية المدينة غير المعزولة لهذا المكان. كان عليها أن تستقل السيارة. لكنها بدت مسيرة مسافة قصيرة، ورأت أن المشي والهواء النقي سيفيدانها.

كانت في طريقها إلى المكتبة. بعد الانتهاء من قراءة كتاب «الزوار من الجانب الآخر» الليلة الماضية، بحثت عن سارة هاريسون شي على جهاز الكمبيوتر المحمول ولم تجد شيئاً تقريباً. كان أملها أن يكون لدى المكتبة المحلية شيئاً آخر كتبته سارة أو يتحدث عنها.

بالتأكيد لم تكن مجرد مصادفة أن تجد نسخة من هذا الكتاب بين أغراض غاري، أو أن سارة كانت من ويست هول، المكان نفسه الذي زاره يوم وفاته.

ومن ثمَ كان هناك الخاتم: خاتم العمة. عندما قرأت كاثرين وصف سارة لخاتم العمة المصنوع من العظم وهي جالسة على الأريكة أمس، ارتعد قلبها. نظرت بعد الكتاب في يدها إلى الخاتم الذي ترتديه حول إصبعها، الخاتم الذي أعطاه لها غاري. راحت تلفه حول أصبعها وتلمس النقوش الغريبة المبهمة المحفورة عليه. خاتم العمة. أهذا مُمكنٌ؟

أولاً الكتاب المخفي، ثم الخاتم. لم تفهم ما قد يعنيه أي من هذا، لكنها أملت في العثور على بعض الإجابات في المكتبة. كانت شقة كاثرين تقع على الطرف الشمالي من الشارع الرئيسي، قبل التقاطع مع الطريق 6. يتألف حيها من منازل فيكتورية قديمة وفاخرة تم تحويلها إلى شقق ومكاتب. تجاوزت عيادة طبيب أسنان، وعدة مكاتب للمحامين، وشركة استشارات بيئية، ونزلٍ للمبيت

مكتبة ياسمين

والإفطار، ودار للجنازات.

وفي نهاية الشارع الرئيسي، مرت بجانب متجر سلع رياضية يعرض أحذية ثلج وزلاجات ومعاطف في الواجهة كانت هناك لافتة قديمة باهتة اللون على جانب المبنى فوق واجهة تعرض دراجات هوائية، وتحمل اسم جيمسون تاك أند فيد.

ثم مرت أمام متجر الخردة القديم. لا شك أنه مليء بالصور القديمة لأشخاص غرباء ماتوا قبل زمن طويل، والتي أحبها غاري. كان ولعاً لم تفهمه يوماً.

أوضح غاري ذات مرة واحدة: «تمثل كلَ صورةٍ روايةً لا يمكنني فتحها قطَ». «لا يسعني سوى أن أحملها بين يدي والاكتفاء بتخيل الحياة التي عاشها هؤلاء الناس».

في بعض الأحيان، إذا وجد دليلاً صغيراً على الصورة، مثل اسمٍ أو تاريخٍ أو مكان، كان يحاول التحري عنه، وعندما يجلسون لتناول العشاء ليلاً، كان يروي لها ولأوستن بحماس عن زاكاري تيرنر، صانع البراميل من شروزبري، ماساتشوستس، الذي قتل في الحرب الأهلية. كان أوستن يصغي باهتمام، ويسأل والده أسئلة كما لو أن هؤلاء أشخاص عرفهم غاري بالفعل ذات مرة: هل كان لديه كلب، يا أبي؟ ما لون حصانه؟ ويبدع غاري في اختلاق الإجابات، وبحلول موعد انتهاء العشاء، تتكون لديهم حياة كاملة عن هذا الغريب الذي فارق الحياة قبل زمن طويل؛ حياة سعيدة مليئة بالخيول والكلاب وزوجة وأطفال أحبهم كثيراً.

عندما غرقت قدماها بالطين تماماً، توقفت كاثرين للنظر في واجهة متجر الخردة حيث عرضت آلة غراموفون عتيقة، وزلاجة خشبية مرنة، وبوق

مكتبة ياسمين

فضي. وثمة فرو ثعلب ملفوف حول أكتاف عارضة أزياء بالية المظهر. كان للثعلب وجه غارق وأسنان صغيرة مدببة وعينان زجاجيتان قاسيتان تحدقان في كاثرين وبدا في الحال أنه يعرف جميع أسرارها.

لم تكن المكتبة على بعد أكثر من نصف ميل، لكنها بدت بعيدة للغاية. شعرت بالبرد يلسع وجهها ويداها داخل قفازاتها الرقيقة. دمعت عيناها، واكتست رموشها بقشرةٍ من الثلج. شعرت وكأنها مستكشف للقطب الجنوبي، إرنست شاكلتون، يسير عبر أرجاء محيطٍ متجمد قاتم.

وصلت إلى الجسر فوق النهر وتوقفت للراحة على الرصيف و أسندت يديها على السور المعدني وراحت تحدق في الماء العكر شبه المتجمد. لاحظت أنّ شيئاً تحرك على طول الضفة اليمنى، أسفل الجسر مباشرة، شكل داكن أنيق يسحب نفسه بصعوبة. ربما قندس أو فأر المسك، لا تعرف الفرق. لقد شق طريقه عبر الجليد وغطس في الماء، ثم اختفى.

انعطفت كاثرين عن النهر نصف المتجمد وأجبرت نفسها على التحرك إلى الأمام، عبرت الجسر وتابعت طريقها نحو أسفل الشارع الرئيسي وقد تخدرت يداها وقدماها الآن، وبات جسدها كله متصدعاً. فكرت في ذلك المخلوق البني الصغير، وكيف دخل الماء بثقةٍ وسلاسة دون حتى أن يترك أثراً وراءه. كان يتكيف تماماً مع بيئته. هي أيضاً يجب أن تجد طريقة للتأقلم. وأن تجد سبيلاً للسير عبر هذا المكان الجديد بسهولة ويسر. قررت أن تبدأ بزيارة متجر السلع الرياضية لشراء زوجٍ من الأحذية المناسبة مع المعطف والقبعة والقفازات.

تجاوزت استوديو اليوغا، ومتجر الايس كريم،

مكتبة ياسمين

وبائع زهور عاطل عن العمل. لاحظت وجود لافتاتٍ ملصقة على جميع واجهات المتاجر وعلى أعمدة الإنارة ولوحات الإعلانات، تظهر صورة فتاة محلية ضائعة: ويلا لوس البالغة من العمر 16 عاماً. شوهدت آخر مرة ترتدي سترة تزلجٍ أرجوانية وبيضاء. غادرت منزل صديقتها في 5 ديسمبر لتقطع مسافة نصف ميل إلى المنزل ولم يشاهدها أحد بعد ذلك. نظرت كاثرين إلى وجه الفتاة المبتسم وشعرها البني القصير المزين ببعض النمش، وبريق تقويم الأسنان الفضي على أسنانها. ربما ستظهر، وربما لا. ففي بعض الأحيان تحدث أشياء سيئة وأحياناً تكون مروعة..

وصلت أخيراً إلى المكتبة. جلجل جرس الباب بفرح. كان المتجر دافئاً ورائحته تشبه رائحة الورق القديم والخشب. شعرت بالارتياح على الفور. حتى أن ألواح الأرضية البالية ارتاحت تحت قدميها. حركت أصابعها كي تستعيد إحساسها بها مجدداً.

اجتازت الطاولات الأمامية لاقتراحات الموظفين، والكتب الأكثر مبيعاً، والإصدارات الجديدة، وشقت طريقها نحو المنصة حيث وقف رجل ذو لحيةٍ وسترة صوفية خضراء يكتب على جهاز كمبيوتر. لكنها توقفت عندما اكتشفت قسم الشعر. اعتادت هي وغاري على قراءة الشعر بصوت عالٍ لبعضهما في السرير في بعض الصباحات الكسولة، قصائد لريلكه وفرانك أوهارا وبودلير. دعا غاري كلَ الرجال الموتى العظماء إلى سريرنا. كان يحب الشعر حتى أنه كتب قصيدة قصيرة ضمن نذور زفافهما:

لطالما قلقت من أنني حلمت بقربك مدى الحياة، ثم استيقظت وأنتِ بجانبي وأخذت يدك، نجم بحر شاحب مقابل بريق شمس النيل، أطبق شفتي على

مكتبة ياسمين

نورك، أتذوق الماء المالح، وحلوى التفاح، والخوخ الطازج الناضج. إن كنتِ حلماً يا حبيبتي، فأنت الحلم الذي أودّ أن أعيش فيه إلى الأبد.. إذا كنت حلماً يا حبيبي، فهذا حلم أريد أن أعيش فيه إلى الأبد.

كاثرين. شعرت بغاري مرة أخرى، صوته خلفها الآن. لفَت على عقبيها معتقدة أنها إذا كانت سريعة بما فيه الكفاية فقد تلمحه، لكنها لم تجد شيئاً. ولا حتى ظلاً له.

لاحظت وجود صورة قديمة على الحائط. اقتربت أكثر ورأت أنها صورة لنزل ويست هول، بتاريخ 1889 مدون في الأسفل، مبنى كبير من الطوب مع نوافذ بيضاء ومظلة. بدا مألوفاً بشكل غريب.

قال بائع الكتب الملتحي عندما لاحظها تنظر إلى الصورة: «كان هذا المبنى بأكمله تابعاً للنزل ذات مرة». «هنا، حيث توجد المكتبة، كانت غرفة الطعام والحانة. أما النوافذ فهي الأصلية»- أشار إلى واجهة المتجر -«على الرغم من أنَ كلَ شيء آخر قد تغير جذرياً». ألقت كاثرين نظرة إلى المكان الذي يشير إليه في الصورة، ووجدت نفس التفاصيل هناك.

قال الرجل: «أخبريني إن كنت بحاجة للمساعدة».

قالت: «نعم، في الواقع أحتاج مساعدتك». سحبت كتاب «زوار من الجانب الآخر» من حقيبتها.

«هل لديك أي كتاب آخر من تأليفها؟ أو يتحدث عنها؟»

هزَ رأسه. «أخشى أن هذا كلَ شيء. على الرغم من أنهم يقولون إن هناك يوميات مفقودة في مكان ما». ولاحظت التماع بصيص صغير في عينه. «إنها أسطورة محلية نوعاً ما، ومثل جميع الأساطير الجيدة، لا يمكنك تصديق نصف ما تسمعين».

مكتبة ياسمين

«إذن فقد عاشت هنا في ويست هول؟» «نعم بالتأكيد».

«هل تسكن عائلتها هنا؟»

حك رأسه، وبدا مندهشاً قليلاً من النبرة التي تحدثت بها. كانت ترتدي معطفها وحذائها الأنيقين، لكن يديها ملطختان بالطلاء، وأدركت الآن أنها نسيت تمشيط شعرها. إذا لم تكن حذرة، سينتشر الخبر سريعاً عبر البلدة الصغيرة عن المرأة المجنونة التي انتقلت للتو.

«ليس لديها عائلة. كلَ أفراد عائلة هاريسون و شي ماتوا أو رحلوا منذ سنوات».

«إذن لا توجد كتب أخرى عنها؟»

هزَ رأسه نفياً. «إنه لأمر مفاجئ، أعلم. أعني، تحتوي قصتها على كلَ مقومات فيلم ضخم عن الغموض والموت والقتل الشنيع، ولكن الأشخاص الوحيدين الذين جاؤوا لطلب المزيد هم طلاب الدراسات العليا، والمهتمون بالسحر والتنجيم، وغريبو الأطوار في بعض الأحيان الذي تجذبهم الحكاية بسبب ما فيها من تفاصيل مروعة». نظر إليها كما لو كان يحاول أن يقرر إلى أي فئة من هؤلاء تنتمي.

«إذن ما الذي يمكنك أن تخبرني عنها أيضاً؟» سألت سارة.

«ما الذي تودين معرفته بالضبط؟» تغيرت ملامحه وكأنه يطرح عليها سؤالاً مخادعاً.

فكرت لدقيقة. ما الذي أرادت أن تعرفه؟ لماذا تحملت عناء الخروج في البرد لتسأل عن امرأة لم تسمع بها حتى الأمس؟

راودها ذلك الشعور الذي ينتابها عندما تقوم

مكتبة ياسمين

بعملها الفني وفجأة تكتشف القطعة المفقودة التي تربط كلَ شيء ببعضه، مثل وخزٍ في ظاهر عنقها، واندفاع مجنون لشعورٍ غامر ينتشر في جميع أنحاء جسدها. لم تفهم أهمية سارة هاريسون شي، والخاتم الذي أعطاها إياه غاري، أو الكتاب الذي أخفاه، لكنها علمت أن هذا مهم، وأن عليها أن تنساق معه وترى إلى أين قد يؤدي.

«ذكرت في الكتاب أنه ثمة صفحاتٍ مفقودة، تلك التي كانت تعمل عليها قبل وفاتها مباشرة. هل عثر عليها لاحقاً».

هزَ رأسه. «في الحقيقة، ربما لم تكن موجودة أساساً. ادعت ابنة أخت سارة، أميليا لاركين، أن هناك صفحات مفقودة من اليوميات، لكنها لم تجدها أبداً. من المؤكد أنها مزقت منزل سارة بحثاً عنها».

خلع نظارته ومسحها بسرعة. «بالطبع، انتشرت جميع أنواع الشائعات حول تلك الصفحات المفقودة وما تحتويه. يدعي البعض أنهم شاهدوا الصفحات، وأنها بيعت في مزاد سري بأكثر من مليون دولار في الثمانينيات».

ضحكت كاثرين. «لماذا يدفع أي شخص مليون دولار مقابل بضع صفحات من مفكرة؟»

ابتسم بائع الكتب ابتسامة ماكرة. «لقد قرأت الكتاب، أليس كذلك؟ وكل ما فيه عن إيقاظ الراقدين؟ يعتقد الناس أن سارة هاريسون شي تركت تعليمات دقيقة للغاية لإعادة الموتى إلى الحياة».

«واو».

«أعرف. محض جنون. لكن أعتقد أن الناس يصدقون ما يريدون تصديقه، أليس كذلك؟ على أي حال، إن كان لديها هذه المعرفة، فمن المؤكد أنها لم

مكتبة ياسمين

تنفعها في شيء. أعتقد أنه من غير الممكن ممارسة السحر على نفسك».

«إذن زوجها هو من قتلها؟» قال: «حسناً، هذا قابل للنقاش».

«قابل للنقاش؟» سألت كاثرين، وهي تقترب من المنضدة. «لم تكن هناك محاكمة. لم تجر أية تحقيقات».

« كلَ ما لدينا هو بعض الحقائق الثابتة، وقصص من الناس الذين شهدوا تلك الأحداث ثم نقلوها إلى أحفادهم. لا يوجد إثبات على الورق، بل مجرد تاريخ شفهي. ما نعرفه هو أن شقيق مارتن، طبيب المدينة، لوسيوس شي، وصل في موعد زيارة مقررة في ذلك المساء. لم تكن سارة على ما يرام وكان يشرف على رعايتها. عندما وصل، وجد الباب مفتوحاً على مصراعيه، ولكن دون أثرٍ لمارتن أو سارة. ذهب إلى الجانب الخلفي من المنزل ووجدهما في الحقل. كانت سارة...» تردد ونظر إلى الأرض.

رمقته كاثرين بنظرة مستفهمة. قالت: «تابع، أرجوك». «أنا لست مرهفة الحس».

أخذ نفساً عميقاً. «كان جلدها مسلوخاً. ومارتن يقف بجانبها مُغطىً بالدماء، يَحملُ بندقية ويُثرثرُ بكلامٍ غير مفهوم. «هل تعرفين ما كان آخر شيء قاله؟ قال لأخيه إنه لم يكن الفاعل، بل جيرتي».

شعرت كاثرين بفكها يهبط من شدة الدهشة ثم عادت واستجمعت تركيزها. «الابنة؟ لكنها كانت ميتة، أليس كذلك؟»

«نعم. بالضبط. ما لم..»- صمت قليلاً كي يؤكد التأثير الدرامي للكلمات: «ما لم تصدقي بقية القصة التي ترويها سارة في مذكراتها عن إعادة جيرتي إلى

مكتبة ياسمين

الحياة». انحنى إلى الأمام، وبدا مثل صبي صغير متحمس يروي قصة شبح. تأملها باحثاً في وجهها عن احتمال أن تصدق مثل هذا الشيء.

«لسوء الحظ، أطلق مارتن النار على نفسه قبل أن يتمكن أحد من طرح أي أسئلة أخرى».

شعرت كاثرين برأسها يدور. «ما رأيك؟».

انحنى الرجل إلى الوراء وضحك. «أنا؟ أنا مجرد بائع كتب يسحره التاريخ المحلي. من المحتمل أن مارتن قتل زوجته. لكن الكثير من الناس الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت، وحتى الناس اليوم، لا يوافقون على هذا الرأي».

«ماذا يقولون؟»

«يعتقدون أن ثمة سرّ هناك، في الغابة عند أطراف البلدة، سرّ شيطاني لا يمكن تفسيره. لقد انتشرت الكثير من القصص على مر السنين، عن اختفاء أشخاص، وعن أشخاص يقولون إنهم شاهدوا أضواء غريبة أو سمعوا صوت بكاء، أو حكاياتٍ عن شخصية شاحبة تجوب أرجاء الغابة. عندما كنت صبياً، اعتقدت أنني رأيت شيئاً من هذا القبيل ذات مرة، رأيت وجهاً يحدّق بي من شقّ بين الصخور. لكنه اختفى حين اقتربت أكثر». اتسعت عيناه بشكل كبير وأطلق ضحكة مكتومة بعض الشيء. «هل أخفتك؟»

هزت كاثرين رأسها.

«حسناً، دعيني أخبرك المزيد». وقعت الكثير من الأحداث الغريبة في البلدة بعد وقت قصير من مقتل سارة».

«مثل ماذا؟»

«كلارنس بيميس، الجار الأقرب إلى منزل ال شي،

مكتبة ياسمين

وجد قطيع ماشيته مقتولاً بالكامل، استيقظ ذات صباح ووجدها جميعها مذبوحة من أعناقها. كما قطع عنق الثور الأكبر وأزيل قلبه من بين أضلاعه. ومن ثمّ شقيق مارتن، لوشيوس؟ ألقى جالوناً من الكيروسين على نفسه في وقت مبكر من صباح أحد أيام الأحد، وسار مباشرة إلى وسط الشارع الرئيسي، وأشعل عود ثقاب».

«لا أفهم ما السبب - ».

«قال الناس إنهم رأوا امرأة تتسلل من الباب الخلفي لمنزله قبل أن يخرج مباشرة ويشعل النار في نفسه. وأقسم الناس الذين رأوها بأنها كانت سارة هاريسون شي».

شعرت كاثرين برعشة لا إرادية.

«وقعت الكثير من الوفيات في ذلك العام. إلى جانب الحوادث الغريبة والأمراض. والأطفال الذين يسقطون تحت عجلات العربة. والحريق الضخم الذي التهم المتجر العام وقتل صاحب المتجر وعائلته. وظل الناس يقسمون أنهم رأوا سارة في الأرجاء. أو شخصاً يشبهها تماماً». ابتسم. «هذا تاريخ ويست هول باختصار. الكثير من قصص الأشباح والأساطير، وعدد ضحلٌ جداً من الحقائق المثبتة».

ظلّت كاثرين صامتة لبرهة. تأملت كومة من الكتب الورقية الضخمة بجانب السجل. الماضي والحاضر: ويست هول، فيرمونت، في صور.

«هل هذا كتاب عن التاريخ المحلي؟» سألت، وحملت نسخةً. «لقد جمعه العاملون في التاريخ المجتمعي، لكنه في الغالب مجرد مجموعة من الصور».

«لن تجدي شيئاً حول سارة هناك». قالت: «سآخذه

 مكتبة ياسمين

على أي حال»، إذ رأت أنه كان من اللائق شراء شيء ما بعدما أخذت الكثير من وقت الرجل. لقد سجَل الطلب ودفعت ثمنه.

قال لها وهو يسلمها كيساً ورقياً وضع الكتاب بداخله: «شكراً لكِ».

«لا، بل الشكر لك. فعلاً. لقد ساعدتني كثيراً». قال وهو يعود إلى جهاز الكمبيوتر: «أهلا بك في أي وقت».

التفتت لتغادر، ثم توقفت. «أنت لا تصدق أياً من ذلك، أليس كذلك؟ أقصد الأشياء التي كتبتها سارة في مذكراتها؟»

ابتسم وعقد يديه معاً. «أعتقد أن الناس يرون ما يريدون رؤيته. قصة سارة مذهلة، وكل ما مرّت به. لكن فكري في الأمر: لو أنكِ فقدت شخصاً تحبينه، ألن تفعلي أي شيء لتحظي بفرصة رؤيته مرة أخرى؟»

صدح جرس الباب عندما غادرت كاثرين المتجر متجهةً إلى المنزل. شدت معطفها حول صدرها وسحبت وشاحها الرقيق بقوة لدرجة أنه كاد يخنقها.

«كنت آمل أن أراكِ مرة أخرى». هلعت كاثرين.

كانت لولو ذات الشعر الأحمر من المقهى المجاور؛ لقد خرجت من أبوابه ووقفت تسد طريق كاثرين في الرصيف مع مجوهراتها الفضية والتركوازية البراقة. «ثم نظرت من النافذة ورأيتك. لقد تذكرت». قالت وهي تلف ذراعيها حول نفسها. فقد خرجت دون معطف.

«تذكرت؟»

«أين رأيت المرأة ذات الضفيرة من قبل. كما

مكتبة ياسمين

أخبرتك، أنا لا أنسى وجهاً أبداً. إنها بائعة البيض».

«بائعة البيض؟» كررت كاثرين.

«نعم. أنا لا أعرف اسمها، لكنها تأتي إلى سوق المزارعين كلَ أسبوع. تبيع البيض الأزرق والأخضر. دجاج بيض عيد الفصح، كما نطلق عليه هنا. إنها تبيع أشياء أخرى أيضاً، أشياء تحيكها. أحذية أطفال، أو جوارب وقبعات. لقد اشتريت وشاحاً منها ذات مرة. غداً السبت، اذهبي إلى سوق المزارعين وستجدينها هناك. ستتعرفين عليها على الفور، أؤكد لك.. إنها ترتدي سترة أو شالاً من صنع يدها مزيناً بالكثير من الألوان الساطعة المجنونة. وإن لم تجديها، اسألي الناس، فالجميع يعرف بائعة البيض».

عادت لولو إلى المقهى، تاركةً كاثرين تقف وحدها وقد سيطر عليها الشعور بالصدمة.

بائعة البيض. غاري قابل بائعة البيض. على الرغم من أنه لم يكن اسمها الحقيقي، فقد كان وسيلةً للتعرف عليها وجعل صورة هذه المرأة تتشكل في خيال كاثرين. استدارت وركضت عملياً على طول الرصيف، فانزلقت قدمها بينما كانت تهرع مسرعةً نحو المنزل.

دمية. ستصنع دمية مصغرة للمرأة، بائعة البيض، امرأة أكبر سناً مع شعر رمادي مجموع في ضفيرة وترتدي سترة مشرقة زاهية الألوان. ستصنع كروشيه سترة صغيرة من خيوط الغزل الناعمة. كان لديها صندوق من الخيوط وخطافات الكروشيه في مكان ما. كان صندوق وجبته الأخيرة على وشك أن يكتمل، وكان عقل كاثرين يدندن، وأصابعها ترتعش. فتحت باب شقتها، وألقت حقيبتها والكيس الورقي من المكتبة على طاولة القهوة، ونزعت معطفها

مكتبة ياسمين

والقفازات، وتوجهت إلى منضدة عملها، وبدأت في قطع الأسلاك التي من شأنها أن تشكل هيكل دميةٍ صغيرة من عجينة الورق. عندما انتهت من صنع بائعة البيض، صنعت دمية صغيرة على هيئة غاري وجعلتهما يجلسان مقابل بعضهما على طاولة في مقهى لولو.

وربما، كادت تجزم بأنها لو جثت أمام الصندوق، ووضعت أذنها على المدخل المفتوح، واسترقت السمع لكانت عرفت الحديث الذي دار بينهما في ذلك اليوم، وفهمت سبب مجيء غاري إلى ويست هول.

مكتبة ياسمين

روثي

لم يظهر أثر لمنزل ويليام أورورك. كتبت روثي ملاحظة تقول إنها تبحث عن توماس وبريجيت وتركت رقم الهاتف الخلوي لـ باز في الأسفل. وضعتها في صندوق البريد وصعدت إلى الشاحنة.

لم يتحدث أي منهم بينما كانوا يتبعون توجيهات نظام تحديد المواقع إلى منزل كانديس. كانوا في جزء جديد من المدينة الآن حيث المنازل أكبر ومتباعدة أكثر. كان للطرق أسماء أكثر بريقاً مثل شارع ويستمنستر، وطريق ستيج كوتش القديم. وثمة لافتات إرشادية للحي ولافتات تذكرك بالقيادة ببطء والانتباه لوجود الأطفال. ولا تزال أضواء عيد الميلاد المشرقة تزين العديد من المنازل إلى جانب تماثيل رجال ثلج الضاحكين في ساحات ضخمة.

تقطن كانديس أورورك في فيلا بيضاء كبيرة ذات نوافذ سوداء.

قال باز وهو ينعطف بسيارته إلى الممر الطويل: «مكانٌ جميل». قفزت روثي من الشاحنة ورنت جرس الباب. فأطلق رنين أغنية قصيرة. لكن المنزل كان صامتاً. قرعت جرس الباب مرة أخرى.

وحين أوشكت روثي على الاستسلام والعودة إلى الشاحنة، فتح الباب الخشبي الثقيل وظهرت امرأة متهالكة المظهر ترتدي ملابس رياضية باللونين الوردي والأسود. كان شعرها أشقر مصففاً بأناقة لكنه مخفف من جانب واحد. لاحظت روثي أنها أيقظت المرأة من قيلولة بعد الظهر غالباً.

«نعم؟» قالت المرأة وهي تطرف بعينيها بنعاس في وجه روثي.

بدا المدخل خلفها مشرقاً وفسيحاً، وجدرانه

مكتبة ياسمين

بيضاء وأرضيته من التيراكوتا. وثمة صف أنيق من شماعات المعاطف الفضية على اليسار، مع مقعدٍ تحتها.

«آسفة لإزعاجك، ولكن هل أنت كانديس أورورك؟» أجابت بحذرٍ: «نعم».

«حسناً، أعلم أنه ربما احتمال ضعيف، لكنني أبحث عن أفراد آخرين من عائلة أورورك؟ توماس وبريجيت؟ كانا يعيشان في كيندال لين».

تضيقت عينا المرأة. «ومن تكونين؟» سألت، وتراجعت خطوةً إلى الوراء.

«اسمي روثي. روثي واشبورن».

حدقت كانديس في روثي لبرهة؛ ثم بدا الأمر كما لو أنها استيقظت فجأة وعاد جسدها كله إلى الحياة. «بالطبع». قالت وهي تبتسم وكأنها التقت بصديقٍ ضائعٍ منذ أمدٍ طويل. «بالطبع أنت هي. وأراهن أنني أعرف بالضبط لماذا جئت».

«لماذا جئت؟» قالت روثي.

«لماذا لا تخبرينني أنت يا عزيزتي؟ بكلماتك أنت».

تلعثمت روثي وشعرت بالارتباك. «كان والداي صديقين لتوماس وبريجيت. وجدت بعض الأشياء القديمة لهما مع أشياء والدي، وفكرت....»

قالت المرأة: «تعالي إلى الداخل». «أرجوك».

دخلت روثي وأغلقت المرأة الباب خلفها. كان الجو دافئاً في الداخل وإن كانت رائحته متعفنة بعض الشيء.

قادت روثي عبر المدخل إلى غرفة معيشة كبيرة ومفتوحة حيث توجد أريكة جلدية وكرسيان متطابقان. انتصبت شجرة عيد الميلاد في الزاوية تصل إلى السقف تقريباً ومغطاة بزينةٍ زرقاء وفضية

مكتبة ياسمين

رائعة. لم تر روثي شجرة عيد ميلاد جميلة كهذه من قبل. كانوا دائماً يقطعون أشجارهم بأنفسهم من الغابة، أشجار دائمة الخضرة مزينة بخليط من الزينة يدوية الصنع وخيوط الفشار وسلاسل ورقية.

جلست كانديس أورورك على الأريكة الجلدية الضخمة وأشارت لروثي للجلوس بقربها. شعرت روثي وكأنها دخلت معرض لوحاتٍ فاخرٍ أو مجلة ديكور منزلي؛ كلَ شيء في هذه الغرفة كان مثالياً. لا بدَ أن طفلاً عاش هنا، وكان الطفل الأوفر حظاً والأكثر أناقة في العالم. كانت فون ستشعر بالدوار لو وقع بصرها على جميع هذه الألعاب؛ حصان هزاز قديم الطراز، ومجموعة مطبخ خشبي كاملة مع الأواني والمقالي المعدنية الحقيقية، وحتى مسرح دمية خشبية كبير وضعَ في الزاوية. بدا كلَ شيء أنيقاً ونظيفاً ومنظماً. كأنه غير حقيقي.

«هل تشربين شيئاً؟» سألت كانديس. «أم تودين شيئاً يؤكل؟»

«لا، شكراً». «لدي بسكويت». «لا، أشكركِ».

وقفت كانديس. «سأحضر بعض الكعك. وربما بعض الشاي. أتريدين كوباً من الشاي؟»

«لا، حقاً، أنا بخير. لا أحتاج إلى أي شيء». «سأعود حالاً».

جلست روثي على حافة الأريكة تصغي إلى صدى خطوات كانديس في نهاية الرواق. انتظرت دقيقة، ثم وقفت لتنظر حولها. ذهبت أولاً إلى شجرة عيد الميلاد واكتشفت عند الفحص الدقيق أنها لم تكن مثالية كما تبدو. كان يبرز منها الكثير من الأبر الشائكة وجفَ خشبها تماماً. كما أن جزءاً كبيراً من الزينة محطم وأعيد تجميعه بالأشرطة اللاصقة والأشرطة المطاطية. ولاحظت روثي أن الشجرة

مكتبة ياسمين

نفسها كانت غير سليمة وتميل بشدة إلى اليسار. والنجم الذي في الأعلى كان عالقاً في فرعٍ في الأسفل، مثل طائر سقط من عشه.

إن رؤية الشجرة عن قرب أثارت في أعماق روثي شعوراً بعدم الارتياح. ثم نظرت إلى مطبخ اللعبة ورأت أن هناك، في وعاء صغير على الموقد، برتقالة حقيقية، ذبلت وباتت مغطاةً بالعفن.

ذهبت إلى مسرح الدمى ونظرت خلفه فرأت كومة متشابكة من الدمى المكسورة؛ ملك فقد تاجه، وضفدع بلا رأس، وأميرة عارية وجهها ملطخ بعلامة سحرية زرقاء وثمة قلم رصاص مغروس في بطنها مثل الرمح الأصفر.

استدارت روثي وغادرت غرفة المعيشة متجهة إلى أسفل الردهة بعيداً عن الباب الأمامي باتجاه المكان الذي خمنت أن المطبخ يجب أن يكون فيه. سمعت صوت فتح وإغلاق أبواب الخزانة. على طول جدران الرواق انتشرت خطافات لتعليق الصور، ولكن لا توجد صور.

أخيراً، وصلت إلى المطبخ، حيث وقفت كانديس أمام موقد غازٍ كبير. كانت أسطح الطاولات من الجرانيت، والخزائن من الخشب الداكن المصقول. لكن ثمة خطب ما. لم يكن هناك أي شيء على هذه الطاولات، لا رغيف خبزٍ أو وعاء من الفاكهة، ولا صانعة قهوة أو محمصة خبز. وبدت الخزائن التي تركتها كانديس مفتوحة فارغة تقريباً إلا من بعض البسكويت وعلبة من التونة وعبوةً من عصير كريستال لايت.

«أعلم أن ثمة بسكويت في مكان ما». فيغ نيوتونز. إنها المفضلة لدى لوك. «لوك؟»

قالت وهي تمرر يدها عبر شعرها الفوضوي:

مكتبة ياسمين

«ابني».

فكرت روثي في الدمية التي تحمل القلم الرصاص في بطنها ولم تكن متأكدة من أنها تريد مقابلة الطفل المسؤول.

قالت كانديس: «إنه مع والده»، وهي لا تزال تلعب بشعرها وتلف خصلة حول إصبع السبابة وتشدها قليلاً. «نحن مطلقان، كما ترين، وراندال لديه الحضانة الكاملة الآن. إنه... حسناً، لا تشغلي بالك. لنجلس».

جلستا أمام الطاولة الخشبية الكبيرة المكسوة بطبقة سميكة من الغبار.

«قلتِ إنّ والديك كانا صديقين لتوم وبريجيت؟»

«أجل». عبثت روثي بقفل حقيبتها، ومدت يدها إلى المحفظتين.

«إذن أنتِ تعرفينهما، أليس كذلك؟» بدأ قلب روثي ينبض بسرعة. «ربما بوسعك مساعدتي؟ أعرف أن هذا جنون، لكن أمي،... اختفت».

«اختفت؟» مالت كانديس نحوها.

أومأت روثي برأسها بقوة. «أجل. وبينما كنا نبحث في أغراضها في محاولة لمعرفة أي شيء عنها، وجدنا هذه». سحبت المحفظتين، وقدمتهما لها.

أخذت كانديس المحفظتين وفتحتهما بيدٍ مرتعشة. اغرورقت عيناها بالدموع.

«أنا آسفة. لقد مرَ وقتٌ طويل. توم كان أخي. اختفى هو وزوجته قبل ستة عشر عاماً. وكذلك ابنتهما».

«ابنة؟» شعرت روثي بالاختناق. «انتظري هنا. دقيقةً فقط».

خرجت كانديس من الغرفة مسرعة، ونعال حذائها

مكتبة ياسمين

الرياضي يصدر صريراً على أرضية البلاط.

تنامى شعور روثي بعدم الارتياح. صوت في الجزء الخلفي من عقلها همس لها محذراً: غادري هذا المكان. اهربي.

وقفت مترددةً عندما عادت كانديس تحمل صورةً في إطارٍ ذهبي. قالت وهي تدفع الصورة المؤطرة نحو روثي: «هؤلاء هم».

نظرت روثي إلى الوجه المألوف لتوماس، المطابق لصورة رخصة قيادته. شعرت أن هواء الغرفة صار رقيقاً وغريباً. وبدت الغرفة أصغر وأظلم. تنفست روثي جرعة إضافية من الهواء وهي تحدق في الصورة.

بجانب توماس كانت امرأة ذات نظارة على شكل قطة وشعر مجعد.

المرأة التي حلمت بها في مخبز فيتزجيرالد.

«ماذا تختارين يا حمامتي؟»

بين الزوجين، طفلة ذات شعر وعيون داكنة تمسك يدها بيد والدتها وترتدي فستاناً مخملياً بنفسجي اللون وعصابة رأسٍ من اللون نفسه. وحول معصمها سوار ذهبي صغير. كان شعرها أنيقاً وممشطاً وخداها ورديا اللون، وعلى وجهها ابتسامة تقول إنها أسعد طفل على وجه الأرض.

شعرت روثي بالعجز عن التنفس.

همست قائلة: «يجب أن أذهب»، وابتعدت بساقين مهزوزتين هاربةً من المطبخ لتعود إلى الردهة ذات الشماعات الفارغة ومنها إلى الباب الأمامي الخشبي الضخم ذي الألواح.

صاحت كانديس خلفها: «انتظري». «لا يمكنك الذهاب الآن».

مكتبة ياسمين

لكن روثي خرجت من الباب وركضت إلى الشاحنة قفزت إلى الداخل وأغلقت الباب. قالت وهي تلهث بصعوبة: «انطلق».

«ماذا حدث؟ هل تعرفُ شيئاً؟» سأل باز. «إنها سيدة مجنونة. لا يمكنها مساعدتنا».

شاهدت في مرآة الرؤية الخلفية كيف خرجت كانديس من الممر وطاردتهم سيراً على الأقدام، ثم رفعت ذراعيها وصاحت: «ثمة ما يجب أن تعرفينه!»

مكتبة ياسمين

روثي

«ما الذي تبحثين عنه؟» سأل باز. أجابت روثي: «لا أعرف بالضبط».

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة، وعادوا إلى المنزل. بحثت روثي بجنون بين خزائن الكتب والأدراج والأرفف بينما جلست فون وباز يراقبانها من طاولة المطبخ حيث وضعا الحاسوب المحمول. كان باز يعلم فون كيف تلعب لعبة صيد كائنات فضائية. وبدت فون سريعة التعلم وماهرة في استخدام مفاتيح الأسهم لتوجيه مركبتها الفضائية عبر المجرة، وإطلاق سلاح الليزر بمفتاح التغيير.

«مهلاً. لا يا فون، المخلوقات الفضائية الخضراء هم الأخيار. لا تطلقي النار عليهم. إنهم حلفاؤنا. عليك أن تفجري الكائنات الحمراء». ابتسمت روثي لـ باز ابتسامة دافئة. وقالت: «شكراً لك»، فابتسم باز أيضاً. كانت ممتنة له بالفعل. لقد أخذ يوم إجازة من العمل ليوصلها إلى كونيتيكت، وها هو الآن معها يحاول الترفيه عن فون.

وجدت روثي ألبوم صور للعائلة والعديد من صناديق الأحذية المليئة بالصور، أحضرتها جميعها إلى الطاولة.

قال باز: «اضغطي f6 كي تنطلقي إلى الفضاء الفائق». «ما معنى الفضاء الفائق؟» سألت فون.

«إنه المكان الذي تلعبين فيه بسرعة خارقة. يمكنك أن تسبقي كلَ شيء تقريباً».

قلبت روثي صفحات الألبوم الذي امتلأ بصور ولادة فون، ثم خطوات فون الأولى، وأول دراجة ثلاثية العجلات، وأول سن مفقود. كانت أمي وأبي بجانبها أيضاً مع روثي ولكن من الواضح أن فون

مكتبة ياسمين

كانت نجمة العرض. عادت إلى الصفحة الأولى التي تظهر صور كلَ من الأب والأم يحملان فون إبان ولادتها. كان وجهها أحمر مجهداً وعيناها الواسعتان مفتوحتين على مصراعيهما تتسعان لكل شيء. وهناك، في الزاوية السفلية، تظهر روثي: فتاة عابسة في الثانية عشر من عمرها مع واحدةٍ من قصات شعر والدتها الشهيرة.

لم يظهر في الصور سواهم هم الأربعة. لم يكن لدى الأم والأب أقارب على قيد الحياة، لذلك لم يكن هناك زيارات إلى منزل الجدة في عيد الشكر، ولا أبناء عمومة يتشاجرون معهم في عيد الميلاد.

رمت روثي علبة الأحذية.

«هل تبحثين عن صور لآل أورورك؟» سأل باز، وهو ينظر من فوق شاشة الكمبيوتر. في حين أبقت فون عينيها على الشاشة وأصابعها تضرب المفاتيح.

لم تجب روثي. قلبت صوراً تلو الأخرى، وسحبت العديد منها من مظاريفها الأصلية التي لم تخرج منها من قبل، ومرت فوق لقطة ضبابية تلو الأخرى، وشاهدت صوراً سيئة الإطار حيث قطعت رؤوس الفتاتين. كانت هناك صور للفتاتين تقفان أمام أشجار عيد الميلاد المشوهة أو تلعبان في الثلج، وتحفران في الحديقة، وتحملان الدجاج. وبعض الصور لروثي في سنٍ أصغر، ربما في العاشرة، ترتدي قبعة بيسبول في أول رحلة تخييم لها مع والديها. وصور لها ترتدي فيها مجموعة متطابقة من البلوزات مع والدتها في سن الرابعة عشرة. بدت كلاهما غريبتين جداً معاً، روثي طويلة ونحيلة بشعر أسود وعينين داكنتين، ووالدتها قصيرة وبدينة بعيون زرقاء لامعة وشعر رمادي متشابك. وهنا كانت في الثامنة تحمل مجموعة أدوات

مكتبة ياسمين

الكيمياء التي توسلت من أجلها في عيد الميلاد. كان والدها بجانبها في هذه الصورة يعرض عليها صورة للجدول الدوري ويشرح لها كيف أن كلَ شيء على وجه الأرض وكل شيء في الكون، حتى الناس ونجم البحر والأسمنت والدراجات والكواكب البعيدة، جميعها تتكون من مزيج من هذه العناصر.

«أليس من المدهش التفكير في ذلك، روثي؟» سألها.

وجدت روثي فكرة أننا مجرد سلسلة من قطع الألغاز التي تراكبت بدقةٍ أو مجرد لبناتِ لبناءٍ ما، فكرة مثيرة للقلق، لقد أرادت أن يكون هناك أكثر من ذلك حتى بالنسبة لطفلة في الثامنة.

عادت روثي إلى أقدم صورة وجدتها لها حيث تقف في الممر وتحمل دباً محشواً أخضر اللون. خمنت أنها ربما كانت في حوالي سن الثالثة في الصورة. التقطت الصورة في الممر ذات ربيع. لا تزال هناك كتل من الثلج تتشبث بالعشب، لكن كان بوسع روثي رؤية براعم الزعفران بين الأعشاب. كانت ترتدي فستاناً خشن المظهر ومعطفاً صغيراً، وشعرها مصفف في ضفيرتين أنيقتين.

تذكرت الدبَ فجأة: بايني بوي. لقد رافقها في كلَ مكان. ماذا حدث لذلك الدب؟ لقد تحولت معظم حيواناتها المحشوة إلى فون لكنها لم تر بايني منذ زمن طويل. وفجأة شعرت بالحنين إلى ذلك الدب الغبي لدرجة أن عينيها اغرورقتا بالدموع.

«باز؟» قالت وهي تتنحنح وتفرك عينيها بقوة. «هل تظن أن هناك المزيد من الصور لك أو لأختك؟»

بدا في حيرة من سؤالها. «تقصدين صوفي، بالتأكيد.

«لقد كانت الطفل الأول كما تعلمين. لقد التقطوا

مكتبة ياسمين

صوراً لكل ما فعلته، كلّ شيء، حتى برازها الأول في نونية الطفلة الكبيرة. وعندما جئت أنا، لم تعد أشياء مثل هذه مثيرة للاهتمام. يوجد صور لي، بالطبع، ولكن ليس بقدر نصف عدد الصور التي التقطوها لصوفي».

أومأت روثي برأسها. هذا بالضبط ما كانت تفكر فيه. «أين صور طفولتك؟» سألت فون وهي تبدو مثل البومة كلما نظرت إلى أختها من فوق الجزء العلوي لشاشة الكمبيوتر.

اعترفت روثي: «لم أجدها».

عضت فون شفتها. قالت: «أوه»، مع تنهيدة خيبة أمل. عادت إلى النظر إلى الشاشة، ولكن دون أن تتابع اللعب.

اقترح باز: «ربما تجدينها في مكان مختلف». هزت روثي رأسها. «لم أجد أياً منها من قبل. ولا حتى مرة واحدة.

وعندما كنت أصغر سناً، سألت عنها، وقالت أمي «إن لدينا صوراً لك في مكانٍ ما»، لكنني لم أر أياً منها. هذه الصورة لي مع الدب هي أقدم صورة وجدتها لي. أعتقد أن عمري هنا ربما ثلاث سنوات».

ألقت روثي نظرة على الصورة مجدداً. كانت تبتسم بسعادة للكاميرا، وذراعها اليمنى ملفوفة حول الدب. بدا معطفها وفستانها نظيفين وجديدين. شعرت بالتوق إلى السفر بالزمن إلى الوراء، لتجلس مع هذه الفتاة الصغيرة وتسأل عن قصتها. «ماذا تتذكرين؟» ستسألها. «أين كنت؟»

أغلقت عينيها، وحاولت التفكير في ذكرياتها الأولى، لكنها لم تجد شيئاً جديداً. تذكرت ركوب دراجتها في الممر، حيث طاردها أحد الديكة، وركوب الشاحنة مع والدها إلى مكب نفايات

مكتبة ياسمين

المدينة صباح يوم السبت. تذكرت تحذيرها كي تبتعد عن الغابة لأن أشياء سيئة حدثت للفتيات الصغيرات اللائي هربن وضعن فيها.

وتذكرت حادثة أخرى عندما عثر عليها والدها في مكانٍ ما تجري أسفل التل ووجهها مبلل بالدموع فحملها إلى المنزل وقد دفنت وجهها المبلل بالدموع في دفء الصوف الخشن لمعطفه. قال لها لاحقاً: «إنه مجرد حلم سيء»، في حين هدأتها والدتها بكوب من شاي الأعشاب. «أنتِ بأمانٍ الآن».

نظرت مرة أخرى إلى الصور: كانت هناك مع والدتها في ستراتهما المتطابقة، ومجموعة الكيمياء، ووالدها يشرح لها الجدول الدوري.

أكاذيب.

«مرحباً؟»

«روثي. هذه أنا، كانديس أورورك».

وضعت روثي أختها في الفراش وخرج باز ليشتري الجعة. وبمجرد أن خرج، بدأ الهاتف في الرنين. أجابت بسرعة خشية أن يوقظ الرنين فون. تابعت كانديس عندما ظلّت روثي صامتةً: «كنتِ في منزلي اليوم».

«مع المحفظتين».

كما لو أن روثي بحاجة للتذكير. تسللت إلى الخارج، وأغلقت الباب الأمامي خلفها. حملت الهاتف اللاسلكي في يدها، ونزلت من الدرج الأمامي إلى الممر.

«كيف حصلت على رقمي؟» سألت روثي. كان رقمهم غير مدرج في قوائم الاتصال، ومن المستحيل العثور عليه.

قالت كانديس بوضوح: «أنا أسفة إذا بدر مني ما

مكتبة ياسمين

أثار خوفك». «لقد صدمت للغاية لدى رؤية المحافظ وسماع قصتك. أنا سعيدة حقاً لأنك أجبت، ثمة الكثير مما لم تتح لي الفرصة لأسألك عنه».

كانت الليلة باردة وصافية؛ والنجوم رائعة. نظرت روثي إلى الأعلى ورأت نجم أوريون فوقها، وتذكرت أن والدها علمها تتبع خط النجوم الذي شكل حزام أوريون للعثور على نجم الدبران، الذي شكّل عين النجم توروس الثور. كان توروس علامة والدها الفلكية، وعلى الرغم من أنها لن تعترف بذلك لأي شخص، فقد تخيلت في بعض الأحيان أن والدها كان هناك، ينظر إليها.

لقد تتبعت مسار الدب الأكبر والأصغر، درب التبانة البارد الممتد عبر السماء.

«هل لا تزال أليس مفقودة؟» سألت كانديس. «أليس؟» تلعثمت روثي وحاولت التركيز.

«والدتكِ، يا عزيزتي». تحدثت بلطفٍ، كما لو كانت روثي طفلة صغيرة. «قلتِ إنها اختفت؟»

«لكنني لم أخبرك باسمها».

«إذن، لم تعد بعد؟» بدت كانديس متفائلة تقريباً وكأنها تتوقع خبراً سعيداً.

قالت روثي وقد سيطر عليها الذعر: «سأنهي الاتصال الآن». «أنا آسفة لإزعاجك اليوم. أعتقد أنني اقترفت خطأً».

قالت كانديس: «أوه، لم يكن خطأً». «من فضلك لا تغلقي الخط.

«ثمة أشياء يجب أن أقولها لك».

«أية أشياء؟» راقبت روثي أنفاسها تخرج في سحب كبيرة من البخار أثناء حديثها.

قالت كانديس بصوتٍ مثير لفضول روثي: «أشياء

مكتبة ياسمين

عن هانا». «ابنتي الغالية. لا يمر يوم دون أن أفكر بها. أعلم أن هذا يبدو جنوناً لكنني لا أصدق أنها رحلت. مرت أوقات كثيرة شعرت بها بقربي، تنتظر من يعثر عليها. هل يعقل هذا حتى؟»

«نعم»، وجدت روثي نفسها تقول وهي تميل إلى الخلف وتنظر إلى النجوم، مما جعلها تشعر بالدوار فجأة. غزل رأسها، وانقبضت يدها على سماعة الهاتف، وفكرت في العناصر الكيميائية والكعك الوردي والدببة الخضراء، وكيف كان كلَ شيء متصلاً ببعضه. ربما لم يكن كلَ ذلك مصادفةً. «نعم».

ثم أغلقت الهاتف.

مكتبة ياسمين

1908

زوّارٌ من الجانب الآخر

اليوميات السرية لسارة هاريسون شي

25 يناير 1908

لطالما أحبت جيرتي الخزانة. تستمتع كثيراً بالاختباء هناك والقفز لتفاجئني. وجدتها مرةً ملتفة على نفسها في الزاوية الخلفية، تغفو على كومة من الملابس البالية.

«ماذا تفعلين هنا يا حبيبتي؟» سألتها.

قالت: «أنا دب في كهفٍ دافئ». «أنا أختبئ».

«جيرتي؟» ناديتها هذا الصباح. «هل أنت بالداخل»، وقفتُ أمام باب الخزانة وطرقت بلطف.

كنت لا أزال في منامتي، وأقدامي عارية على الأرضية الخشبية الباردة. أشرقت الشمس فوق التل وتسرب وهجها الناعم إلى غرفة النوم عبر النافذة. لمحت نفسي في المرآة فوق درج الملابس. بدوت مثل امرأة مجنونة بدوائر داكنة شاحبة حول عيني وشعري المتشابك ومنامتي الممزقة القذرة.

حبست أنفاسي أنتظر رداً. ثم طرقت جيرتي الباب!

أدرت المقبض وسحبته لكنها شدته بسرعةٍ من الجانب الاخر بقوةٍ فاجأتني.

«ألن تخرجي من فضلك وتسمحي لي برؤيتك؟»

لم يتحرك الباب. لم أسمع سوى صوت خربشة ضعيفة من داخل الخزانة.

«لا تقلقي. لقد خرج بابا. صعد التل للصيد».

عرفت أنها لن تخرج إن كان هنا.. الليلة الماضية، على الرغم من علمي أنها هناك، فقد أطعت مارتن

مكتبة ياسمين

وعدت إلى الفراش. ولكن لم أستطع النوم. استلقيت على جانبي، وعيناي معلقتان على الخزانة. رأيت الباب مفتوحاً ولمحت لمعة عينٍ تنظر من خلال الشق. لوّحت لها في الظلام.

وكأنني أرحب بها. مرحباً يا حلوتي. مرحباً بعودتك يا عزيزتي، يا طفلتي الجميلة!

استيقظ مارتن وارتدى ملابسه مبكراً.

قلت عندما رأيته: «لم تشرق الشمس حتى».

«سأذهب للبحث عن ذلك الوعل. آثاره في جميع أنحاء الغابة».

إذا استطعت اصطياده، سيكون لدينا لحمٌ لبقية فصل الشتاء. سأقوم ببعض الأعمال المنزلية وأتجه إلى الغابة؛ ثم لدي بعض الأشياء التي عليّ القيام بها في البلدة. سأعود على العشاء.

«هل أحضر لك فطوراً؟» سألته، ونهضت من السرير. ظننت أن هذا سيسعده لو رآني أنهض وأتجه إلى المطبخ.

هزّ رأسه. «سآخذ معي بعض البسكويت واللحم المملح». هبط السلالم، وأضرم النار في المدفأة، وأطلق الكلب، وحزم بعض الطعام، وحمل بندقيته. ثم فتح باب المدخل الأمامي وأغلقه خلفه..

راقبته من النافذة وهو يعبر الفناء. وما إن ابتعد عن الأنظار، ركضت إلى الخزانة.

كم كنت مرتاحةً ليقيني أن الأمر ليس حلماً. حاولت سحب الباب مرة أخرى، لكنها تمسكت به بإحكام.

قلت وأنا أتراجع: «حسناً يا عزيزتي». «سأبقى بقربك هنا فقط، إذن». جلست على الأرض. «اطرقي الباب مرةً إن أردت قول نعم ومرتين إن أردت قول

مكتبة ياسمين

لا».

ولكن ماذا أسأل؟ لدي الكثير من الأشياء التي أتوق إلى معرفتها، عما تتذكره، وما إذا كان بإمكانها أن تتذكر السقوط في البئر، وهل آلمها بشدة.

قلت لنفسي يجب أن أختار أسئلة جوابها نعم أو لا. «هل أنت بخير؟ هل تأذيت؟» لا جواب.

أخذت نفساً عميقاً. وحاولت مجدداً، وتجنبت ذكر أي شيء عن الحادث أو يومها الأخير. سأجد وقتاً لهذا لاحقاً.

«هل أحضر لكِ شيئاً؟ هل أنتِ... هل أنتِ جائعة؟» طرقت الباب مرة واحدة، بقوةٍ وسرعة.

«نعم، بالطبع، أنا آسفة للغاية يا عزيزتي، سأحضر لكِ بعض الطعام».

ركضتِ إلى الأسفل ورحت سريعاً أجمع بسكويتاً ومربى وقطعة جبن. وسخنت لها كوباً من الحليب مع ملعقة عسلٍ كما تحبَ. قفز قلبي من الفرح لتحضير الطعام لها مرة أخرى. أسرعت بالعودة إلى الطابق العلوي، خائفة من أن أجد الخزانة فارغة وأن يكون هذا كله مجرد حلم.

«لقد عدت»، صحث أمام باب الخزانة. «سأضع الطعام أمام الباب مباشرة. هل تودين أن أبتعد من هنا بينما تأكلين؟»

طرقتِ الباب مرة واحدة.

آه، يالسعادة التي منحتني إياها هذه الطرقة الواحدة! وضعث الطعام أمام الخزانة مباشرة.

قلت لها وأنا أتراجع: «سأكون خارجاً في الردهة».

خرجث من الغرفة وأغلقث باب غرفة النوم. ثم حبست أنفاسي وانتظرت. خدشت الجلد حول أظافري، وعصرت قطرات صغيرة من الدم.

مكتبة ياسمين

لقد تذكرت كلَ الأوقات التي لعبنا فيها أنا وجيرتي لعبة الغميضة في المنزل والفناء. وكيف كنت أنتظر بعيون مغمضة أعدُ بصوت عالٍ إلى العشرين، ثم أصيح: «جاهزة أم لا، ها أنا قادمة».

وعندما أجدها، كنت آخذها بين ذراعي وهي تضحك وتقول: «أليس أفضل مخبأ على الإطلاق يا أمي؟»

«نعم يا عزيزتي. أفضل مخبأ على الإطلاق».

كنا في بعض الأحيان نبدأ اللعبة دون سابق إنذار، حتى عندما نكون في البلدة. كنا نتسوق في المتجر العام، وعندما ألتفت إليها لأتأكد أنها ورائي، أجد أنها اختفت. فأتجول في الممرات الضيقة والأرضية الخشبية تصدر صريراً تحت قدمي لأبحث عنها. أبحث بين رفوف الطحين والملح ودقيق الذرة ومسحوق الخبز. فأجدها مختبئة وسط لفائف القماش أو خلف برميل من الدبس بجانب المنضدة، أو في الزاوية بالقرب من موقد الفحم، حيث اجتمع كبار السن لتدفئة أيديهم والتحدث. كنت أبحث في أرجاء المتجر أنادي اسم جيرتي، فيضحك الآخرون ضحكاتٍ مكتومة، المزارعون البسطاء والنساء اللواتي جئن لشراء الأزرار والخيوط أو صندوق من مسحوق الصابون، لقد شاركوا جميعاً في اللعبة، وساعدوني أحياناً في البحث عنها أو يبقون مكانها المخفي سراً بالوقوف أمامه مباشرةً. سمح لها آيب كوشينغ ذات مرةٍ بالاختباء خلف المنضدة تحت آلة تسجيل النقود. لقد أطعمها الحلوى من الجرار التي خبأ فيه قطعاً من عرق السوس والتوفي وحلوى الروك بينما كانت تنتظر أن أعثر عليها.

لكن هذه اللعبة التي نلعبها الان جديدة ومختلفة. ولم أكن أعرف قواعدها بعد.

مكتبة ياسمين

مرّت الدقائق. بقيت ساكنةً كالحجر، أرهف السمع.

سمعت أخيراً صرير المفصلات عندما فتحت باب الخزانة وسحبت الطبق إلى الخزانة. استنزف الأمر كلَ إرادتي كي لا أفتح الباب وأحاول إلقاء نظرة خاطفة عليها. كم كنت أتوق لوضع عيني عليها مرة أخرى، لأثبت لنفسي أنها حقيقية! ساد صمث عميق للحظات. وسرعان ما أعقب ذلك صوت تحطَم الزجاج. عدت بسرعة إلى الغرفة في الوقت المناسب لرؤية باب الخزانة يغلق. لقد رمت الطبق وكل محتوياته.

وتناثر على الأرض. تحطم كوب الحليب.

«أنا آسفة جداً، جيرتي»، قلت، وضغطت بيدي على الباب. «ولكن يمكننا أن نحاول مرة أخرى. سنجد شيئاً يعجبك. سأخبز كعك دبس السكر. هذا ما تريدين، صحيح؟»

سمعتُ صوت طرقةٍ واحدة ضعيفة.

جلستُ على الأرض وسط بقايا الطعام المرمي.

لوّث الحليب المسكوب ثوبي.

«أنا سعيدة للغاية لوجودكِ هنا. أنت هنا، أليسَ كذلك؟» طرقتِ الباب مرة واحدة.

وضعت يدي على باب الخزانة، ألمس الخشب. «وستبقين هنا؟ ستبقين قدر ما تستطيعين؟»

طرقتِ الباب مرة واحدة.

كنت أعرف ما سيقوله مارتن إذا أخبرته، أو ما سيقوله أيَ شخصٍ بكامل قواه العقلية، لكنني لم أهتم. لم أكترث إن بلغ الأمر بي حدَ الجنون، أو إن كان كلَ هذا من نسج خيالي.

لقد عادت جيرتي. ولا شيء آخر يعنيني.

مكتبة ياسمين

مارتن

25 يناير 1908

بعد الانتهاء من أعماله في الحظيرة، قضى مارتن الصباح يصطاد في الغابة، ويتبع الآثار الكبيرة التي بدت وكأنها تدور في دوائر، وتسخر منه. كانت بصمات الحافر واضحة بطول أربع بوصات. لكن عينيه لم تقعا على أي وعلٍ. كان بإمكانه أن يشم رائحته المميزة الواخزة تحملها الرياح. ومع ذلك، ظلَ الوعل بعيداً عن ناظريه. سيطر عليه القلق على سارة طوال الوقت الذي قضاه في الغابة، ولا سيما بعد اعتقادها الجديد بأن جيرتي تختبئ في الخزانة. عاد إلى الحظيرة عند الظهيرة ليسرج الحصان. نظر نحو المنزل، واستقرت عيناه على نافذة غرفة نومهما. فكر في الاطمئنان على سارة، ولكن لا بدَ أنها نائمة. من الأفضل ألا يزعجها. امتطى الحصان واتجه نحو البلدة لرؤية لوشيوس.

كانت البلدة على بعد ثلاثة أميال تقريباً، لكن اليوم كان مشمساً والثلج على الطرق خفيفاً مما سهَل الأمر على الحصان. كان الطريق ضيقاً تصطف أشجار الغابة على جانبيه، وثمة دجاجاتٍ وسناجب تصرخ من داخل الأدغال. مرت عربة بقربه ولوَح له السائق. لوح له مارتن دون أن يعرف من الرجل الذي كان ملفوفاً بقبعة ووشاحٍ سميكين. مرَ بمنزل آل تيرنر، وآل فلينت، ومحل ليستر جويت للحدادة. وصل إلى منتزه البلدة حيث تكدست الثلوج على شرفاته. تابع نحو اليسار، واستمر في الشارع الرئيسي. على اليسار، على الجانب الآخر من المنتزه، يقع نزلْ ويست هول الذي يديره كارل جونيا وزوجته، سالي. وثمة حانة في الطابق السفلي يتردد عليها بعض رجال البلدة ليلاً. لقد مر

مكتبة ياسمين

وقت طويل منذ أن توفر لدى مارتن المال لذلك.

بعد النزل هناك متجر جيمسون تاك أند فيد. وبجواره، محل خياطة كورا جيمسون التي تعرض في واجهته دمية قديمة مطعونة بدبابيس. تقول اللافتة: تصليحات خياطة حسب الطلب. كان هناك فستان مخملي مطرز بالدانتيل وأزرار صغيرة من اللؤلؤ، ويبدو أن الأكمام بلا ذراع تصل إلى شيء لم يكتمل. نادراً ما شوهد متجر كورا مفتوحاً، فقد عانت المرأة المسكينة من «العلل». في حين كان الجميع يعلم أن مرضها الوحيد هو إدمانها على الشراب.

على الجانب الآخر يقع المتجر العام. خرج وليام فلوري، وتبعه ابنه جاك. كانت أيديهما مشغولتين بلفائف من القماش وصناديق المسامير.

ناداه ويليام: «مساء الخير، مارتن». ترجل مارتن عن الحصان. «مرحباً، وليام، جاك. يبدو أن لديك مشروع بناء».

أومأ ويليام برأسه. «اقتلعت الرياح واحدة من تلك البلوطات القديمة الليلة الماضية، ودمرت زاوية الحظيرة».

قال مارتن: «مؤسف جداً». «سآتي لاحقاً، ربما بإمكاني تقديم يد العون».

هز ويليام رأسه. «لا داعٍ. لقد عرض أولاد بيميس مساعدتي. سنصلحها في وقت قصير. كيف حال سارة؟» سأل ويليام بعيونٍ مليئة بالقلق.

ترى ماذا يقول الناس في البلدة؟ تخيّل مارتن سلسلة الأحداث: القس آيرز يقصّ على زوجته، ماري، كيف بصقت سارة في وجهه، وتخبر ماري السيدات في جلسة الخياطة التي تديرها ومن هنا تبدأ الأقاويل.

مكتبة ياسمين

قال مارتن: «إنها بخير، شكراً لك». «بأحسن حال». وتذكر جلوسها الليلة الماضية على الأرض أمام الخزانة.

إنها ابنتنا جيرتي. لقد عادت إلينا.

عضَ على باطن خده وأزاح الصورة من رأسه.

أومأ ويليام برأسه. قال: «سررت لرؤيتك، مارتن». «اعتن بنفسك». حمَل ويليام وجاك عربتهما، وتابع مارتن طريقه عابراً الشارع برفقة الحصان.

«مارتن». ناداه صوت امرأة. استدار ليرى أميليا تخرج للتو من النزل. كانت تدثر نفسها بمعطفٍ من الفرو وقد أشرقت خدودها الوردية ولمعت عيناها.

قالت وهي تقبل خده برفق: «عمي مارتن». «كنت أتناول الغداء مع بعض السيدات في النزل ورأيتك تمر. كيف حال العمة سارة؟»

قال: «أفضل». «لقد عرضت عليَ إعداد الإفطار هذا الصباح».

«أوه، هذا رائع». قالت أميليا. «سأزورها قريباً. اليوم أو غداً. ربما أقنعها بالخروج قليلاً. وأحضرها إلى منزلي لتناول الشاي. ما رأيك؟»

أومأ مارتن برأسه. «أعتقد أنها ستحب ذلك كثيراً. من المفيد لها أن تخرج من المنزل. سأخبرها أنك ستأتين».

«أجل! غداً إذن. أخبرها أنني سآتي غداً. سأحضرها إلى منزلي لتناول الغداء».

أومأ مارتن برأسه بتواضعٍ بعض الشيء. لطالما كانت دعوات الغداء من بين النشاطات التي تقيمها السيدات الثريات في البلدة. السيدات ذوات القبعات الفاخرة و مناديل الدانتيل اللواتي لم تكن مضطراتٍ لحلب الأبقار وتحضير الخبز.

مكتبة ياسمين

قال مع انحناءة صغيرة: «ننتظرك غداً». استدارت وعادت إلى النزل لتنضم مرة أخرى إلى صديقاتها.

كان لوشيوس يمارس عمله في عيادةٍ على الشارع الرئيسي.

كان منزلاً أبيض طلي حديثاً مع نوافذ سوداء وممرٍ من الطوب الخشن يصل إلى الباب الأمامي حيث علقت لافتة كتب عليها «عيادة الطبيب لوشيوس شي». دخل مارتن وعلق معطفه على الشماعة، واختلس النظر إلى الردهة الأمامية التي صممت لتكون مكتب لوشيوس. كان الباب مفتوحاً، ولوشيوس جالس وراء المكتب، يكتب. ما من مريضٍ في الغرفة، ولا أحد ينتظر على الكراسي في الردهة.

قال مارتن: «مرحباً يا أخي».

رفع لوشيوس نظره إليه وابتسم. «مارتن. تفضل بالدخول».

كانت غرفة بسيطة مجهزة بخزانة زجاجية مليئة بالإمدادات كالأدوية والقطن والجرار والزجاجات والملاقط والمشابك وخوافض اللسان الخشبية. وثمة طاولة فحص مصنوعة من الخشب الداكن تتوسط الغرفة. وهناك أيضاً رفوف مليئة بالكتب الطبية والمزيد من الزجاجات والجرار؛ وأسفلها صفوف من الأدراج. وعلى الجانب الأيمن من الغرفة وضع مكتب كبير من خشب القيقب وهو مكتب لوشيوس. بدا شعره أشعثاً وعيناه ملتهبتين.

قال مارتن وهو يجلس: «تبدو متعباً».

«قضيت ليلة طويلة. فقد أنجبت بيسي أليسون طفلها أخيراً. جاء مقعدياً.وتلك حالة صعبة للغاية. ولكن كلاهما على ما يرام الان».

«من المستحسن أن تنال قسطاً من الراحة».

مكتبة ياسمين

أومأ لوشيوس برأسه. «كيف حال سارة؟» سأله.

خفض مارتن نظره إلى يديه وأصابعه تتشابك معاً بإحكام. قال: «أنا قلق، لوشيوس. قلقٌ جداً».

قال لوشيوس وهو يميل إلى الأمام حتى يستقر مرفقاه على المكتب: «أخبرني».

«الليلة الماضية، استيقظث ولم أجدها في السرير. كانت تجلس على الأرض أمام الخزانة. قالت...». توقف وفرك وجهه براحتيه. «قالت إن جيرتي في الخزانة».

أخذ لوشيوس نفساً عميقاً وأخرجه ببطء. «وماذا فعلت؟»

«طلبت منها أن تعود إلى السرير».

صمت لوشيوس لبرهة. راح يلمس شاربه المقلم بدقة. «هل فكرت بشأن مستشفى الولاية؟»

«لقد مرت بهذا من قبل. عندما مات تشارلز. ثم استعادت عافيتها».

قال لوشيوس: «أعرف». «ونتمنى أن تستعيد عافيتها مجدداً لكن يجب أن نضع خطة لما سنفعله إذا لم يحدث هذا. في حال سقطت في هوةٍ أعمق من هذه الأوهام المرضية. من المحتمل أن تسوء حالتها يا مارتن. ومن المحتمل أيضاً أن تفقد صلتها بالواقع تماماً، وتصبح خطيرة». نهض لوشيوس، واتجه نحو الأدراج الخشبية، وفتح واحداً. «سأعطيك بعض الحبوب. أريدك أن تطحن حبةً كلَ ليلة وتضعها في الشاي. ستساعدها على النوم وتهدئ أحلامها. وسأعود لزيارتها قريباً. ولكن في هذه الأثناء تعال لإحضاري إذا ساءت حالتها».

أومأ مارتن برأسه.

«أنا جادّ، مارتن. لا تعتقد أن بوسعك معالجة

مكتبة ياسمين

الوضع بمفردك».

«لا تفكر بهذا حتى».

عاد مارتن إلى المنزل ليجد سارة تعمل في المطبخ. وجد حساءً مطهواً على نارٍ هادئة، وبسكويتاً خرج للتو من الفرن، ورائحة شيء حلو خبزته سارة بدبس السكر الحلو.

قال لها وهو يقبل خديها: «سعيدٌ لرؤيتك مستيقظة». «يبدو العشاء رائعاً».

إن رؤيتها يقظةً تطبخُ وقد تورد خداها وارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهها، بدا أشبه بالمعجزة. تمنى لو أن لوشيوس كان هنا ليراها على هذا الحال.

لقد شعر بقلق شديد عليها الليلة الماضية. وبات على يقينٍ في تلك اللحظات المظلمة، أنه خسر سارة تماماً.

ولكن كان هناك شيء في تلك الخزانة، أليس كذلك؟ شيءٌ ما يخربش محاولاً الخروج.

ربما فئران. أو سنجاب، ربما.

ولكن ألم يلاحظ أن مقبض الباب يدور؟

لعلها خدعة من الضوء، قال لنفسه.

أزاح كلَ تلك الأفكار خارج عقله. لم يعد مهماً. لقد عادت سارة الآن. عادت معافاة مجدداً. وكل شيء يسير على ما يُرام.

«لقد التقيت أميليا في البلدة. ستأتي غداً».

تريد أن تأخذك إلى منزلها لتناول الغداء». قالت سارة: «رائع». «هذا رائع».

جلس مارتن على الطاولة، ووضع منديلاً على حضنه، وراقب سارة وهي تسكب له الحساء الساخن في وعاء، ثم تجلب البسكويت والزبدة إلى الطاولة.

مكتبة ياسمين

لاحظ شيئاً غريباً في تحركات سارة، إذ كانت سريعةً ومتشنجة، تتحرك مثل دمية متحركة. لكنها بدت متحمسة للغاية كما اعتاد أن يراها في العطلات. جلست وبدأت تنتقي قطع البسكويت، وتسحب منها القطع الرقيقة وحسب إلى طبقها.

قالت سارة وعيناها تلمعان في ضوء المصباح: «أخبرني كيف كانت هيئة جيرتي».

شعر بقشعريرة في جلده. قال: «أنت تعرفين كيف». «لا أقصد سابقاً. أعني عندما وجدتها في قاع البئر».

لم يسمحوا لها برؤية جثة جيرتي لعلمهم أنها كانت هشة للغاية، وأن السقوط هشَم جسدها إلى ألف قطعة ولن يعود إلى وضعه مرة أخرى.

«أريد رؤية طفلتي الصغيرة». بكت سارة، لكن مارتن تذكر الطريقة التي تشبثت بها بالطفل تشارلز، وهزَ رأسه.

«لا، سارة»، قال بصوت حاسم قدر الإمكان. «من الأفضل ألا تفعلي».

«لكنني بحاجة إلى رؤيتها مرة أخيرة! حباً بالله، مارتن، افهمني»، توسلت سارة.

«سارة»، قال مارتن وأمسك بثبات في كلتا يديه كما طلب منه لوشيوس. «نريدك أن تتذكري جيرتي على النحو الذي كانت عليه. وليس على هذا النحو. عليك أن تثقي بنا. هذا أفضل».

ركز مارتن بصره على وعاء الحساء أمامه كما لو كانت الصورة محاصرة هناك. «لقد كانت تغفو بسلام. كما قال لوشيوس».

أخذ مارتن ملعقة أخرى من الحساء وبلعها بصعوبة. «هل كان لديها أي... إصابات؟»

مكتبة ياسمين

نظر مارتن إلى عيني سارة. «بالطبع أصيبت، سارة. سقطت على ارتفاع خمسين قدماً في البئر».

أغمض عينيه، وتصور جيرتي هناك تستلقي على جانبها كما لو أنها نائمة وحسب.

أومأت سارة برأسها مرة تلو الأخرى بشكل محموم. «لكن لوشيوس فحصها، أليس كذلك؟ هل وجد شيئاً غير عادي؟ أعني، ربما إصابات لم تحدث بسبب السقوط في البئر؟»

نظر إليها مارتن بإمعانٍ شديد. «ما الذي ترمين إليه سارة؟»

أخذت نفساً عميقاً ورفعت رأسها عالياً. «أعتقد أنه من المحتمل أن جيرتي لم تسقط في البئر صدفةً».

«ولكن، سارة، كيف تفسرين -»

«أظن أنها قُتلت».

سقطت الملعقة من يد مارتن ووقعت على الأرض.

«أنت تمزحين بلا شك»، قال بمجرد أن استعاد رباطة جأشه.

«بل أنا جادة تماماً، مارتن». «وعلى أيِّ أساس...»

ابتسمت سارة بهدوء. قالت: «أخبرتني جيرتي».

شعر بأن الهواء غادر صدره وأصبحت الغرفة معتمة فجأة. وبدت سارة بعيدةً وصغيرة. كانت هناك، على الطرف المقابل من طاولة الصنوبر القديمة، وأمامها طبق الحساء الذي لم تلمسه. ومض مصباح الزيت وسط الطاولة؛ واحترق الحطب في موقد الطهي القديم المصنوع من الحديد الزهر. كانت النافذة فوق حوض المطبخ مغطاة بالصقيع، والليل ظلامه حالك حتى السواد. لم يستطع حتى رؤية أي أثرٍ للنجوم.

وظلَ وجه سارة، الشاحب مثل القمر، يتضاءل

مكتبة ياسمين

شيئاً فشيئاً. مد يده نحوها، وأطراف أصابعه تمسَد حافة الطاولة.

شعر كما لو أنه يسقط، يتهاوى، يدور، وينحدر نحو الأسفل حتى قاع البئر.

مكتبة ياسمين

زوار من الجانب الآخر
اليوميات السرية لسارة هاريسون شي
26 يناير 1908

انتظرث هذا الصباح حتى غادر مارتن المنزل، ثم أسرعت إلى الخزانة. طرقت على الباب عدة مراتٍ، ولكن لم ألق جواباً.

«جيرتي؟» ناديثها. «أنا ماما». وأدرت المقبض ببطءٍ، وشعرت به بارداً في يدي. فُتح الباب. ولكن من خلال ضوء الصباح وجدت أنها رحلت.

دفعت جانباً فساتيني البالية وقمصان مارتن، ولكن لم أجد أي أثرٍ لها. وما من دليلٍ على أنها كانت هنا على الإطلاق.

بدت الخزانة فارغة تماماً.

«جيرتي؟» صرخت مرة أخرى. «أيـن ذهبـتِ؟»

فتَشث البيت والحظيرة والحقول والغابة. ولكن لطالما كانت جيرتي بارعة في الاختباء وفي حشر نفسها في أماكن صغيرة لا تخطر على بال أحد، لدرجة أنها قد تكون في أي مكان.

ربما تلعبُ معي لعبةً، قلت لنفسي. لعبة الغميضة. بحثت في كلَ ركنٍ وفتحت الأبواب ونظرت تحت الأثاث على أمل أن تقفز وتفاجئني.

بوووو.

كنت أسحب كلَ شيء خارج خزانة الردهة الأمامية عندما وصلت أميليا متأخرة هذا الصباح.

قالت وهي تقبل خدي وتلقي نظرة على كومة المعاطف والأحذية التي أخرجتها: «عمتي سارة». «سعيدةٌ لرؤيتك خارج سريرك. هل تنظفين المنزل؟»

مكتبة ياسمين

قلت: «أخشى أنني فقدت شيئاً».

قالت أميليا وعيناها تلمعان: «في بعض الأحيان يظهر ما نبحث عنه بمجرد التوقف عن البحث». «ألا تظنين هذا صحيحاً؟»

«أفترض أنكِ على حق».

«هيا الآن، ستأتين معي لنتناول الغداء معاً. لدي مفاجأة لك، مفاجأة رائعة. سأساعدك في توضيب هذ الأشياء ونغادر في الحال».

قلت: «لا أعرف». ماذا لو عادت جيرتي، حين أخرج.

«سنخرج لبضع ساعاتٍ فقط. أنا على يقين أنك ستجدين ما يسرك لو خرجنا. العم مارتن يعتقد ذلك أيضاً. على الرغم من أن عليك أن تعديني بعدم إخباره عن المفاجأة لأنه سيكون منزعجاً مني».

وافقت على مضض، لكنها أثارت فضولي بشأن المفاجأة: «حسناً، إذن».

كانت الرحلة إلى البلدة ممتعة. الشمس مشرقة، ولدى أميليا عربة جديدة جميلة ذات مقاعد جلدية حمراء. بالغت أميليا في العناية بي، وتأكدت من أن إحكام إغلاق معطفي طوال الطريق، ودثرتني ببطانية كما لو كنت عاجزة. ولم تتوقف عن الثرثرة حول مواضيع كثيرة وتلك الأحاديث البناتية التي لم أكن أصغي إليها. بل ركزت نظري على أشجار الغابة التي رافقت طريقنا، أبحث عن أي حركةٍ في الظلال، أو أي أثرٍ لحبيبتي جيرتي.

«هل تصغين يا عمة سارة؟»

«أوه نعم»، كذبت. «كل شيء رائع فعلاً».

رمقتني بنظرة غريبة، وعرفت أن علي أن أبذل جهداً أكبر.

مكتبة ياسمين

تزوجت أميليا من تاد لاركين في الربيع الماضي، وهو ابن صاحب المطحنة في ويست هول «من أغنى العائلات في المدينة». وتعيش في منزل كبير في نهاية الشارع الرئيسي.

عندما وصلنا، قابلنا أربع سيدات لا أعرف أياً منهن. كنّ لطيفاتٍ للغاية. شعرت بالذهول بعض الشيء. كانت هناك الآنسة ناب والسيدة كوب من مونبلييه، والسيدة جيليسبي من باري، وامرأة عجوز للغاية ذات وجهٍ يشبه وجه الطائر، تدعى السيدة ويلارد، لكنهم لم يقولوا من أين جاءت. كن جميعهن يرتدين فساتين وقبعات جميلة مزينة بالدانتيل والريش.

«أخبرتنا أميليا الكثير عنك»، قلن وهن في مدخل الصالة ذات الأثاث المزخرف واللوحات الزيتية على الجدران، وانتقلن إلى غرفة الطعام، حيث توجد مائدة ذات مفرش أبيض مغطى بأطباق الشطائر الصغيرة المقطعة إلى مثلثات إلى جانب سلطة البطاطا والشوندر المخلل. وزعت الأواني الصينية والكؤوس الكريستالية المليئة بشراب غني بالفقاعات. أما ورق الجدران فكان باللون الأزرق الداكن المزين بأشكال الزهور النابضة بالحياة.

«فعلاً؟» جلست وبدأت أملأ طبقي عند تمرير الطعام لي، وتساءلت عما يدور في رأس أميليا، كيف تصورت أنني على استعدادٍ لهذا القدر من التواصل الاجتماعي؟ كلّ ما أردته هو أن أتوسل إليها لتعيدني إلى المنزل لأتابع بحثي عن جيرتي.

قالت السيدة الأصغر سناً، الآنسة ناب، التي لم يتجاوز عمرها ثمانية عشر عاماً ربما: «نعم بالفعل».

تناولت شطيرة سلطة الدجاج وقضمت طرفها. شعرت بأن فمي جاف، وأن المضغ صعب. وضعت الشطيرة، وأمسكت شوكتي لأجرب لقمة من سلطة

مكتبة ياسمين

الشوندر فإذا بمذاقها حاد لاذع مثل طعم الدم. شعرت بعيون كلَ النساء مسلطة عليّ. وهذا كان ببساطة أكثر مما أحتمل.

قالت السيدة كوب وهي تصب الشاي: «لكنها ليست الوحيدة التي أخبرتنا بأشياء عنك». كانت امرأة بدينة ذات وجه قبيح. «أليس هذا صحيحاً يا سيدات؟» وضحكت. كان الأمر كما لو أنهن جميعاً تتشاركن نكتةً ما.

أومأن جميعاً بحماس.

«أخشى أنني لا أفهم»، اعترفت، ووضعت شوكتي على الطبق. فأصدرت صوت قعقعة فظيع. وبدأت يداي ترتعشان.

بدأت السيدة العجوز ويلارد الحديث. كانت تجلس أمامي وتحدق بي بإصرار. «لدينا رسالة لكِ». «رسالة؟» سألت وأنا أمسح شفتي بمنديل منشى.

«ممن الرسالة؟»

قالت السيدة ويلارد وعيناها تحدقان بي: «من ابنتكِ». «جيرتي؟»

«هل... هل رأيتها؟» سألت. هل عرفن أين ذهبت جيرتي؟ هل ذهبت إليهن؟ ولكن، لماذا؟

ضحكت السيدة كوب حتى احمر خداها.

قالت: «يا إلهي، لا». «لا تظهر الأرواح نفسها لنا بهذه الطريقة».

«كيف إذن؟» سألت.

قالت أميليا: «بطرق مختلفة». «نلتقي مرةً في الشهر ونطلب من أي روحٍ موجودة الانضمام إلينا. وفي بعض الأحيان نطلب روحاً بعينها».

«ولكن كيف يتواصلون معكم؟» سألت.

«بالطرق على الطاولة. يمكنهم الإجابة على

مكتبة ياسمين

الأسئلة بهذه الطريقة، طرقة واحدة مقابل نعم، واثنتان مقابل لا».

شعرث بضيقٍ في حلقي عندما تذكرت حديثي مع حبيبتي جيرتي بهذه الطريقة بالأمس فقط.

أوضحت أميليا: «وفي بعض الأحيان يمكنهم التواصل من خلال السيدة ويلارد». «إنها وسيطة روحية. إنها موهوبة للغاية».

«وسيطة؟» نظرث إلى المرأة العجوز التي لم تبعد عينيها عني.

«يتحدث الموتى إلي. إنني أسمع أصواتهم منذ كنت طفلةً صغيرة». كانت عيناها عميقتين وتثيران شعوراً منوماً، و إذا نظرت إليهما لفترة طويلة ينتابني شعور بالدوار.

جف حلقي، فأخذت كأس الكريستال، ورشفت رشفة من الشراب الحلو.

قالت السيدة ويلارد: «إليكِ الرسالة التي تحملها لك جيرتي». «طلبت أن نخبرك بأن الكلب الأزرق يلقي التحية».

شهقت ووضعت يدي على فمي.

أومأت السيدة ويلارد برأسها بثقةٍ واستمرت. «تقول أيضاً إن الذي تفعلينه ليس صواباً. إنها لا تحبه على الإطلاق». وتحولت نظرتها إلى نظرةٍ حادة، وغاضبة تقريباً.

وضعت كأسي على المائدة دون تركيزٍ فانسكب. نهضت لأمسح الشراب المنسكب من الطاولة بمنديلي فشعرت بدوار وبالكاد استطعت تثبيت نفسي على حافة الطاولة. بدت الغرفة مظلمة وعديمة الهواء.

«عمتي سارة، هل أنت بخير؟» سألت أميليا. «هل

مكتبة ياسمين

لي بقدحٍ من الماء؟» سألت.

«نعم. اجلسي من فضلك. عجباً، أصبح وجهك شاحباً». أسرعت أميليا بالماء، ورطبت منديلاً، وبدأت تمسح جبهتي.

همست لها: «أخشى أنني لست على ما يرام». «هل يمكن أن تأخذيني إلى المنزل؟»

قالت أميليا، وهي تساعدني على النهوض وتقديم الاعتذارات للسيدات: «بالطبع».

ما إن خرجت، تنشقت جرعاتٍ من الهواء البارد حتى شعرت بأن رأسي عاد أكثر توازناً كانت الشمس فوق رأسينا مباشرة، وجعلت العالم يبدو مشرقاً بشكل لا يوصف. ساعدتني أميليا في صعود العربة ووضعت البطانية فوقي.

قالت: «أنا آسفة». «ربما أفرطت في الضغط عليكِ». قلت لها: «ربما».

احتشدت المدعوات على الغداء معاً في المدخل المفتوح، وهن يلوحن لي بملامح يعلوها القلق. عندما ابتعدنا وبلغنا الشارع الرئيسي، رأيت وجوهاً أخرى تراقبنا أيضاً. نظر آيب كوشينغ من نافذة المتجر العام ورفع يده ملوحاً. وكانت سالي جونيا تمسح الطاولات في قاعة الطعام في النزل. توقفت وتابعت مرورنا بوجهها الكئيب. وعبر الشارع، كان إروين جيمسون يراقبنا من نافذة المتجر. وعندما لاحظ أنني رأيته، أشاح نظره، وتظاهر بأنه مشغول بشيء بالقرب من النافذة.

أعرف ما يفكرون به جميعاً: ها هي المسكينة سارة شي. لقد فقدت عقلها.

عندما عدنا إلى المنزل، أصرت أميليا على وضعي في الفراش وعرضت عليّ البحث عن مارتن.

مكتبة ياسمين

قلت لها: «لا حاجة لذلك». «سأرتاح قليلاً. أشعر بتحسن كبيرٍ، حقاً».

وبمجرد أن غادرت، قفزت من السرير وفتشت المنزل مرة أخرى بشكل محموم أكثر من أي وقت مضى.

ظلت كلمات السيدة ويلارد ترنّ في أذني: إن الذي تفعلينه ليس صواباً. إنها لا تحبّه على الإطلاق.

ما الخطأ الذي فعلته؟ كيف أخفت جيرتي؟

ارتديت معطفي دون تفكيرٍ ومشيت عبر الغابة إلى البئر القديم، لكنني لم أجد أثراً لها. كان مشهداً بائساً، فالنظر إلى ظلام قاع تلك الدائرة من الحجر، يشبه النظر إلى أسفل حلق عملاق جائع.

شعرت طوال الوقت الذي كنت فيه على التل بأن هناك من يراقبني. كما لو أن الأشجار والصخور نفسها لها عيون. وكما لو أن أغصان الأشجار أصابع رقيقة تحاول خدش وجهي في انتظار الإمساك بي.

«جيرتي؟» صرخت من وسط فسحةٍ صغيرة خلف يد الشيطان. «أينَ أنتِ؟»

ألقت الصخور العظيمة التي شكلت اليد بظلالها على الثلوج، فظهرت الأصابع مثل المخالب. وكنت هناك، في وسطها، محاصرة في قبضتها.

سمعت صوت أغصانٍ تتكسر. وصوت خطوات ورائي. حبست أنفاسي والتفت فاتحةً ذراعي على مصراعيها لأمسك بها وأشدها إلى صدري. «جيرتي؟»

دخل مارتن إلى الفسحة التي جلست فيها. ونظرة قلق مضحكة ترتسم في عينيه. كان يحمل بندقيته. «لقد رحلت جيرتي، سارة. ينبغي أن تفهمي ذلك». تحرك نحوي ببطء، كما لو كنت حيواناً يخاف من

مكتبة ياسمين

المفاجأة.

«هل تبعتني؟» سألت بصوتٍ مسموم لم أتمكن من كبته. كيف يجرؤ؟

«أنا قلق عليكِ، سارة. أنت لستِ على ما يرام. لست على طبيعتكِ».

ضحكتُ. «لست على طبيعتي؟» حاولت أن أتذكر سارة التي كنت قبل أسابيع، عندما كانت جيرتي على قيد الحياة. هذا صحيح، لقد أصبحت شخصاً مختلفاً. لقد تغير العالم. باتت عيوني مفتوحة الآن.

«لنعد إلى المنزل، وتأوين إلى السرير. سأجعل لوشيوس يأتي هذا المساء ليلقي نظرة عليك».

وضع ذراعه حولي، فارتعدت. لقد ارتعدتُ من لمسة زوجي. أمسك بي بإحكام وقادني، كما لو كنت حصاناً حروناً.

سرنا بصمتٍ أمام يد الشيطان، وهبطنا أسفل التل عبر الأشجار والبساتين، وعبر الحقل، وعدنا إلى المنزل. رافقني إلى الطابق العلوي حيث غرفة نومنا.

«أعلم أنكِ لم تنامي جيداً في الليل. يلزمك بعض الراحة». قال مارتن، ويده مثبتة بإحكام حول ذراعي. «ربما كانت رحلتك إلى البلدة لتناول الغداء مع أميليا فوق طاقتك».

عندما دخلنا غرفة النوم، رأينا شيئاً فظيعاً.

تجمد مارتن، وراحت أصابعه تحفر في ذراعي. شهقت بذعرٍ.

كان باب الخزانة مفتوحاً. وأكوام من الملابس متناثرة في جميع أنحاء الغرفة، كما لو أنَّ عاصفة كبيرة مرّت من هنا. وبنظرةٍ واحدة عرفت أنها كلها ملابس مارتن. كلها ممزقة ومقطعة. جحظت عينا مارتن وغمرهما شعور بالغضب وعدم التصديق.

مكتبة ياسمين

راقبته وهو ينحني لالتقاط كمّ قميصه الأبيض الذي يرتديه يوم الأحد. أمسك به بشدةٍ وارتجفت يده.

«لماذا تفعلين هذا يا سارة؟»

وفهمت كيف استحالت نظرته إليَ: امرأة مجنونة قادرة على تدمير كلّ شيء في نوبة غضب.

صحت به: «لست أنا من فعل هذا». فتشت عيناي الخزانة الفارغة.

التفت نحو السرير، أفكر في النظر تحته. هناك، وسط بقايا ملابس مارتن الممزقة، كانت هناك ملاحظة مكتوبة في خربشة طفولية:

«اسأليه عما دفنه في الحقل».

حملت الورقة، أمسكتها برفقٍ كما لو كانت فراشة جريحة. انتزعها مارتن من يدي وقرأها بوجهٍ شاحب.

«الخاتم»، تلعثم، وهو ينظر إلي من أعلى الورقة. «كما طلبتِ مني».

ولكن كان ثمة رعشةٍ صغيرةٍ رأيتها من قبل. الرعشة نفسها التي لمحتها عند حافة عينه اليسرى بعد عيد الميلاد، عندما وعد بدفن الخاتم في الحقل. وها هي مرة أخرى، تلك الرعشة اللاإرادية الصغيرة التي أخبرتني أنه يكذب.

مكتبة ياسمين

كاثرين
الوقت الحاضر

4 يناير

لم يعرف أحد عنوان بائعة البيض.

تجولت كاثرين في صالة الألعاب الرياضية في المدرسة الثانوية عدة مرات، لكنها لم تر أي شخص يبيع البيض. كانت الأرضية الخشبية مغطاة بحصائر مطاطية لحماية السطح من الأحذية الرطبة. والصالة الرياضية مزدحمة بشكل مروع والناس يحدثون جلبةً تصمّ الأذن. كان الناس من مشارب مختلفة يجتمعون معاً ويتبادلون التحية ويتعانقون ويضحكون. كان مجتمعاً كاملاً مترابطاً، وكانت الغريبة في معطف الكشمير الداكن، تتحرك مثل الظل بينهم. كانت تدور السوق خلف أسرة مكونة من زوج وزوجة وولدين، بدا أحدهما في الثامنة من عمره، وهو عمر أوستن لو كان اليوم على قيد الحياة. توسل الصبي إلى والده للحصول على دونات التفاح، فاشترى والده واحدة، ثم قسمها إلى نصفين ليشاركها مع أخيه الأصغر. عبس الصبي بغنجٍ ودفع نصف الدونات في فمه في لقمة واحدة مجيدة، وترك الفتات يقطر على ذقنه.

لمحت عينا كاثرين جدار اللوحات في الزاوية اليسرى، بالقرب من الأبواب المزدوجة في الجزء الخلفي من الصالة الرياضية. لوحات مرسومة بألوان زاهية مرحة، وجذابة في آن معاً. كان هناك لوحة لزوجين يرقصان على سطح حظيرةٍ تحت ضوء القمر المكتمل على هيئة وجه ذئب يحدّق بهما. وأظهرت لوحة أخرى رجلاً يحمل قرون وعلٍ في زورق، ويحدق بشوقٍ نحو الشاطئ. انعطفت

مكتبة ياسمين

واستمرت في التجول في الصالة الرياضية.

اجتمعت ثلة من المراهقين أمام الأبواب الخلفية، يتشاركون كيساً من حلوى غزل القيقب ويضحكون؛ وبدوا جميعاً متطابقين تقريباً في أحذيتهم الطويلة وسترات التزلج البراقة. مرت على صانع دمى خشبية، وطاولة من منحلٍ محلي يبيع العسل وشراب الجعة، وأكوام من الخضروات الجذرية والقرع، ومبردات مليئة بالنقانق المحشوة باليد، وواجهاتٍ تعرض لفائف الحلوى والخبز، وطاولة من أتباع طائفة الكونيين الموحدين يعرضون جائزة للفوز بلحافٍ يدوي الصنع.

لم يبد أن الباعة الذين تحدثت إليهم كاثرين يعرفون شيئاً عن المرأة ذات الضفيرة سوى أنها تبيع البيض وترتدي جوارب دافئة جميلة. توقفت كاثرين لسؤال امرأة تقف في الزاوية تغزل الصوف في خيوط بنية سميكة.

«أوه، تقصدين أليس؟ لا أعرف أين عساها تكون. عادةً تأتي إلى هنا كلَ أسبوع. لا تفوت موعد السوق قطَ».

«لا تعرفين اسم عائلتها، أليس كذلك؟» سألت كاثرين.

هزت المرأة رأسها. «آسفة، لا أعتقد ذلك. ربما تجدين غايتك لدى بريندا بيرس، مديرة السوق، لكنها ذهبت إلى فلوريدا لتكون مع والدها الذي يخضع لجراحة قلب مفتوح. ربما تلتقين بها الأسبوع القادم. أنا متأكدة من أن أليس ستكون هنا. لم يسبق لها أن فوتت موعد السوق».

«أليس»، قالت كاثرين عندما عادت إلى شقتها وحملت الدمية الصغيرة التي صنعتها أمس من الأسلاك وعجين الورق.

مكتبة ياسمين

«ربما لم أجدك، ولكن على الأقل لديك اسم الان».

صنعت للدمية التي يبلغ ارتفاعها 4 بوصات جديلة رمادية طويلة «من خيط تطريز» وألبستها بنطلون جينز أزرق صغير، وسترة زاهية حاكتها كاثرين باللونين الفيروزي والأصفر.

وضعت كاثرين أليس في صندوقها وذهبت إلى المطبخ لتأكل شيئاً.

أليس، أليس. اذهب و اسأل أليس. أليس أسفل جحر الأرنب. أين أنتِ يا آليس؟

عليها أن تنتظر. ستعود إلى السوق الأسبوع المقبل، بالتأكيد ستعود بائعة البيض. وإن لم تعد، ستسأل عنها مديرة السوق، وتحصل على اسم عائلة أليس، وربما حتى رقم هاتفها إذا ما حالفها الحظ.

صنعت حساءً ساخناً، وكوباً من القهوة. في الخارج، اكفهرت سماء ما بعد الظهيرة، وبدأ الثلج يهطل باطرادٍ.

بعد الانتهاء من وجبتها الهزيلة، بحثت كاثرين في حقيبتها عن سجائرها، سحبت واحدةً، وأشعلتها. فلاحظت وجود الكيس الورقي تحت حقيبتها، ذلك الذي وضع فيه الكتاب الذي اشترته بالأمس.

سحبته نحوها وفتحته. أظهرت الصفحة الأولى خريطة لبلدة ويست هول في عام 1850. وأظهرت الصفحة المقابلة لها خريطة ويست هول في الوقت الحاضر. كان هناك بعض الشوارع والكنائس والمدارس الجديدة، ولكن، في الحقيقة، فوجئت كاثرين بمدى ضآلة التغيير بالفعل. كان منتزه البلدة في المكان نفسه دائماً مع تلك الشرفة في المنتصف.

كان غاري سيحب هذا، فقد جمعت الخرائط والصور معاً لإظهار تاريخ المدينة.

مكتبة ياسمين

قلبت الصورة ووجدت صوراً لجيمسون تاك أند فيد، ومتجر كوشينغ العام، ونزل ويست هول بنوافذه الزجاجية الملونة. بجانب كلّ هذه الصور وضعت صوراً للمباني نفسها في الوقت الحاضر: متجراً السلع الرياضية، ومتجراً التحف، ومقهى لولو، ومتجر الكتب. كان من الغريب سهولة التعرف على كلّ مبنى، على الرغم من أن اختلاف اللافتات الخارجية، والطرق معبدة، وكان هناك أرصفة ذات مقاعد حيث كانت توجد أعمدة ربط فيما مضى.

أخذت كاثرين جرعة من سيجارتها وتابعت تصفَح الكتاب. شاهدت صورةً لجماعةٍ من الخيول يسحبون بكرة عملاقة لمهد الثلج على طول الطرق، وبجانبها صورة حالية لمرآب المدينة مع اثنتين من كاسحات الثلج البرتقالية الضخمة. وهنا صورتان أظهرتا أجيالاً مختلفة من عائلة واحدة تجمع عصارة القيقب، الأولى تستخدم دلاءً من الصفيح، والأخرى تستخدم أميالاً من الأنابيب البلاستيكية. ثم شاهدت صورة طاقمٍ قذر من الرجال خارج منشرة باتت الآن معرضاً للحرف اليدوية؛ ثم صورة بنية باهتة لصفوف من الأطفال ذوي الوجوه العابسة يقفون أمام بناء مدرسة من غرفة واحدة، وبجانبها صورة للمدرسة الحالية، ويست هول يونيون، وهو مبنى منخفض الطوب بني في عام 1979.

قلبت الصفحة وجاءت إلى صورة تظهر مجموعة من الشبان والشابات يجلسون على بطانية منقوشة، مع نتوء صخري ضخم خلفهم يبرز خمسة صخور ترتفع من الأرض. نزهة عند يد الشيطان، يونيو 1898، اقرأ الشرح التوضيحي المكتوب بخط اليد. بجانبها، صورة للصخور نفسها وتبدو الغابات خلفها أطول وأكثر كثافة، وبدون المتنزهين: يد الشيطان

مكتبة ياسمين

اليوم.

قلبت إلى الصفحة التالية. منزل مزرعة أبيض مع ممر طويل، وحظيرة خلفه، وحقول محروثة إلى اليسار. في الزاوية، المزيد بخطّ اليدَ: منزل ومزرعة هاريسون شي، طريق بيكون هيل، 1905.

وضعت كاثرين سيجارتها في منفضة السجائر ومدت يدها إلى حقيبتها مرة أخرى لتأخذ نسخة غاري من كتاب الزوار من الجانب الاخر. فتحته لمقارنة المزرعة التي وقفت سارة أمامها في تلك الصورة من الكتاب الجديد؛ كانت متطابقة.

نظرت إلى كتاب الصور، وعينها على الصفحة المقابلة: منزل هاريسون شي، في الوقت الحاضر. بدا المنزل متطابقاً تقريباً: نفس المصاريع السوداء ومدخنة الطوب والدرجات الأمامية. لا تزال الحظيرة قائمة، لكن الحقول أكثر اخضراراً، والغابة كانت أقرب. على يسار الممر، في الفناء الأمامي، كان هناك امرأة وفتاتان تعتنيان بحديقة خضروات كبيرة. التقطت الصورة من الطريق، وكان من الصعب معرفة الكثير من التفاصيل، لكن المرأة المنحنية لديها ضفيرة رمادية طويلة وترتدي شالاً ملوناً زاهياً. نبض قلب كاثرين بعنف. هل كان عقلها يخدعها؟

أغمضت عينيها ونظرت إلى طاولة عملها، حيث جلست دمية أليس تنتظر في نسخة مصغرة من مقهى لولو. ثم عادت إلى الصورة في الكتاب، حدقت فيها بإمعان آملةً ألا تكون المرأة ذات الضفيرة هناك، وأنها تتخيل ذلك. لكنها هناك، منحنية بجانب فتاة صغيرة ترتدي أفرولاً وفتاة أطول بشعر داكن. هل يعقل أن تكون هذه المرأة هي أليس، بائعة البيض؟

مكتبة ياسمين

قالت بصوت عالٍ: «طريق بيكون هيل»، وعادت إلى مقدمة الكتاب حيث الخرائط. بالطبع. عليك فقط أن تتبعي الشارع الرئيسي غرباً خارج البلدة، ثم تنعطفين يميناً إلى الطريقِ السفلي الذي أخذك إلى الوادي، وعلى اليمين التالي يقع بيكون هيل. على خريطة عام 1850، كان هناك منزل مزرعة واحد فقط، على الرغم من تركه دون تسمية، في منتصف الطريق تقريباً إلى طريق بيكون هيل قبل أن يتقاطع مع طريق ماونتن. مباشرة إلى الشمال من ذلك البيت على طريقِ بيكون هيل، وعلى قمة التلِّ وضعت لافتة كتب عليها يد الشيطانِ.

تحققت من الخريطة الحديثة ووجدت طريق بيكون هيل في المكان نفسه، وهناك، على التل بعد ذلك، يد الشيطان. أي أن الطريق الجبلي صار الآن الشارع السادس، بالطبع.

كان هذا مفاجئاً لكنه تقدم ملموس. إذ بصرف النظر عن الانتظار حتى الأسبوع المقبل لزيارة سوق المزارعين مرة أخرى، لم يكن لديها أية أفكار أخرى لتعقب بائعة البيض.

ألقت نظرة خاطفة من نافذة غرفة المعيشة؛ كانت السماء مظلمة تماماً الآن. كيف ستعرف إن كان المنزل الصحيح؟ ألن يكون من الأفضل الانتظار حتى الصباح، للقيام بذلك في ضوء النهار؟

لا، لقد قررت حمل حقيبتها ومفاتيحها. كان هذا مثالياً، حقاً. ستقود سيارتها إلى هناك، وإذا وجدت المنزل المناسب، ستطرق الباب وتخبرهم أنها ضاعت في الطقس السيء، أو أنها تعاني من مشكلة صغيرة في السيارة. ومن ثم تفكر بما يمكنها فعله لاحقاً. ربما لم يكن حتى منزل أليس، ولكن ربما فيه ما يمت بصلةٍ لامرأة أخرى ذات ضفيرة رمادية

مكتبة ياسمين

طويلة.

وها هي في طريقها لتبيّن ذلك.

نهضت وذهبت إلى الخزانة لترتدي معطفها.

مكتبة ياسمين

روثي

كان صباحاً هادئاً لكنه أثار قلق روثي، إذ بدا كلَ شيء طبيعياً باستثناء غياب والدتها الذي يلوح في الأفق مثل فيلم ضبابي ويمنح اليوم بأكمله شعوراً ضبابياً مزيفاً ومذاقاً مراً.

كان يوم السبت، وعلى الرغم من أن روثي فكرت في الذهاب إلى سوق المزارعين لبيع البيض بدلاً من والدتها، لكنها وجدت أن عناء الردَ على جميع الأسئلة التي ستطرح عليها لا يستحق المئة دولار أو نحو ذلك الذي قد تجنيه من ذهابها. كان باز يعمل في متجر عمه ولن يأتي حتى وقت متأخر.

قضت الفتاتان الصباح تتجولان في أرجاء المنزل وتنظران بقلق خارج النوافذ، وكم تمنت روثي أن يرن الهاتف. غسلت روثي الأطباق. وكنست الأرضية. وأطعمت الدجاج وجمعت البيض. أبقت النار مشتعلة في موقد الحطب. وفعلت كلَ الأشياء التي تفعلها الأم وبالطريقة نفسها قدر الإمكان. تبعت فون روثي من غرفة إلى أخرى، ولم تترك أختها الكبرى تغيب عن ناظريها. كانت تحوم خارج باب الحمام عندما تدخل روثي للتبول.

قالت لها روثي: «لن أذهب إلى أي مكان».

هزَت فون ذراعيها، لكنها استمرت في ملاحقة تحركات روثي في كلَ خطوة. وعلى الأقل عشرات المرات، قررت روثي الاتصال بالشرطة، لكنها تتراجع كلَ مرةٍ في اللحظة الأخيرة. ماذا لو كانت والدتها ووالدها متورطين بطريقة ما في اختفاء آل أوروك؟ ماذا لو اتصلت تلك السيدة المجنونة في كونيتيكت بالشرطة بشأن ظهور روثي على عتبة بابها؟ وسيكون عليها أن تخبرهم عن السلاح، أليس كذلك؟ إذ لا يعقل أن يكون مرخصاً أو قانونياً.

مكتبة ياسمين

وماذا عن فون؟ بالتأكيد سيأخذون فون منها، أليس كذلك؟ محال أن يتركوا فون في هذا المنزل مع أسلحة غير قانونية ولا أحد غير روثي يعتني بها. ومع ذلك، لا تزال متشبثة بفكرة أن والدتها ستظهر في أية لحظة وفي جعبتها تفسير جيد: «أنا آسفة جداً لأنني أثرت قلقك، ولكن...»- وحينها، يا إلهي، كانت ستغضب لو أن روثي استسلمت واتصلت بالشرطة.

«غداً صباحاً»، روثي وعدت نفسها. «إذا لم تعد والدتي إلى المنزل حينها، سأتصل بالشرطة بالتأكيد»..

صنعت يخنةً من اللحم البقري المحفوظ في الثلاجة في الطابق السفلي، وشعرت روثي بالارتياح لوجود ما يكفي من اللحم هناك لشهور. ولا يزال هناك الكثير من البطاطا والبصل في القبو أيضاً.

لكنهما لن تستطيعا الاستمرار هكذا لأشهر، أليس كذلك؟ مع مرور الوقت، سمحت روثي لنفسها بالتساؤل عما سيحدث لهما إذا لم تعد الأم قطّ. يوجد حوالي مئتا دولار في علبة القهوة في الطابق السفلي. ليس مبلغاً كبيراً، لكنهما لن تحتاجا الكثير. لم يكن هناك رهن عقاري على المنزل، عليهما فقط دفع ثمن الطعام والمرافق والوقود للشاحنة وعلف الدجاج. علمت روثي أنها تستطيع إدارة تجارة البيض لوحدها. كانت دائماً مستاءة من كلّ العمل الذي أجبرت على القيام به في حديقة الخضروات الضخمة الخاصة بهم، لكنها أدركت الآن أن بوسعها الحصول على الكثير من الطعام منها، فهي و فون تعرفان كيف تنثران البذور في الربيع، وكيف تنصبان العرائش للبازيلاء، ومتى تحصدان الثوم. لقد علمت الأم كلتا الفتاتين صنع الخبز وتعليب

مكتبة ياسمين

الطماطم والفاصوليا. ويمكن لروثي أن تعمل في وظيفةٍ بدوام جزئي في المدينة. سيسير كلّ شيء على ما يرام. وستجدان حلاً إن ساءت الأحوال.

لكنهما لن تضطرا، أليس كذلك؟ بالتأكيد سينتهي كلّ هذا قريباً.

طهي الحساء على ظهر موقد الحطب، وامتلاء المنزل برائحة لذيذة ومريحة جعلت روثي تفتقد والدتها أكثر.

وبحلول الظهيرة، عادت الحمى تلهب جبين فون. أعطتها روثي المزيد من التايلينول ومددتها على الأريكة مع دميتها وكتب التلوين.

«كيف تشعرين يا غزالتي الصغيرة؟»

قالت فون بوجه متوهج وشعر رطب: «بخير». كان لديها نظرة مضحكة محتقنة في عينيها.

«هوني عليكِ، اتفقنا؟ لا يجوز أن تخرجي. وحاولي أن تشربي الكثير من الدواء أيضاً».

قالت فون، وهي تطعم رشفة من الدواء الوهمي إلى ميمي التي كانت تعاني من الحمى أيضاً.

قالت روثي: «يجب على ميمي أن ترتاح أيضاً»، وصنعت للدمية سريراً صغيراً من الوسادة وغطتها بمنشفة المطبخ. ابتسمت فون بسعادة وأصرت على أن ميمي بحاجة إلى وسادة أيضا، فاستخدمت روثي كرةً من الصوف الناعم الذي تنسجه والدتها لصنع وسادة طرية.

في الخارج، كانت الرياح تصفر عبر الأشجار، وتدفع الثلج في انجرافات كبيرة. تكورت روثي على كرسي كبير تحت أحد الأغطية القديمة الملونة لوالدتها وراحت تقرأ كتاب الزوار من الجانب الاخر. سبب كتاب سارة لروثي تشنجات مزعجة. ظلت

مكتبة ياسمين

تنظر خلفها وهي على يقينٍ من أنها رأت حركة في الظلال. أكثر ما أزعجها هو فكرة وجود الراقدة الصغيرة جيرتي في خزانة غرفة نوم والدتها الآن. الخزانة نفسها التي أغلقتها والدتها.

قرب نهاية الكتاب، كشفت سارة عن أصل الثقوب المخفية التي وجدتها فون وروثي:

خلال طفولتي، اكتشفت وأنشأت العشرات من أماكن الاختباء عن طريق فك الطوب والألواح الأرضية، وصنع حجرات سرية خلف الجدران. وبعض أماكن الاختباء هذه يعجز أي شخص عن إيجاد مكانها على الإطلاق.

ألقت روثي نظرة خاطفة على أختها. كانت على الأريكة تضمِّد ساق دميتها. ميمي المسكينة، أولاً حمى والآن ساق مكسورة.

همست فون لميمي: «أخبرتك ألا تذهبي إلى الغابة». «تحدث أشياء سيئة للفتيات الصغيرات اللواتي يذهبن إلى الغابة».

رفعت فون رأسها ورأت روثي تراقبها. «أتودين أن تلعبي معي؟» عكست عينا فون الضوء الناري القادم من موقد الحطب ذي الواجهة الزجاجية.

قالت وهي تضع الكتاب: «بالتأكيد». «ماذا نلعب؟»

«لعبة الغميضة».

«ألا يمكننا لعب لعبةٍ أخرى؟ بالدمى أو الورق أو شيء آخر؟»

هزت فون رأسها، ثم رفعت ميمي، التي هزت رأسها نفياً أيضاً وعيناها المخدوشتان تنظران إلى روثي.

«ميمي ستلعب الغميضة فقط. لديها مكان مفضل جديد للاختباء».

مكتبة ياسمين

«ولكن لم أنجح في العثور عليك في المرة الماضية».

قالت فون وهي تبتسم بخجل: «ربما عليك أن تحاولي بجدية أكثر».

تنهدت روثي: «حسناً، لكن يجب أن تخرجي حالاً إذا قلت إنني أستسلم. اتفقنا؟»

قالت فون: «اتفقنا».

غطت روثي عينيها وعدَت بصوتٍ عالٍ. «واحد، اثنان، ثلاثة...» صرخت، وحاولت الإصغاء بعناية لسماع خطى شقيقتها. عبر الردهة.

فكرت في سارة وجيرتي تلعبان الغميضة هنا في هذا المنزل. كم كانت جيرتي بارعة في الاختباء. و لابد أن سارة كانت بارعة في الاختباء أيضاً. في إخفاء الأوراق، على الأقل.

«عشرة، أحد عشر، اثنا عشر...».

سمعت باب الخزانة في الردهة الأمامية يفتح، ثم يغلق. لكن لطالما فعلت فون أشياء كهذه لخداعها كي تقودها إلى الطريق الخاطئ. لقد كانت طفلة ذكية. ذكية جداً في بعض الأحيان.

«ثمانية عشر، تسعة عشر، عشرون. جاهزة أم لا.. أنا قادمة».

نهضت عن الأريكة، ترهف السمع بشدة. اندلع صوت طقطقة النار. قفزت القطة أسفل الدرج لترى سبب كلّ هذه الضوضاء.

«أين ذهبت أختي يا روسكو؟ هل رأيتها؟»

حكّت القطة ساق روثي وهي تصدر مواءً ضعيفاً.

لتكتشف إن كانت خدعة أم لا، ذهبت روثي يميناً نحو خزانة الردهة، وفتحت الباب ودفعت جانباً السترات والمعاطف وركعت فوق كومة كبيرة من

مكتبة ياسمين

الأحذية على الأرض.

قالت بصوت عالٍ: «همم، لست في خزانة الردهة». استدارت ونظرت من النافذة في الباب الأمامي. لقد حلَ الظلام. أمعنت النظر ورأت الثلج يتساقط بغزارة. لم تسمع روثي توقعات الطقس. كان تتبع الطقس دائماً مهمة والدتها. وقد اعتمدت روثي عليها كلَ صباح لتعرف كم سيكون الجو بارداً وإن كانت ستمطر أو تثلج.

«أين يمكن أن يكون حملي الصغير المفقود؟» سألت، وهي تنتقل إلى غرفة المعيشة والمكتب، ثم إلى المطبخ. ذهبت إلى الحمام في الطابق السفلي وأشعلت المصباح. توهج البلاط الوردي عندما سحبت روثي ستارة الدش لتجد حوض الاستحمام القديم فارغاً باستثناء شامبو بابونج والدتها وبطة مطاطية صفراء وحيدة.

قالت وهي تشق طريقها إلى الدرج متعبة من اللعبة بالفعل: «لستِ هنا». قررت أن تبحث بسرعة في الطابق العلوي، ثم تستسلم.

نظرت بفتور في أرجاء غرفتها وغرفة فون، والحمام في الطابق العلوي، وأعلنت عن موقعها، وتساءلت بصوت عالٍ أين يمكن أن تكون فون. وأخيراً، دخلت غرفة والدتها، على الرغم من أنها شكَت في أن فون قد تختبئ هناك. لم تكن فون تحت السرير. والمكان الوحيد الآخر هناك للاختباء كان داخل الخزانة. وقفت أمام الباب مترددةً. وطرقت الباب بغباء. ولم تسمع جواباً. فتحت الباب وشعرت بالامتنان لأن الخزانة كانت فارغة.

«فون؟» صاحت. «أستسلم» وأرهفت السمع. لا شيء. ذهبت من غرفة إلى أخرى مرة أخرى، ونادت، ثم عادت إلى أسفل الدرج.

مكتبة ياسمين

وها قد عاودها مجدداً الذعر المألوف. لقد فقدت فون. باتت في عداد المفقودين حقاً هذه المرة. ما كان على روثي أن توافق على لعب الغميضة. ليس في هذا المنزل، حيث دعت سارة هاريسون شي ابنتها الصغيرة الميتة مرة أخرى إليها.

«فون». نادت بصوتٍ مذعورٍ الآن. «إذا لم تخرجي الآن، فلن ألعب الغميضة معك مرة أخرى». لقد كانت في المكتب. لقد حافظ والدها على مكتبه مرتباً للغاية، وفيه مكتبه الماهوغاني القديم النظيف وكتب مرتبة بعناية على الرفوف، ولا شيء على الأرض سوى سجادة يدوية الصنع. ولكن الآن بعد تحوله إلى مملكة والدتها، سادت الفوضى أرجاءه. تكدّست الأوراق والكتب ونماذج الحياكة وكتالوجات الدواجن والبريد في أكوام على المكتب والأرضية؛ وثمة أكوام من الأكياس المليئة بالصوف ومشاريع الحياكة في مراحل مختلفة من الإنجاز. جلست روثي على الكرسي ومدت يدها إلى إحدى الحقائب لسحب القبعة التي كانت تصنعها والدتها عندما رأتها روثي آخر مرة.

كان يوم رأس السنة، وقد جلست والدتها على الأريكة تحيك قبعة باستخدام إبر دائرية، وخيوط سميكة ذات ألوان زاهية ما بين الفوشيا والأصفر الليموني، والأزرق السماوي.

«إلى أين أنت ذاهبة؟ سألت عندما رأت روثي تتجه إلى الردهة وقد ارتدت معطفها. لم تتوقف عن الحياكة، بل استمرت حركة الإبر تتشنج في يديها في حين كانت عيناها على روثي. «سيأتي باز ليصحبني. سنخرج مع بعض الأصدقاء».

استمرت الإبر في التحرك، غرزة بعد غرزة. قالت والدتها وهي تنظر إلى حياكتها: «عودي قبل موعد

مكتبة ياسمين

الحظر».

لم تجب روثي. لم تقل حتى وداعاً. فتحت الباب وانطلقت وسط البرد إلى آخر الممر لانتظار باز.

شعرت بيدٍ تلمس كتفها. رأت من زاوية عينيها يداً صغيرة قذرة تشبه الزعانف.

ارتعدت واستدارت لترى أنها مجرد دمية ميمي. ضحكت فون وعانقت ميمي على صدرها.

«يا إلهي، فون! هذا ليس مضحكاً. كان من المفترض أن تخرجي عندما أعلنت استسلامي»، صاحت بها. «تلك هي القوانين. أين كنتِ؟»

قالت فون: «أختبئ».

قالت روثي: «أرني أين». كانت المرة الثانية التي تفعل فيها فون هذا، ولن تسمح لها روثي بإبقاء مخبأها الجديد سراً بعد الآن.

قال فون: «مستحيل».

«أقسم، فون، إذا لم تريني المكان، لن ألعب الغميضة معك مرة أخرى».

حدقت بها فون للحظة، تعاين مدى صدق أختها. همست في أذن ميمي، ثم وضعت فم الدمية على أذنها، وأومأت برأسها.

قالت: «حسناً». «سنريكِ المكان».

قادت فون الطريق عبر غرفة المعيشة إلى الردهة الأمامية وفتحت باب الخزانة.

«لكنني بحثت هنا». قالت روثي.

دفعت فون المعاطف والسترات المعلقة وسحبت الأحذية الشتوية.

قالت: «هنا»، مشيرةً إلى الألواح الخشبية التي تشكل الجدار الخلفي للخزانة. كان هناك أربعة ألواح ذات مظهر متماسك جداً. وأوضحت: «هذه يمكن

مكتبة ياسمين

أن تخرج»، وأدخلت أصابعها الصغيرة في أخدود اللوح الموجود أسفل اليسار وحركته حتى تحرر من مكانه.

قالت روثي: «اللعنة». «كيف لم أعلم بهذا؟» لقد فتحت باب الخزانة هذا كلّ يوم من حياتها.

تأخذ وتضع السترات والأحذية والمظلات. كم عدد أماكن الاختباء السرية الأخرى التي كانت تمر بها كلَ يوم دون أن تدرك ذلك؟

قالت فون وهي تضع رأسها في حفرة غامضة عميقة: «إنه يصل عميقاً إلى الخلف».

«دعيني أرى». عندما دخلت روثي إلى الخزانة شعرت برهابها من الأماكن الضيقة يتصاعد على الفور. تعرق كفاها ونبض قلبها بسرعة. وصاح عقلها، اخرجي من هنا الآن!

كم أنا سخيفة، قالت لنفسها. إنها مجرد خزانة. الخزانة نفسها التي تعلق فيها معطفها كلّ يوم.

قالت روثي: «لنحضر مصباحاً يدوياً». أومأت فون برأسها وركضت إلى المطبخ، مسرورة لإعطائها مهمة جدية. سمعتها روثي تفتح درجاً وتبحث فيه، ثم تعود إلى الردهة.

قالت وهي تومض شعاع المصباح مباشرة في عيني روثي: «تفضلي».

صاحت روثي: «توقفي عن ذلك». «هاته». أخذت المصباح وصوبته نحو الظلام.

«مهلاً، يوجد شيء ما هناك محشور في الداخل».

كان من الصعب رؤية الكثير في الظلام، ولكن هناك، في الزاوية اليسرى الخلفية للمقصورة السرية، كان هناك ما يشبه الحزمة.

«هاه؟». قالت فون. «هل يمكنك الدخول لرؤية ما

مكتبة ياسمين

هذا؟»

قال فون: «بالتأكيد»، وزحفت إلى المكان حيث الحزمة. أرادت روثي، التي شعرت بالخوف فجأة، أن تطلب منها التوقف والانتظار قليلاً. من يدري ما قد تجده فون؟ إذ بعد أن وجدت البندقية والمحافظ في الطابق العلوي، بدا كلّ شيء ممكناً.

«إنها حقيبة ظهر»، صاحت فون، وأعطتها لروثي.

مدت روثي يدها وسحبتها إلى الخارج، وارتاحت لعودتها إلى الردهة مرة أخرى. كانت حقيبة سوداء، أثقل وزناً مما توقعت، ولها عدة جيوب وسحابات تغطي الخارج. لم تكن حقيبة مألوفة للفتاتين.

عضت فون شفتها. «ماذا تعتقدين بداخلها؟»

قالت روثي: «يوجد طريقة واحدة لمعرفة ذلك». حملت الحقيبة إلى غرفة المعيشة، ووضعتها على طاولة القهوة، وحدقت فيها لمدة دقيقة، وأصابعها تقرص السحاب. تخيّل عقلها جميع الاحتمالات الرهيبة عندما فكرت فيما يمكن أن تجده بالداخل: الكوكايين، والمزيد من الأسلحة، وأفلام الانتحار، وأعضاء من الجسم.

هزت رأسها مثل كلبٍ مبللٍ في محاولة لإزاحة كلّ تلك الأفكار بعيداً.

لقد كانت مجرد حقيبة ظهر.

أخذت نفساً عميقاً وسحبت السحاب. حدقت فون بها.

قالت بارتياح: «إنها معدات كاميرا». كانت حقيبة الظهر مقسمة إلى حجرات صغيرة مبطنة. بدأت في سحب الأشياء من الحقيبة: كاميرا نيكون رقمية من طراز إس إل آر، وثلاث عدسات، ومقياس ضوئي، ومرفق فلاش، وحزمة بطارية إضافية، وحامل

مكتبة ياسمين

ثلاثي القوائم قابل للطي. لقد عبثت بكاميرا باز ومعدات الفيديو بما يكفي لتعرف أن هذه الأشياء باهظة الثمن جداً.

والكاميرات الوحيدة التي رأت والديها يستخدمانها هي الكاميرات التي تستخدم لمرة واحدة والتي يمكن إظهار صورها في الصيدلية.

ابتعدت فون تسحب دميتها.

همست فون لميمي: «أعتقد أنها جاءت من الغابة».

«ما هذا، يا غزالتي الصغيرة؟» سألت روثي.

«لا شيء. فقط أتحدث إلى ميمي».

حملت روثي الكاميرا، وقلبت المفتاح إلى وضع التشغيل، ونظرت إلى الشاشة. لم يحدث شيء. قلبت الكاميرا في يديها، تبحث عن مفتاح آخر، معتقدة أنه ربما كانت هناك خدعة ما، وأدركت أن عليها أن تجعل باز يأتي ليلقي نظرة غداً.

«روثي؟» قالت فون، وجهها يضغط على نافذة غرفة المعيشة.

«نعم؟»

«هناك شخص في الخارج. قادم نحونا».

مكتبة ياسمين

روثي

«إنه يقترب».

كان صوت فون هادئاً بشكل غريب وواقعي حيث نظرت من النافذة كما لو كانوا يستقبلون زواراً طوال الوقت.

أسرعت روثي للانضمام إلى شقيقتها عند النافذة، على أمل أن تكون والدتهما. تخيلت والدتها تدخل من الباب، ترتجف من الثلج، وتأخذ الفتاتين بين ذراعيها. «لم أثر قلقك، أليس كذلك؟» كان بإمكان روثي الشعور بتلك الذراعين حولها وشم رائحة الصوف الرطب لشال والدتها.

وضعت روثي ذراعها حول فون وحدقت خارج النافذة إلى ما وراء انعكاس ظلها هي وفون مجتمعين معاً.

كان الظلام حالكاً الآن، لكن روثي استطاعت أن ترى عبر الفناء المغطى بالثلوج. أياً كان ذاك الذي يرتدي معطفاً ضخماً وقبعة فإنه يسير محني الظهر قليلاً، ربما من المشي في الرياح الباردة، أو من جهد الخوض في الثلوج العميقة. كان هناك وشاح ملفوف حول وجهه جعله مخفي المعالم مثل الرجل الخفي. هل يعقل أن تكون والدتهما؟ لا. كانت روثي واثقة من أنها تعرف مشية أمها. سار هذا الشخص بخطوات صغيرة وحذرة. في حين أن والدتهما تسير بصخبٍ وعزمٍ يجعلان روثي تتعرف عليها من على بعد ميلٍ.

«من هذا؟» سألت فون. هزت روثي رأسها.

«ومن أين جاء؟» سألتها أختها الصغيرة.

لم يكن هناك أثر لسيارة. وهذا الشخص لم يكن قادماً من الممر، بل عبر الفناء. لقد ترك أثراً متعرجاً

مكتبة ياسمين

عبر الثلج خلفه يشير إلى أنه خرج للتو من الغابة.

تمتمت روثي: «لا أعرف».

حدقت فون في أختها تنتظر منها أن تخبرها بما يجب أن تفعله. شعرت روثي بالحاجة الملحة لحماية أختها. شيء في داخلها يصرخ بها أن أنقذي أختك. لا تدعي هذا الرجل يقترب منها.

طرق الغريب على الباب الأمامي. الطرقة الأولى جعلت قلب روثي يقفز من مكانه. لقد كان صوتاً عالياً وحازماً بمعنى أنني لن أذهب من هنا.

«هل أفتح الباب؟» سألت فون. كانت الأقرب إلى الباب.

«لا». روثي عضت شفتها. تفكر. ما الذي ينبغي أن تفعله؟ حثها والداها دائماً على عدم فتح الباب أبداً لشخصٍ غريب. لكنهما رحلا الآن، والدها ميت، والدتها مفقودة. وماذا لو كان هذا الغريب يحمل معلوماتٍ، أو فكرة عن مكان والدتها؟

ولكن لماذا جاء من الغابة؟

«هل سنتجاهله؟» سألت فون، وهي تختبئ في الأسفل على النحو الذي علّمها إياه والداها عندما يأتي شخص غريب. تجاهليه.. أبقي رأسك منخفضاً حتى لا يراك. سيرحل في نهاية المطاف.

ولكن لماذا بالضبط حثهما والداها على الاختباء؟ قالت لهم والدتهم مراراً وتكراراً: «إذا رأيتما شخصاً لا تعرفانه يخرج من تلك الغابة، تدخلان وتغلقان الباب وتختبآن».

لا تفتحا الباب أبداً. حتى لو بدا شخصاً لطيفاً مسالماً، أقفلا الباب واختبآ.

بدا الأمر كما لو أن والدتهما كانت تتوقع مجيء شخص ما طوال الوقت، شخص خطير وشرير.

مكتبة ياسمين

لكن في الواقع كانوا يستقبلون عدداً لا يذكر من الزوار على مرَ السنين: المورمون أو شهود يهوه من حين لآخر، والقائمون على الإحصاء، ورجل يتحقق من الأرقام لمكتب مسؤول التقييم في البلدة.

نظرت روثي إلى ساعتها. كانت السادسة مساء السبت. لن يخرج أي شخص لديه مهمة رسمية في مثل هذا الوقت وفي هذا الطقس، ودون سيارة.

فكرت في الزوار من الجانب الآخر، وفكرة أن الموتى يمكن أن يعودوا للحياة. هذا سخيف، أليس كذلك؟

ربما هذا الرجل الذي يطرق بابهم... راقدٌ جاء من أعلى الغابة. ربما كان شبح مارتن شي جاء يبحث عن زوجته وابنته.

توقفي، قالت روثي لنفسها. لا يوجد أشباح أو راقدون.

«ربما مجرد رجل تائه». همست فون.

طرق الرجل بقوة أكبر، وبصوت أعلى. ونادى: «مرحباً». لكنه لم يكن صوت رجل. بل امرأة.

«روثي؟ هذه أنا، كانديس أورورك». تنفست روثي الصعداء: «أوه، اللعنة».

«هل أفتح الباب» سألت فون، وهي تتجه مباشرة إلى الباب، وتضع يدها على المزلاج.

همست روثي بقسوة: «لا». كيف عثرت عليهما كانديس؟ «»أعتقد أنَ لدي فكرة عما حدث لوالدتك.

«لقد جئت لمساعدتك في العثور عليها».

قبل أن تتمكن روثي من إيقافها، فكت فون المزلاج وفتح الباب.

صفعتهم عاصفة من الرياح الباردة على وجوههم.

قالت كانديس وهي ترفع قبعتها وتزيح الوشاح

مكتبة ياسمين

عن وجهها: «مرحباً روثي». كانت خدودها وردية متوهجة. «تسرني رؤيتك مرة أخرى. أيمكنني الدخول؟» خلف صدمة الرياح، التقطت روثي رائحة العطور الغالية والسجائر والخمر. ودون انتظار إجابة، عبرت كانديس العتبة ودخلت الردهة.

نظرت إلى فون، التي تراجعت للخلف. قالت كانديس بابتسامة كبيرة: «مرحباً». «ما اسمك؟»

لم تجب فون. أمسكت ميمي بقوة إلى صدرها، ثم انسحبت بعيداً عبر الردهة.

«إنها خجولة». قالت كانديس بمرح.

هزّت روثي كتفيها. أو أنها أدركت أنها سمحت للتو لشخص مجنون بالدخول إلى منزلنا.

قالت كانديس وهي ترتجف: «الجو بارد في الخارج».

نظرت حولها في الردهة. «لا أثر لوالدتك بعد؟» وقفت روثي ساكنة، لا تجيب.

«أرى أن هناك شاحنة في الحظيرة. هل هذه السيارة الوحيدة لعائلتك؟»

صممت روثي على عدم إخبار هذه المرأة أي شيء. ليس قبل أن تحصل على بعض الأجوبة منها.

«من أين أتيتِ؟» سألت روثي. «كيف تمكنت من إيجادنا؟»

اكتفت كانديس بابتسامة فقط وفكّت معطفها.

حاولت روثي مرة أخرى. «قلت إن لديك فكرة عما حدث لأمي؟»

ابتسمت كانديس ابتسامة مطمئنة وخطت إلى الداخل، متجاوزة روثي. قالت وهي تتجه مباشرة إلى كرسي الخشب في غرفة المعيشة وتنزع قفازاتها لتدفئة يديها: «هذا لطيف للغاية». «دافئ

مكتبة ياسمين

فعلاً». نظرت في جميع أنحاء الغرفة. حاولت روثي أن تتخيل كيف يبدو المكان لشخص مثل كانديس، مع ألواح الأرضية الخشنة هذه والسجاد الباهت والأريكة البالية وطاولة القهوة.

قالت روثي وهي تتبعها إلى غرفة المعيشة: «انظري، كيفما وجدتنا، هذا ليس وقتاً مناسباً».

كانت كانديس قد خطت إلى الداخل بالثلج على حذائها تاركة بركاً كبيرة منه عبر أرضية الصنوبر القديمة. كان خلع حذائك في الردهة من قواعد المنزل. لو أن والدة روثي هنا لشعرت بغضب شديد. قالت كانديس: «مرحباً مرة أخرى»، عندما اختلست فون نظرها من الزاوية. «لا تخبريني ما اسمك إن شئتِ. ولكن ماذا عن دميتك، يجب أن يكون لها اسم، أليس كذلك؟»

حدقت بها فون. كانت خدودها تتوهج من الحمى وترتدي الملابس الحمراء القذرة نفسها منذ أيام. وشعرها أشعث ومتشابك.. أدركت روثي أنها تبدو طفلة وحشية أو فتاة صغيرة ترعاها الذئاب.

قالت كانديس: «لدي صبي في عمرك تقريباً». اسمه لوك.

«دعيني أخمن، أنت في السادسة من عمرك، أليس كذلك؟» أومأت لها فون إيماءة عابرة.

«هل تعرفين ما الشيء المفضل لدى لوك في العالم؟»

لديه خلد الماء المحشو. هل يمكنك تخمين اسمه؟» هزت فون رأسها.

قالت كانديس وهي تضحك: «سبايك».

ضحكت فون أيضاً وهي تدخل غرفة المعيشة، وتأتي للانضمام إلى كانديس وروثي بالقرب من

مكتبة ياسمين

موقد الحطب.

«سخيف، أليس كذلك؟» سألت كانديس. «من يطلق اسم سبايك على خلد الماء؟» «أين هو الآن؟» سألت فون. «لوك؟»

تلاشت ابتسامة كانديس. «إنه مع والده. نحن مطلقان، كما ترين، ووالد لوك من أولئك الرجال الذين يحصلون دائماً على ما يريدون. لوك يعيش معه الآن». وضعت كانديس يدها على شعرها. «ولكن، مع بعض الحظ، سيتغير ذلك قريباً. لم أستسلم بعد. ليس من الصواب إبعاد صبي عن والدته، أليس كذلك؟»

منحتها فون نظرة متعاطفة. قالت وهي تحمل الدمية: «هذه ميمي». «واسمي فون. عمري ستة أعوامٍ ونصف».

«ستة ونصف، أنت كبيرة جدا في الواقع. أرى أنكِ فتاة كبيرة. وذكية جداً. لذلك اسمحي أن أسألك، إلى أين تعتقدين أن والدتك قد ذهبت؟»

فكّرت فون لبرهة. «بعيداً. بعيداً جداً».

قاطعتها روثي: «فون، لماذا لا تصعدين إلى غرفتك؟»

قالت كانديس لفون، متجاهلة روثي تماماً: «أيتها المسكينة». «من الصعب أن ترحل والدتك على هذا النحو. أليس لديك أية فكرة عن مكانها؟»

هزت فون رأسها، ونظرت إلى دميتها.

«أعلم أنك وجدت محفظتي توم وبريجيت في مكان ما في المنزل. أخبريني، فون، هل وجدت شيئاً آخر معهما؟»

اتجهت عينا فون نحو روثي كأنها تسألها: هل أجيب؟

مكتبة ياسمين

أعطت روثي أقل هزة من رأسها، على أمل أن تكون كافية. لم تكن روثي تعرف ما تعنيه المحافظ المخفية والمسدس، لكنها عرفت أن باز كان على حق، إنها تجعل والدتها تبدو متورطةً في شيء سيء، شيء إجرامي. لم ترغب بأن تعرف كانديس أورورك عن أيّ من هذا.

قالت روثي وهي تخطو نحو الأمام: «لم يكن هناك شيء آخر».

لكن كانديس استمرت في تجاهل روثي وأبقت عينيها على فون.

«في بعض الأحيان لا يقول الأخوة والأخوات الكبار الحقيقة. هذا لا يجعلهم أشخاصاً سيئين، لأنهم يفعلون فقط ما يعتقدون أنه صحيح. لكن أنت يا فون، أنت دائماً تقولين الحقيقة، أنا واثقة. هل كان هناك شيء آخر مع المحفظتين؟ أيّة أوراق؟ أي شيء على الإطلاق؟»

«قلت لكِ، لم يكن هناك شيء آخر». لقد نفد صبر روثي. «أنا آسفة، ولكن يجب أن تغادري الآن».

قالت كانديس: «أنا آسفة يا روثي، لكنني ببساطة لا أصدقكِ». أزاحت نظرها عن فون أخيراً، وحدقت ببرود في روثي.

«هل أنا بحاجة للاتصال بالشرطة؟» سألت روثي.

هزت كانديس رأسها بخيبة أملٍ واضحة. أبقت عينيها على روثي وفتحت معطفها للكشف عن قراب مسدسٍ معلق إلى صدرها. سحبت مسدساً منه ببطء وبشكل مريب تقريباً. كان المسدس أصغر من المسدس الذي وجدوه في الطابق العلوي؛ كانت أسطوانته فضية والقبضة سوداء. من الواضح أن كانديس لم تكن محترفة في هذا، بل كانت تشبه ممثلة تؤدي دوراً لم تتدرب عليه كثيراً.

مكتبة ياسمين

قالت كانديس وهي تتنهد: «كنت آمل ألا يصل الأمر إلى هذا الحدّ».

اللعنة.

فكرت روثي مرة أخرى في تحذيرات والدتها على مرّ السنين: لا تفتحي الباب أبداً. فكرت في ذات الرداء الأحمر التي خدعها الذئب في ملابس الجدة.

«جحظت عينا فون. «هل أنت من الشرطة؟» سألت. ضحكت كانديس. «ليس بالضبط. انظرا، أنا حقاً أكره الأسلحة. أكرهها.

وأكره أن أضطر لاستخدامها» قالت محذرةً وهي تلتفت إلى روثي ثم إلى فون. «إليكما ما سيحدث: ستخبرانني بكل ما تعرفانه عن والديكما وتوم وبريجيت أورورك. وستخبرانني أين وجدتما المحفظتين وكل شيء آخر وجدتماه معهما».

نظرت روثي إلى كانديس وإلى المسدس في محاولة للسيطرة على شعورها المتصاعد بالذعر. لم تصدق أن كانديس ستطلق النار عليهما، على الأقل ليس عمداً. لكن من الواضح أنها مخبولة، ومن يعلم ما هي قادرة على فعله؟ «إن كنت تكرهين الأسلحة كثيراً، فلماذا أحضرتها؟» سألت فون.

«لأنني لا أستطيع المغادرة من هنا دون الحصول على ما جئت من أجله. أنا حقاً لا أستطيع. عليكِ أن تفهمي ذلك». تدلى المسدس من يدها اليمنى، موجهاً نحو الأرض. ومررت أصابعها بشعرها.

«ما الذي تبحثين عنه؟» سألت روثي.

عبست كانديس في وجه روثي. «شيء كان لدى توم وبريجيت، وأعتقد أن والدتك، أينما كانت، تملكه الآن. لذا أريدك أن تبدأي بالإجابة على أسئلتي. اتفقنا؟»

مكتبة ياسمين

لم تتحدث أيٌ منهما. بدت فون متحجرة، ولم يكن عقل روثي يعمل بسرعة كافية. كانت مشغولة بالتحديق في المسدس.

قالت كانديس، وهي ترفع المسدس و إصبعها على الزناد: «من فضلك لا تجعليني أوجه هذا إلى أي منكما». «فهل أنت مستعدة للتعاون؟ لأنني أعتقد أننا جميعاً نريد الشيء نفسه، أليس كذلك؟ نريد أن نجد والدتك، أليس كذلك؟»

اقتربت فون من روثي وتعلقت بها. لوَحت كانديس بالمسدَس نحوهما، وصوَبته أوَلاً نحو فون، ثم نحو روثي. «أليس كذلك؟» كررت.

«نعم»، أجابت كلتا الفتاتين. «نعم».

«جيد». ابتسمت كانديس وخفضت المسدس بارتياح. «أستطيع أن أرى أنكما فتاتان ذكيتان. والآن بما أننا جميعاً في الجانب نفسه، أعتقد أننا سنصل حقاً إلى مكان ما. أتمنى ذلك».

مكتبة ياسمين

كاثرين

تحرك الثلج في زوبعة غاضبة حول سيارة الجيب، وأثار الهواء بطرق لم ترها كاثرين من قبل. نزل من السماء وهبَ من جانب واحد، وعصفت الريح على الزجاج الأمامي لسيارة كاثرين وعلى الضفاف الشاهقة على جانبي الطريق. بدا الأمر كما لو أن الطبيعة نفسها تعاند بطريقة ما وصولها إلى منزل سارة.

كان من الغباء المحض القيادة في مثل هذا الطقس العاصف، لكن كاثرين وصلت إلى هذا الحدّ وبلغت للتو طريق بيكون هيل. سارت في خط مستقيم بسرعة منخفضة، ممسكة بإحكامٍ بعجلة القيادة، وأخيراً رأت أضواء منزلٍ على اليمين. كان من الصعب الحصول على نظرة فاحصة من الطريق الرئيسي في الظلام، خاصة من خلال الثلوج الكثيفة. هل هذا المنزل الصحيح؟ ربما. كان الممر طويلاً ولم يُجرف الثلج منه مؤخراً. لكن المصابيح مضاءة. خلف المنزل، رأت المعالم المظلمة للحظيرة.

فقط استديري وعودي غداً في ضوء النهار حباً بالله. حاولت أن تتفاهم مع نفسها لتتحدث بعقلانية.

واصلت كاثرين السير على الطريق، بحثاً عن ممر آخر، أو في حال وجود منزلٍ آخر. بعد نصف ميلٍ، وصلت إلى نقطة على اليمين. كان هناك سيارة تحمل لوحة كونيتيكت متوقفة هناك، وآثار أقدام تؤدي إلى الغابة. لا بدَ أن هذا الطريق إلى يد الشيطان. لقد كانت ليلة عصيبة لا يمكن التجول فيها. ولكن ربما كانوا مجرد أولاد يحتفلون في الخارج؛ تخيلتهم مستلقين على ظهورهم في الثلج، يمررون لفافة تبغٍ وزجاجة، يتأملون السماء، ويتخيلون أنها نهاية العالم. الشتاء النووي. أو أنهم

مكتبة ياسمين

ضاعوا في الفضاء، وتتساقط النجوم كالحجارة الجليدية من حولهم.

لقد فعلت شيئاً مثل هذا مع غاري أيام الكلية، ركضا تحت الثلج يداً بيد، وتخيلا أنهما الكائنان الوحيدان على قيد الحياة في الكون، رائدا فضاءٍ مرتبطان ببعضهم فقط ولا شيء آخر.

قامت بانعطافة سيئة، وكادت أن تعلق في كتلة ثلجية، ثم عادت إلى ما ظنت أنه منزل سارة. عندما وصلت إلى الممر، انحنت إلى الأمام، وخاضت طريقها عبر الثلج في محاولة للحصول على نظرة أفضل ورؤية المزيد من التفاصيل، ولكن عبثاً.

قالت بصوت عالٍ: «سأعود غداً، هذا هو المنطق.

على بعد 500 قدم من الممر، توقفت وأطفأت مصابيح سيارتها الأمامية وأطفأت المحرك.

حمقاء. ماذا تفعلين؟

أغلقت معطفها وقفزت من سيارة الجيب فغرقت قدماها في الثلج. حاولت إلقاء نظرة على النوافذ أولاً، فإذا ما ظلت تعتقد أن هذا منزل أليس، ستطرق الباب وتقول إنها تواجه مشكلة في السيارة وتطلب استخدام الهاتف. ستخبرهم أنها لا تملك هاتفاً خلوياً. أخرجت الهاتف الخلوي من حقيبتها ووضعته في صندوق قفازات سيارة الجيب، سعيدة بنفسها لتفكيرها في هذه التفاصيل. ثم أغلقت السيارة وعادت إلى الطريق نحو الممر.

لم تمر أية سيارة. والصمت يعم المكان. بدا الصمت المكتوم للمناظر الطبيعية الثلجية غير طبيعي كما لو أنّ العالم مغطى بالقطن. لا شيء سوى صوت الرياح وصوت خطواتها التي تصدر صريراً عبر الثلج المنفوش.

مكتبة ياسمين

ضغطت على نفسها بإصرار ورغبة كي تقترب أكثر. أرادت رؤية المنزل حيث تعتني امرأة ذات ضفيرة وفتاتان صغيرتان بحديقة خضروات. والمنزل الذي أعادت فيه سارة هاريسون شي ابنتها جيرتي إلى الحياة مرة أخرى.

سارت كاثرين في منتصف الممر تدفع قدميها عبر الثلج مثل زورقين أخرقين. ظهرت تفاصيل المنزل فجأة من الظلام. إنه هو. تعرفت عليه من الصور، منزل ريفي صغير بثلاث نوافذ في الطابق السفلي وثلاث في الطابق العلوي. بضع درجاتٍ من الطوب تؤدي إلى الباب الأمامي، ومنه مباشرة إلى وسط المنزل. تدفق دخان الحطب من المدخنة.

غادرت الممر واجتازت حافة الفناء، ووقفت في الظل. شعرت بطنين الأدرينالين الجميل في أذنيها. ها هي هنا تفعل شيئاً مجنوناً، شيئاً يكاد يكون إجرامياً، تتجسس على الناس مثل بطل فيلم «توم مختلس النظر».

قالت لنفسها: فقط نظرة واحدة سريعة. تخيلت أنها تختلس النظر من النافذة، وترى على الفور المرأة ذات الضفيرة. ثم تذهب مباشرة إلى الباب مع قصتها عن مشكلة السيارة، وتكتشف ما إذا كان اسم المرأة أليس.

ركضت الياردات القليلة الباقية، انحنت، وخفضت رأسها تحت النوافذ. وصلت تحت النافذة الوسطى التي تقع على يمين الباب الأمامي، والتقطت أنفاسها.

ببطء وحذر، رفعت رأسها وهي تتخيل أنها ستنظر إلى الداخل وترى سارة على كرسي هزاز، وجيرتي الصغيرة في حضنها.

ما رأته بدلاً من ذلك جعلها تصفق بيدها على فمها،

مكتبة ياسمين

وتعض على الجلد الرقيق المالح لقفازها.

كانت تنظر إلى غرفة معيشة كبيرة ذات أرضية واسعة من الألواح الخشبية والسجاد الباهت. مقابل الحائط كان يوجد موقد كبير من الطوب مع موقد حطب مشتعل.

وقفت امرأة أمامه. امرأة ذات شعر أشقر ترتدي سترة عاجية اللون. وتحمل في يدها اليمنى مسدساً. تلوّح بالسلاح في وجه فتاة صغيرة ترتدي ثياباً حمراء وتتشبث بدمية قماشية بالية. في حين وقفت فتاة كبيرة ذات شعر داكن بجانب الفتاة الصغيرة، وعيناها محمومتان وهي تومئ برأسها رداً على ما قالته المرأة للتو. إنهما الفتاتان في الصورة، اللتان تساعدان أمهما في الحديقة.

تراجعت كاثرين، ومدت يدها إلى حقيبتها كي تتصل عبر هاتفها الخلوي بالطوارئ، لكنها تذكرت أنها تركته في السيارة.

«اللعنة». همست بصوت منخفض.

لا يمكنها ترك هاتين الفتاتين. وليس على هذا النحو. كان عليها فعل شيء ما.

انتابها شعور مفاجئ بأن هذا السبب الذي دفعها إلى القيادة إلى هنا، ولهذا وجدت كتاب سارة في صندوق أدوات غاري واكتشفت الصور في الكتاب الذي اشترته من المتجر. لهذا خرجت من السيارة الجيب وسط العاصفة الثلجية الحالية على الرغم من قرارها المنطقي بالعودة. ثمة قوةٌ ما جذبتها إلى هذا المكان في هذا الوقت حتى تتمكن، لأول مرة في حياتها ربما، من القيام بشيء مفيد حقاً. شيء عظيم.

فكرت في الأسابيع التي جلست فيها بجانب أوستن، ممسكة بيده في سرير المستشفى،

مكتبة ياسمين

وإطعامه لقمات الجيلو، وإخباره قصصاً سخيفة عن مدى ضعفها، وعدم قدرتها على إنقاذه أو منع هذا الشيء الفظيع الذي ينتظره. وبعد ذلك كان هناك غاري. لقي مصرعه في حادث سيارة، ولم تكن معه حتى، لم تحظ حتى بفرصة لإنقاذه. «ربما قالت له تمهل. ثمة جليد على الطريق».

بعض الأشياء خارجة عن سيطرتنا. في بعض الأحيان تحدث أشياء فظيعة وما من شيء لعينٍ يمكننا فعله لمنعها.

لكن الفرصة متاحة أمامها الآن. لقد عزمت على إنقاذ الفتاتين.

مكتبة ياسمين

«اختفت والدتنا يوم رأس السنة. لقد أعدَت العشاء، ووضعت أختي في الفراش، وصنعت كوباً من الشاي. عندما عدت إلى المنزل لاحقاً تلك الليلة، كانت قد رحلت».

أومأت كانديس برأسها، وأرجعت المسدس إلى مكانه على صدرها حين رأت أن الفتاتين متعاونتان.

«هل تعرفين ما الذي حدث لها؟» سألت فون، وهي تنظر إلى كانديس بعينيها البنيتين الضخمتين المتوسلتين على نحوٍ لم تره روثي من قبل.

وضعت كانديس يدها على شعرها. «لست متأكدة تماماً، ولكن ربما لدي فكرة».

قالت روثي: «من فضلك». «إن كنت تعرفين شيئاً، أخبرينا».

ابتسمت كانديس. «لا تقلقي، روثي، سنجد والدتك. لن أغادر من هنا حتى أفعل. عليكما أولاً إخباري بكل ما تعرفانه عن توم وبريجيت».

هزت روثي رأسها. «لا شيء تقريباً. لم نسمع عنهما من قبل إلى أن وجدنا محافظهما في ذلك اليوم».

«إذن أمك لم تذكرهما قطّ؟» قالت روثي: «قطّ».

«وكيف عثرتما على المحفظتين؟» سألت كانديس.

«كما أخبرتك. كنا نبحث في المنزل على أمل العثور على دليلٍ ما بشأن ما حدث لأمنا».

«لم تتصلي بالشرطة؟»

«لقد فكرنا في الأمر، ولكن لا. ليس بعد. نعرف أن هذا ليس ما تريده أمي. إنها تكره الشرطة».

ابتسمت كانديس. امرأة ذكية. «إذن، أخبريني، أين وجدت هاتين المحفظتين؟»

مكتبة ياسمين

صمتت روثي، تفكر. «خزانة الردهة. هناك مقصورة سرية خلف الجدار الخلفي». ونظرت إلى فون نظرة تعني وافقيني فيما أقول.

قالت كانديس: «أرني».

قادتها روثي إلى الردهة وفتحت الخزانة. كانت اللوح الخلفي محرراً وقد وضع جانباً حيث تركوه.

قالت وهي تسلم كانديس المصباح اليدوي لتسمح لها برؤية المكان بنفسها: «ألقي نظرة». جثت كانديس على يديها وركبتيها وأضاءت المصباح في المكان الفارغ. بحثت روثي عن شيء ثقيل يمكن أن تضرب به كانديس على مؤخرة رأسها بينما كانت في هذا الوضع الضعيف. ولكن كلّ ما وجدته كان بعض المظلات الخفيفة. إلى أي مدى كان عليك أن تكره شخصاً لتطيح به؟

«ولم تجدا شيئاً آخر هناك؟» سألت كانديس بصوت مليء بالشكوك.

قالت روثي: «لا شيء».

خرجت كانديس من الخزانة ووجهت المصباح على روثي. «أنت لن تكذبي علي الآن، أليس كذلك؟»

قالت: «كانديس، أقسم لكِ». «كل ما وجدناه هو هاتان المحفظتان داخل كيس مغلق».

قالت كانديس وهي تنظر حولها: «مهلاً». «أين ذهبت أختك؟»

لم تتبعهما فون إلى الخزانة.

عادت كانديس من الردهة إلى غرفة المعيشة، تتبعها روثي. فون لم تكن هناك. زفرت كانديس أنفاسها غاضبة.

«فون؟» صاحت روثي. لم تكن لتحاول الهرب،

مكتبة ياسمين

أليس كذلك؟ تخيلت روثي أن فون هربت عبر الثلج محمومة بثيابها وجواربها الرقيقة تحاول طلب المساعدة. كان أقرب الجيران على بعد ميلين، وقليل جداً من السيارات تعبر هذا الطريق في مثل هذا الوقت. فقط الناس الذين يصعدون إلى يد الشيطان، ولن يذهب أحد إلى هناك في ليلة مثل هذه الليلة. ستتجمد فون حتى الموت قبل أن تحصل على المساعدة.

فكرت في جيرتي الصغيرة، تتجول في الغابة وتسقط في البئر.

هل هذا المكان الذي سيجدون فيه فون؟

تنفست روثي الصعداء عندما سمعت صوت الأقدام على السلالم ورأت فون تنزل وفي يدها دميتها ميمي.

قالت كانديس: «لا تغيبي عن بصري». كان وجهها محموماً تماماً الآن ومبللاً بالعرق. «هل تفهمين؟»

أمسكت روثي بيدها بقوة مصممة على ألا تفقدها مرة أخرى.

أومأت فون برأسها بسرعة. قالت: «ذهبت فقط لأجلب بطانية لميمي»، وأظهرت لكانديس دميتها ملفوفة في بطانية طفل قديمة. «إنها مريضة. لديها حمى. كان علي أن أعطيها الدواء. أنا مريضة أيضاً».

ابتسمت كانديس على الرغم من أن صبرها كاد ينفد. «آسفة لسماع ذلك يا صغيرتي. ولكن من الآن فصاعداً، ابقي معنا، اتفقنا؟»

قالت وهي تبتسم ابتسامة كبيرة: «أعدك». يمكن لابتسامة فون أن تذيب جبلاً جليدياً. ولا يسع المرء إلا أن يرد عليها بابتسامة مهما كان أبلهاً.

فركت كانديس وجهها، وتركت كتفيها يهبطان

مكتبة ياسمين

بيأس. «هل لديك قهوة؟»

«قهوة؟» قالت روثي. كانت هذه المرأة تحتجزهما كرهائن والآن تريد ما تشربه؟ «نعم، بالتأكيد. سأضع الماء على النار». ربما تكون هذه فرصتها، إذا تمكنت من الدخول إلى المطبخ بمفردها لدقيقة واحدة، يمكنها طلب المساعدة، أو إحضار سكين.. أو شيء ما. قالت كانديس، وهي تلاحقها عن قرب: «سنأتي معك».

«لا أريد أن أفقد شخصاً آخر الليلة».

جلست كانديس على الطاولة وراقبت روثي تجهز وتطحن القهوة وتشغل الآلة. جلست فون في مكانها المعتاد، الكرسي المقابل للنافذة، وميمي في حضنها.

انضمت روثي إليهما على الطاولة، وجلست بجانب فون. أخذت فون يد روثي وأمسكتها بإحكام بيدها. كانت يد فون ساخنة. ربما تحتاج إلى جرعة أخرى من التايلينول.

حدقت كانديس في روثي. «متى عيد ميلادك؟» سألت. «في الثالث عشر من أكتوبر».

شدّت فون يد روثي، ووجّهتها إلى دميتها التي كانت ترتاح على ساقي فون وهي ملفوفة ببطانية سميكة. دفعت فون يد روثي نحو الدمية. كان ثمة شيء صلب هناك، تحت البطانية.

«وكم عمرك؟» سألت كانديس.

«تسعة عشر عاماً». سحبت روثي البطانية قليلاً، ولمست الجسم الصلب. لقد وضعت كلّ طاقتها لإبقاء وجهها فارغاً من أي تعبير.

المسدس.

لقد أحضرت فون المسدس من مخبئه في غرفة

مكتبة ياسمين

أمها ولفته داخل البطانية. دفعت روثي البطانية فوقه.

«أنتِ صورة طبق الأصل من والدتك، هل تعلمين ذلك؟» قالت كانديس لروثي.

ضحكت فون وهزت رأسها. «روثي لا تشبه ماما على الإطلاق».

«هذا لأن أليس واشبورن ليست والدتها». تركت كانديس كلماتها تسقط مثل القنابل، وراقبت وجهيهما عندما سمعتا الخبر.

قالت روثي بهدوء: «آل أورورك هما والداي الحقيقيان». لم يكن سؤالاً. كانت يدها ترتاح على المسدس المغطى بالبطانية. لقد عرفت الحقيقة منذ أن رأت الصورة أول مرة في منزل كانديس، أليس كذلك؟

شعرت بها في أعماقها.

كان الأمر مضحكاً، إذ لطالما تخيلت عندما كانت طفلة صغيرة أن الأم والأب ليسا والديها الحقيقيين؛ كانت تتخيل زوجاً غنياً، ملكاً وملكة من بلد بعيد لم تسمع به من قبل، يأتيان للمطالبة بها على أنها طفلتهما ويعيدانها إلى الحياة التي كان يفترض أن تعيشها، حياة لا تنطوي على تنظيف حظيرة الدجاج وارتداء ملابس يدوية الصنع. ولكن الآن بعد أن حصلت أخيراً على أمنيتها، لم تشعر بأنها بداية جديدة سحرية. بل شعرت بأنها طعنة في الأحشاء، صعبة وثقيلة.

«كما قلت، أنت فتاة ذكية». أمسكت فون بيد روثي بإحكام.

«الأمر الذي يجعلك.... عمتي؟» لم تكن روثي متأكدة مما تقوله. هل تقول يسرني لقاؤك يا

مكتبة ياسمين

قريبتي؟ لم يبدُ ذلك مناسباً.

همست فون وهي تنقل نظرها بين روثي وكانديس: «أنا لا أفهم».

«هذا مربك، أليس كذلك؟» قالت كانديس وهي ترمق فون بنظرة متعاطفة. «للتوضيح، علينا العودة إلى الوراء، عندما كنت أنا وتومي صغاراً. عشنا هنا، في هذا المنزل. بعد وفاة سارة هاريسون شي، تُرك المنزل لابنة أختها، أميليا لاركين. وظلّ ملكاً للعائلة. أنا وتومي أحفاد أحفاد أميليا».

استوعبت روثي هذا. كانت من أقارب سارة هاريسون شي. سواء كانت سارة امرأة مجنونة أم متصوفة، كان هناك جزء منها داخل روثي.

قالت مشيرة إلى الخزانة التي تحمل الأكواب والفناجين: «عندما كنا أطفالاً، وجدنا أماكن خفية في جميع أنحاء المنزل، واحداً في خزانة الردهة، وواحداً في غرفة نوم والدينا، والعديد منها هنا وهناك خلف الجدران، وواحداً في الجزء الخلفي من إحدى خزائن المطبخ، هناك». «هذا المكان الذي وجدنا فيه الصفحات المفقودة من مذكرات سارة هاريسون شي والتي تضمن تعليمات حول كيفية جعل الراقد يمشي مرة أخرى. كانت قد نسختها من الرسالة التي تركتها لها العمة».

«ما هو الراقد؟» سألت فون.

جحظت عينا كانديس واتسعتا. «شخص ميت أعيد إلى الحياة».

عضت فون شفتها. «لكن هذا ليس حقيقياً، أليس كذلك؟» نظرت إلى روثي.

قالت روثي: «بالطبع لا»، ولكن بدت فون خائفة وغير مقتنعة.

مكتبة ياسمين

«مثل الفضائيين؟» سألت فون.

قالت روثي مبتسمةً ما كانت تأمل أنه ابتسامة مطمئنة لفون: «نعم، مثل الكائنات الفضائية». والتفتت إلى كانديس. «إذن كانت بحوزتك هذه الصفحات المفقودة طوال هذا الوقت؟»

رفعت كانديس يدها. «ليس بهذه السرعة. دعيني أنهي كلامي. حصلنا على التعليمات ولكن لا يزال هناك جزء مفقود». «كانت هناك خريطة تخبرنا أين نذهب لتفعيل التعويذة، ولم نتمكن من العثور عليها في أي مكان. لقد أخرج أهلنا الكثير من المنزل، ونقلوا صندوقاً تلو الآخر إلى متاجر الخردة، وأرادوا تخليص أنفسهم من كلَ شيء مرتبط بسارة المجنونة. لذا، فقد عرفنا أنا وتومي كيف نفعلها، ولكن لم نعرف أين. ذكر في أوراق سارة أن هناك بوابة في مكان قريب من المنزل، ربما حتى في داخل المنزل، وأنه لكي تنجح التعويذة، عليك الوصول إلى البوابة. ولكن لم يحالفنا الحظ بغياب الخريطة أو الوصف».

«ماذا فعلتِ بالصفحات التي وجدتها؟» سألت روثي.

«لقد أخفيناها. ثم، عندما كبرنا، تولى تومي مسؤوليتها. لقد أكّد أنها تساوي الكثير من المال، حتى بدون الخريطة، وبمجرد أن يجد مشترياً، سنتقاسم الأرباح. كان لديه صديق التقى به في الكلية ممن يتعاملون مع الكتب والأوراق الأثرية».

«والدنا». قالت روثي.

«نعم. جيمس واشبورن. رتب توم وبريجيت لقاءً مع جيمس وزوجته أليس، هنا في المنزل في عطلة نهاية الأسبوع قبل ستة عشر عاماً. كانا سيعرضان عليهما صفحات اليوميات ويحاولان مرة أخرى

مكتبة ياسمين

العثور على البوابة. ثم تعرض الصفحات في المزاد، ونصبح جميعاً أغنياء، وفقاً لتومي».

«وماذا حدث؟» سألت روثي.

هزت كانديس رأسها، وبللت شفتيها بإحكام. «لقد قُتل تومي وبريجيت».

«قتلا؟» صاحت روثي. في غضون بضع دقائق فقط، كانت قد حصلت على والدين جديدين، ثم خسرتهما مرة أخرى. «كيف؟»

«ادعت أليس وجيمس أنَّ وحشاً في الغابة قضى عليهما وسحب جثتيهما».

انتفض جسم فون بقوة.

قالت روثي وهي تمسك بيد أختها الصغيرة بثبات في يدها وتضغط عليها: «لا يوجد وحوش هنا».

قالت كانديس: «أوافق تماماً». «في البداية، كنت في حالة صدمة لدرجة أنني قبلت قصتهما. لم أكن مقتنعة تماماً بوجود وحش، ولكن اعتقدت أنه ربما وقع حادث رهيب. ولكن على مر السنين، حاولت رؤية الحقيقة. لا أصدق كم كنت غبية وساذجة».

«الحقيقة؟» قالت روثي.

أومأت كانديس برأسها. «أليست واضحة؟ جيمس وأليس قتلا أخي وزوجته للحصول على الصفحات. كانا يعرفان قيمتها وأرادوها لهما فقط».

هزت روثي رأسها. «والداي ليسا مجرمين». كانت هذه الفكرة أكثر سخافة بالنسبة لها من فكرة وجود وحش في الغابة.

«فكري في الأمر، روثي. الا يمكن لأي شخص أن يصبح قاتلاً إذا كان الرهان كبيراً بما فيه الكفاية؟» ظلَّت صامتة لعدة ثوان. «إذا أردت دليلاً، فليس عليك أن تبحثي بعيداً. ها أنا ذا، أهدد فتاتين

مكتبة ياسمين

صغيرتين، إحداهما ابنة أختي المفقودة منذ فترة طويلة، بمسدس، حتى أتمكن من العثور على تلك الصفحات المفقودة اللعينة».

«لماذا تريدين الحصول عليها إلى هذه الدرجة؟» سألت روثي. «لا أظن أنك تعتقدين أنها حقيقية في الواقع، أليس كذلك؟»

ضحكت كانديس. «لا. ولكن يوجد الكثير من الناس الذين يعتقدون أنها كذلك. وهم على استعداد لدفع مبلغ كبير من المال. المال الذي سأدفعه بدوري لأفضل محامٍ يساعدني في استعادة ابني».

أومأت روثي برأسها. بات الأمر منطقياً الآن وأثار قلق روثي من هذه السيدة المضطربة التي ليس لديها ما تخسره. «إذن، تعتقدين حقاً أن أمي لديها صفحات المذكرات المفقودة هذه؟»

«نعم، أعتقد ذلك، على الرغم من أن والديك ادعيا دائماً أن الصفحات ضاعت في عطلة نهاية الأسبوع التي قُتل فيها تومي وبريجيت. لكنني كنت أنتظر بصبرٍ على مر السنين، وأنا على يقينٍ من أن الصفحات ستظهر يوماً ما أو أن والديك سيحاولان بيعها. وهو ما أعتقد أنه قد يحدث الآن. أعتقد أنه ربما، لسبب ما، قررت أمك أخيراً أن الوقت بات مناسباً. وربما باعتها للتو. من المحتمل أنها أخذت المال وهربت».

هزت فون رأسها. «من المستحيل أن تتركنا».

قالت روثي: «فون على حق». «لن تفعل ذلك. يمكنني أن أصدق أنها ستبيع الصفحات لو أنها بحوزتها، لكنني أعتقد أنها لو فعلت ذلك، فمن أجلنا». فكرت روثي في وعد والدتها لها بمساعدتها في دخول الكلية العام المقبل، فهل كانت هذه خطتها الكبيرة؟ أن تأخذ الشيء الوحيد ذا القيمة

مكتبة ياسمين

الذي تملكه وتبيعه حتى تتمكن روثي من الذهاب إلى الكلية التي تختارها؟

«ربما أنتِ على حق». أجابت كانديس. «أو ربما حاولت والدتك بيعها وحدث خطأ ما. يجب أن أعترف أنه عندما ظهرت في منزلي وأخبرتني أنها اختفت، كنت... متفاجئة»، قالت كانديس، وهي تنتف خصلة من شعرها. «كانت أليس ملتزمة جداً بالبقاء هنا، ورعايتك كطفلة لها. كلا والديك كان كذلك. لقد وعدتهما بأن أبقى بعيدة، وأن أدعكِ برعايتهما، وألا أخبركِ عن والديكِ الحقيقيين. جميعنا قررنا أن هذا هو الأفضل. لا يوجد مكان آخر تذهبين إليه. زوجي، أقصد زوجي السابق، رفض إطعام فمٍ إضافي، وأراد أن ينتهي كلّ شيء وحسب. لم يوافق قطّ على علاقتي الوثيقة مع تومي، فهمت ذلك الآن. وأراد جيمس وأليس البقاء هنا، ومراقبة التل والتأكد من أنه مهما كان ذلك المخلوق الذي يُعتقد أنه يعيش هناك، فإنه لن يؤذي أحداً مرةً أخرى. كانا محاصرين بهذه الأسطورة كلياً. أسطورة سارة والراقدين. لقد شعرا أنه قد تم اقتيادهما إلى هنا من قبل شيء يفوق إرادتهما».

فكرت روثي في جميع التحذيرات التي أعطاها إياها والداها على مر السنين: ابتعدي عن الغابة. الوضع خطير هناك.

هل كان ثمة ما يجري في تلك الغابة؟

تذكرت الشعور المريب بأن ثمة من يراقبها والذي يراودها في كثير من الأحيان هناك؛ وتذكرت العثور على والدها ميتاً والفأس مثبت في يديه؛ وحين حملها إلى أسفل التل عندما كانت طفلة صغيرة وهو يخبرها بأنه مجرد حلم سيء.

انقطعت أفكارها بسبب صوت تحطمِ قريب في

مكتبة ياسمين

الجزء الخلفي من المنزل. أخرجت كانديس مسدسها وقفزت بسرعة لدرجة أنها كادت تسقط الطاولة.

«من أين جاء الصوت؟» سألت كانديس بعيون جاحظة وخائفة. حملت المسدس في كلتا يديها، ووجهته نحو السقف.

أجابت روثي: «أعتقد أنه قادم من الحمام».

سارت كانديس خارج المطبخ، ثم استدارت ونظرت إلى الفتاتين اللتين ظلتا جالستين. «هيا». سنبقى معاً.

هرعوا إلى الحمام ووجدوا النافذة مكسورة والزجاج والثلج الذائب يغطي أرضية البلاط. كانت هناك قطرات من الدم متناثرة هنا وهناك. أمسكت فون بيد روثي بقوة، وكانت يدها الصغيرة ساخنة وقوية بشكل مدهش. في حين كانت ذراعها الأخرى ملفوفة بإحكام حول ميمي داخل البطانية، والمسدس مدسوس في الداخل.

همست كانديس: «ابقي خلفي». وتبعت الآثار وقطرات الدم من أسفل الردهة إلى غرفة المعيشة. أبقت روثي فون خلفها، وحاولت سماع أي صوت، لكنها لم تسمع سوى صوت قلبها يدق. على الرغم من كونها غير عقلانية، فإن إحدى الأفكار التي ظلت تشق طريقها إلى دماغها المتعب كانت: إنه الوحش. الوحش حقيقي، وهو هنا، في المنزل.

قالت كانديس وهي ترفع مسدسها: «توقف مكانك».

وقفت امرأة، منحنية عند طاولة القهوة، تمسك بيدها كاميرا النيكون التي وجدتها الفتاتان في حقيبة الظهر في وقت سابق. كانت طويلة ونحيلة وشاحبة للغاية، ترتدي بنطال جينز ملوث بالطلاء ومعطفاً فاخراً. تسرب الدم من القفاز الأسود الرقيق

مكتبة ياسمين

على يدها اليمنى.

«من أين حصلتم على هذه؟» سألت وهي تحمل الكاميرا. كان صوتها مكسوراً وجريحاً، وعيناها تملأهما الدموع. «من أين حصلتم على هذه؟»

مكتبة ياسمين

كاثرين

قالت المرأة الشقراء: «ضعي الكاميرا جانباً»، ووجهت مسدسها نحو كاثرين. وقفت الفتاتان خلفها خائفتين كما كانتا عندما رأتهما من خلال النافذة مع المرأة التي تحمل السلاح.

بمجرد أن رصدت الكيس والمحتويات المألوفة على طاولة القهوة، نسيت كلّ شيء آخر - المسدس، والفتيات التي كان من المفترض أن تنقذهما.

«هل تعرفان هذه المرأة؟» سألت المرأة الشقراء الفتاتين. «كلا!» قالت الفتاة الأكبر سناً. «لم أرها من قبل».

قالت الفتاة الأصغر، وهي تمسك دمية قماشية بالية بإحكام: «ربما تكون راقدة».

ما الذي يفترض بكاثرين أن تقوله الآن؟ كيف تفسر سبب وجودها هنا؟

ولكن لا. هن من عليهن تقديم تفسيرٍ الآن. كانت لديهن حقيبة ظهر غاري.

اسأليهن، همس غاري في أذنها. اسأليهن كيف حصلن عليها.

حملت كاميرا النيكون بإحكامٍ ولوّحت بها أمامهن. «كانت هذه لزوجي. إنها حقيبته».

أمرتها المرأة الشقراء، وهي تشير بمسدسها: «ضعي الكاميرا جانباً وابتعدي عن الحقيبة». «لن أكرر ما أقوله مجدداً».

قالت كاثرين للفتاتين وهي تضع الكاميرا على طاولة القهوة، بصوت متقطع ويائس: «كان اسم زوجي غاري». «هل تعرفانه؟ هل جاء إلى منزلكم؟» هزت كلتا الفتاتين رأسيهما نفياً.

قالت كاثرين بصوت مرتعش: «إنه ميت». «كان

مكتبة ياسمين

هنا، في ويست هول. ثم تعرض لحادث في طريقه إلى المنزل، إذ كانت الطرق متجمدة و...» لم تستطع الاستمرار، اختلطت أفكارها، وعاد شعور الألم والخسارة جديداً ونقياً مرة أخرى وهي تنظر إلى أشياء غاري.

قالت الفتاة الأكبر سناً: «أنا آسفة».

نظرت المرأة التي تحمل السلاح إلى الفتاة الأكبر سناً. «ما قصة الكاميرا يا روثي؟»

قالت: «لا أعرف فعلاً». «لقد عثرنا عليها للتو». «عثرتما عليها؟» سألت كاثرين.

أعربت المرأة التي تحمل المسدس عن استغرابها، وهزت رأسها. قالت: «يبدو أن هاتين الفتاتين موهوبتان في العثور على الأشياء التي تعود للموتى والمفقودين». «إذن أين عثرتما على الحقيبة، هل كانت في خزانة الردهة؟ حيث أخبرتني للتو أنه لا يوجد شيء سوى المحفظتين؟»

هزت روثي رأسها. «كانت في خزانة أمي. في الأعلى. لقد عثرنا عليها الليلة. لا أعرف لماذا تحتفظ بها أمي. حاولت تشغيل الكاميرا، لكنني لم أنجح بذلك».

أومأت كاثرين برأسها. «ربما نفدت البطارية».

«هل ستظل الصور مخزنة؟» سألت المرأة الشقراء. «هل يمكننا وضع بطاريات جديدة فيها للتحقق؟»

قالت كاثرين: «يمكننا توصيل الشاحن وإلقاء نظرة». «إذا لم يمحها أحد، فلا بد أن تحتوي آخر صورٍ التقطها».

آخر صور التقطها غاري. كانت يدا كاثرين ترتجفان. أومأت المرأة برأسها. «لنفعل ذلك. أعتقد أننا جميعاً لدينا فضول». وأبقت المسدس مصوباً نحو كاثرين.

مكتبة ياسمين

«سآخذ الحقيبة والكاميرا إلى المطبخ لأشحن البطارية. وبينما ننتظر، يمكنك أن تخبرينا من أنت وكيف بحق الجحيم اكتشفت أن كاميرا زوجك المتوفى ستكون في هذا المنزل». اعترفت كاثرين عندما جلسن حول الطاولة: «لست متأكدة من أين أبدأ». أمرت المرأة الشقراء الفتاة الأكبر سناً بإحضار القهوة لهن، وجلست مع مسدسها مصوباً نحو كاثرين. كان كلَ شيء غريباً للغاية، فكيف تحتجزهن تحت تهديد السلاح أثناء تقديم القهوة: «كريما أم سكر؟» سألت الفتاة المراهقة بأدب. شعرت وكأنها دخلت إلى مشهد من بعض أفلام الفن المنزلي، من النوع الذي ربما ذهبت هي وغاري لمشاهدته فيما مضى في الكلية.

أمرت المرأة: «من البداية».

قالت كاثرين وهي تأخذ نفساً وتحاول عدم التفكير في المسدس الموجه إلى صدرها: «حسناً». بدأت بإخبارها كيف قُتل غاري في حادث سيارة، وكيف حصلت على فاتورة البطاقة الائتمانية الأخيرة، وكيف قادها ذلك إلى ويست هول.

«إذن انتقلت حقاً إلى ويست هول لمجرد أن ذلك كان آخر مكان زاره غاري؟» سألت الفتاة الأكبر سناً، روثي، غير مصدقة. «أعني، لا أحد ينتقل إلى ويست هول. ليس طوعاً».

قالت المرأة الشقراء: «لا تقاطعيها»، ثم أشارت إلى كاثرين بالمسدس. قالت: «تابعي». «ولا تخف شيئاً. أنت لا تعرفين قطَ ما قد يكون مهماً».

أخبرتهن كاثرين عن العثور على كتاب زوار من الجانب الاخر داخل صندوق أدوات غاري، وأن لولو أخبرتها عن غداء غاري مع بائعة البيض.

«بائعة البيض؟» الان كانت الفتاة الصغيرة التي

مكتبة ياسمين

تحدثت وقد اتسعت عيناها بشكل واضح. «تقصدين والدتنا؟»

كانت محقة إذن. إنهما ابنتا بائعة البيض.

ولكن أين المرأة؟ وما صلتها بغاري؟

«أعتقد ذلك. لم تكن لولو تعرف أي شيء عنها، عدا أنها تبيع البيض كلَ يوم سبت في سوق المزارعين. ذهبت اليوم للبحث عنها، لكنها لم تكن هناك. ثم وجدت صوراً لمنزلكن في كتاب اشتريته من المكتبة».

«كتاب تاريخ المجتمع؟ قالت روثي: «يا إلهي، كانت أمي غاضبة جداً لأن صورتنا نشرت هناك». «حاولت إقناعهم بحذفها، لكنهم طبعوا مئات النسخ بالفعل».

تابعت كاثرين. «عندما رأيت تلك الصورة لكن في الحديقة، تساءلت عما إذا كانت السيدة ذات الشعر الرمادي هي بائعة البيض التي أبحث عنها، لذلك قررت أن أقود إلى هنا. أوقفت سيارتي بالقرب من الطريق ودخلت سيراً على الأقدام. رأيتكِ تحملين مسدساً في وجه هاتين الفتاتين»، قالت وهي تحدق في المرأة التي تحمل المسدس، «وعرفت أنَ علي أن أفعل شيئاً ما».

ضحكت المرأة. قالت: «لقد قمت بعمل رائع يا سيدة». حدقت الفتاتان في وجهها بعيون واسعة.. كانت كاثرين واثقة أنها رأت أثر خيبة أمل في نظراتهما. أنت؟ لقد كنت فرصتنا الأخيرة! وانظري إلى ما حصل.

«لكن لماذا سيقابل المصور، زوج هذه السيدة، أمي في مقهى لولو؟» سألت روثي. وفركت عينيها اللتين استحالت دوائر داكنة حولهما. «ولماذا تحتفظ أمي بحقيبته؟ هذا غير منطقي».

مكتبة ياسمين

أخبرتهن كاثرين: «كانت حقيبة ظهره معه عندما غادر المنزل في اليوم الذي قُتل فيه». «ولم تكن في السيارة بعد الحادث. سألت الشرطة والمسعفين، ولكن لم يتذكر أحد رؤيتها».

ساد الصمت. نظرن جميعاً إلى أكوابهن دون أن يمسسنها. أمسكت الفتاة الصغيرة دميتها الملفوفة بإحكام إلى صدرها.

«سنجد في الكاميرا سجلاً للصور التي التقطها؟» سألت المرأة التي تحمل السلاح.

شرحت كاثرين: «نعم». «لا بد أنها مخزنة هناك. إلا إذا قام شخص ما بمسحها».

قالت المرأة: «حسناً، دعينا نشغل الكاميرا ونتحقق منها».

«ما الذي تعتقدين أنه على هذه الكاميرا؟» سألت كاثرين. «لا أعلم. ربما دليل حول المكان الذي ذهبت إليه أليس واشبورن وما فعلته بالصفحات».

«الصفحات؟»

قالت روثي: «تعتقد كانديس أن أمي لديها صفحات مذكرات سارة هاريسون شي المفقودة». «التعليمات المكتوبة لكيفية إعادة الموتى إلى الحياة».

استبدلت كاثرين البطاريات المشحونة وشغلت الكاميرا. تجمعن حولها بينما كانت تتنقل في القائمة وتظهر الصور على شاشة الكاميرا.

قالت: «نحن محظوظات». «لم يحذفها أحد».

قامت بالنقر بسرعة على الصور المحفوظة. كانت هناك سلسلة من صورها جالسة على دراجة غاري النارية، وصورة أخذت في رحلة عطلة نهاية الأسبوع إلى أديرونداكس قبل أسبوعين من مقتله.

مكتبة ياسمين

كانت ترتدي بنطال جينز وسترة جلدية، وشعرها مسحوب في ذيل حصان، وبدت سعيدة للغاية تبتسم في وجه غاري وكاميرته. كانت تتمسك بالمقود وتظاهرت بأنها تركب والريح في وجهها، وتغني «ولدت لأكون برية». ضحك غاري وقال: «احذري. أنت تعرفين أنني معجب بفتيات سائقي الدراجات النارية».

كان هناك صورة لها أمام الكوخ الذي أقاما فيه، وأخرى بجانب متجر صغير على جانب الطريق توقفا عنده، حيث اشترى غاري صندوق الصور والأوراق وخاتم العظام الصغير مقابل سبعة دولارات. كتب على اللافتة: تحف وغرائب.

من أجل بدايات جديدة.

انتقلت كاثرين إلى الصور التالية: صور غامضة لصفحات مكتوبة بخط صغير وأنيق.

«ما هذا؟» سألت بصوتٍ عال.

نظرت روثي إلى الكاميرا. «إنه إدخال يوميات، على ما أعتقد».

«انتظري، يمكنني تكبير الصورة. انظرن، هناك تاريخ: 31 يناير 1908». كاثرين تفحصت الصفحة الأولى:

هناك مداخل، بوابات، بين هذا العالم وعالم الأرواح. أحد هذه المداخل هنا في ويست هول.

قالت روثي وهي تميل لإلقاء نظرة فاحصة: «يا إلهي». «أعتقد أنها من صفحات اليوميات المفقودة».

انتقلت كاثرين إلى الصورة التالية. قالت: «إنها خريطة من نوع ما». لقد رسمت بشكل بدائي، وأظهرت منزلاً وحقولاً وطريقاً عبر الغابة ينتهي بتلٍ

مكتبة ياسمين

ومنه إلى يد الشيطان. في جميع أنحاء يد الشيطان كان هناك نص صغير غير مقروء. أدناه، في النصف السفلي من الورقة، كان هناك رسم آخر: شبكة من الخطوط والدوائر التي يمكن أن تصور أي شيء - ممر مائي أو ممرات، ربما؟ وقد تميز هذا أيضاً برموز صغيرة يستحيل قراءتها.

قالت كانديس وهي تأخذ الكاميرا منها: «دعيني أرى». «إنها الخريطة التي توضح الطريق إلى البوابة! لا بد أنها كذلك. هل بوسعك تكبيرها؟»

هزت كاثرين رأسها. «هذا أكبر ما يمكن الحصول عليه من الكاميرا. إذا كان لديك جهاز كمبيوتر، فيمكننا تكبيرها، وحتى طباعة الصفحات». قالت فون: «ليس لدينا جهاز كمبيوتر». «أمي ترفض استخدامها».

«يا إلهي. بالطبع»، تمتمت كانديس. وحدقت في شاشة العرض. قالت كانديس: «لا أستطيع فهم الكتابة، ولكن يبدو أن البوابة في منطقة يد الشيطان. ولكن ما هذا في الأسفل؟»

«نوع من التكبير أو تفاصيل عن مكان البوابة الفعلية، ربما؟» قالت روثي.

«ما الصور الأخرى الموجودة هنا؟»

أظهرت لها كاثرين الزر الذي يستعرض الصور. قالت كانديس وهي تحدق في الشاشة: «يبدو أن هناك المزيد من صفحات اليوميات».

«انظرن إلى هذا! يوجد صورة للرسالة الأصلية التي كتبتها العمة سارة عن الراقدين. ولكن أين وجدها غاري؟» «هل تسمحين لي؟» سألت كاثرين، وأخذت الكاميرا مرة أخرى. استعرضت الصور. كانت العلبة المعدنية السوداء الصغيرة والصور الصفيحية في خلفية بعض الصور التي التقطها

مكتبة ياسمين

غاري لإدخالات اليوميات.

«قبل أسبوعين من مقتله، اشترى غاري صندوقاً من الأوراق والصور القديمة من متجر تحف في أديرونداكس. كان مهووساً بجمع الصور القديمة. أعتقد أنه صدف أن تكون صفحات اليوميات مختلطة مع الصور التي اشتراها يومها».

«وأنت لم ترها من قبل؟ لم يتحدث عنها أمامك؟» سألت روثي.

قالت كاثرين بشرود: «لا». «لكنه بدأ يتصرف بغرابة. وكأنه يخفي سراً ما. صار يخرج من المنزل كثيراً ويضع أعذاراً سخيفة عن وجهته. أظن...». انقطع صوتها. «كان لدينا طفل. أوستن. مات قبل عامين. كان في السادسة من عمره».

شبكت يديها. وأمسكت بالكاميرا، كاميرا غاري، بإحكام. تذكرت أن غاري كان يحضنها وهي تبكي ذات ليلة قائلاً: «كنت سأفعل أي شيء لاستعادته.

«سأبيع روحي، وأعقد صفقة مع الشيطان، ولكن لم نمنح فرصة من هذا القبيل يا كاثرين. لا يسير الكون على هذا النحو».

ماذا لو كان مخطئاً؟

تخيلت كاثرين ذلك، واكتشف غاري هذه الصفحات، وربما اعتقد أنها مجرد هراء في البداية. ولكن بعد ذلك، عندما تعمق أكثر في الأمر وأجرى أبحاثاً عن سارة هاريسون شي، ربما بدأ يتساءل، ماذا لو... ؟

هذا ما أوصله إلى فيرمونت. الفكرة، أو الأمل، بأنه ربما، فقط ربما، توجد طريقة لإعادة أوستن.

وبالطبع، أظهرت الصور التالية على الكاميرا بيت المزرعة والحظيرة والحقول. ثم الغابة. لقطات

مكتبة ياسمين

مقرَبة لمسار من أشجار التفاح القديمة الجافة والصخور البارزة نحو السماء.

قالت روثي: «لقد كان هنا». «هذه يد الشيطان. إنها فوق التل خلف منزلنا».

كان غاري هنا. زار هذا المكان في اليوم الأخير من حياته. قلبت صور الصخور بسرعة.

قالت كانديس: «انتظري». «ارجعي للخلف». عادت بالصور إلى الوراء.

قالت كانديس وهي تضرب بإصبعها على الشاشة على الجزء الخلفي من الكاميرا: «هناك». «كيف يبدو لكَ هذا؟»

حدقت كاثرين بالصورة. كانت صورة مقربة لإحدى الصخور الكبيرة التي تشكل إصبعاً من أصابع يد الشيطان. التقط غاري الصورة في إضاءة منخفضة، وكان من الصعب تحديد ما كانت تظهره.

قالت روثي: «يوجد شيء هناك» مشيرة إلى ما بدا أنه ثقب مربع على طول الحافة اليسرى للإصبع. وافقت كانديس: «إنها فتحة من نوع ما». «كهف، ربما؟»

تلك الخريطة في أسفل الصفحة، يمكن أن تكون أنفاقاً، أليس كذلك؟» قالت روثي وهي تقترب للحصول على نظرة أفضل: «لا يوجد كهف هناك». «ليس على حد علمي».

كانت المجموعة التالية المكونة من أربع صور عاتمة وغير واضحة.

«يا إلهي، هل نزل إليها؟» قالت كانديس. «هل هذا السبب في أن الصور مظلمة للغاية؟»

قالت كاثرين: «لا أدري». «كما قلت، يمكنني الاستفادة من جهاز الكمبيوتر وتحسينها حتى

مكتبة ياسمين

نتمكن من الحصول على مظهر أفضل». أعلنت كانديس: «لسنا بحاجة إلى جهاز كمبيوتر». «خطوتنا التالية واضحة جداً، أليس كذلك؟»

نظرن إليها جميعهن، ينتظرن. كانت لا تزال تحمل المسدس، ولكن موجهاً إلى جانبها.

«سندخل الغابة. إن كان هناك باب سري أو كهف أو شيء ما، يجب أن نتحقق من ذلك. من يدري، ربما نجد والدتك؛ أو ربما نجد فكرة عن مكان العثور عليها. وإذا استطعنا العثور عليها، هناك فرصة أنها لا تزال تحتفظ بجميع الصفحات المفقودة، وليس فقط تلك التي وجدناها أنا وتوم، بل ربما تلك التي وجدها غاري أيضاً. وبذلك نحصل جميعا على ما نريد، أليس كذلك؟ سأحصل على الصفحات، وربما تجدان والدتكما هناك، وستكتشف كاثرين ما فعله غاري هنا في ويست هول».

قالت روثي: «لا أعتقد -».

قاطعتها كانديس. «ليس لديك خيار. سنذهب معاً». احتجت روثي: «لكن أختي مريضة». «إنها مصابة بالحمى».

ألقت كانديس نظرة خاطفة على فون. «تبدو على ما يرام الآن. أنت بخير بما فيه الكفاية، أليس كذلك يا فون؟ ألا تودين الذهاب إلى الغابة لنرى ما إذا كان بإمكاننا العثور على والدتك؟»

أعطت الفتاة الصغيرة إيماءة متحمسة.

قالت كانديس، وهي تنظر مباشرة إلى روثي: «لن نترك أي شخص وراءنا».

أدركت كاثرين أن كانديس على حق، فالإجابات التي يسعين إليها جميعهن موجودة هناك، تحت تلك الصخور. استعرضت الصور الضبابية الأخيرة

مكتبة ياسمين

المخزنة على كاميرا غاري.

«إذن ما الذي ننتظره؟» صاحت كانديس، ورفعت المسدس لتذكيرهن أنها المسؤولة. «ليرتدي الجميع المعاطف والأحذية، هيا بنا! سنحتاج إلى مصابيح كهربائية، ومصابيح رأسية، أياً كان ما لديكن. ربما بعض الحبال. ورأيت بعض أحذية الثلج والزلاجات في الحظيرة، الثلج عميق جداً هناك. لنتحرك. وتذكرن، على الجميع البقاء حيث يمكنني رؤيته. لا مفاجآت وإلا بدأت بإطلاق النار».

وصلت كاثرين إلى الصورة النهائية. انحنت روثي نحوها مشيرة بيدها. يوجد شيء ما هناك.

كانت الصورة مظلمة وضبابية، ولكن تم التقاطها بالتأكيد في الخارج. كانت مركزة على الفتحة الصغيرة في الظلال تحت أحد صخور الأصابع.

ولكن هذه المرة، كان هناك شخص آخر في الصورة. شخص ما جثم في فتحة في الأرض تحت الصخرة.

«ما هذا بحق الجحيم؟» سألت كانديس، وهي تحدق. كان الشكل صغيراً وباهتاً حول الحواف.

قالت كاثرين: «عجباً، تبدو كأنها فتاة صغيرة».

مكتبة ياسمين

1908

زوار من الجانب الآخر

اليوميات السرية لسارة هاريسون شي

27 يناير 1908

«إلى أين أنت ذاهبة؟» سألني مارتن عندما وجدني أرتدي معطفي وحذائي هذا الصباح.

«سأخرج لأمشي قليلاً. أعتقد أن الهواء النقي سيفيدني بعض الشيء».

أعطاني شبه إيماءة صغيرة غريبة. بدا وكأنه خائف مني.

ربما أنا من يجب أن تخاف منه.

لم أتوقف عن التفكير في الملاحظة التي وجدناها على السرير:

اسأليه عما دفنه في الحقل.

كان مارتن يتصرف بغرابة منذ ذلك الحين، فهو يتجنب النظر في عيني ويبدو أنه يجفل مع كلَ صوت. الليلة الماضية، تقلب كثيراً في السرير، ثم استسلم أخيراً، ونزل إلى الأسفل للجلوس أمام النار قبل ساعات من الفجر. سمعته هناك، ينهض من وقت لاخر لرمي قطعة حطبٍ أخرى أو السير في جميع أنحاء الغرفة. وأخيراً، مع شروق الشمس، سمعته يطعم شيب ويقنع الكلب العجوز بالخروج إلى الحظيرة معه للقيام بالأعمال اليومية. بحثت في جميع أنحاء المنزل ألف مرة ولم أر أي علامة على وجود جيرتي، لذلك اعتقدت أنه من الأفضل أن أستأنف بحثي في الهواء الطلق. عرفت على الفور إلى أين أتجه، إلى مكان لم أزره مذ كنت طفلة صغيرة.

مكتبة ياسمين

ومع ذلك، كنت أعرف الطريق عن ظهر قلب.

كان الصباح صافياً وبارداً. أشرقت الشمس فوق الحقول والغابات، مما جعل تساقط الثلوج البراقة يلمع كما لو أن العالم تغطى بالماس بين عشية وضحاها. تخيلت جيرتي هناك في مكان ما، جوهرة متلألئة بحد ذاتها، تنتظر فقط من يعثر عليها.

ارتديت معطفي الصوفي القديم وشددته حولي بإحكام وشققت طريقي عبر الحقل وصولاً إلى الغابة على أحذية الثلج. تسلقت صعوداً عبر البستان وأشجاره المنحنية والمكسورة، وفوق الصخور والأشجار المتساقطة، واجتزت يد الشيطان، وعبرت الغابة إلى الشمال عبر ممرٍ صغير نمت فيه شجيرات العليق والشتلات التي تشق طريقها عبر طبقة الثلج الكثيفة. كان ذلك الطريق الذي لن يلاحظه أحد ولن يمر عبره كما اعتدت أنا، عدة مراتٍ في الأسبوع. يلتف هذا الطريق حول الغابة الكثيفة مثل الأفعى. صار النهار دافئاً. فككت الزر العلوي لمعطفي وتوقفت للراحة أراقب قطيعاً من العصافير متصالبة المناقير تستقر في شوكران قريب وتغرد بمرحٍ وهي تسحب البذور من المخاريط بمناقيرها المتداخلة الصغيرة المضحكة.

تابعت حتى وصلت أخيراً إلى الساحة الصغيرة التي بدت أصغر مما كانت عليه في ذاكرتي. وهناك، على الرغم من الثلوج الغزيرة وسنوات من تراكم الأشجار وشجيرات العليق والأعشاب الزاحفة، كان لا يزال بإمكاني تحديد الخطوط العريضة للبقايا المتفحمة لمبنى صغير على الأرض.

كوخ العمة.

سألني مارتن عن العمة مرةً بعد فترة وجيزة من زواجنا: «ألم تكن هناك امرأة عاشت معك عندما

مكتبة ياسمين

كنت صغيرة؟ ما الذي حدث لها؟ هل غرقت؟»

«أين سمعت هذا الكلام؟» سألته.

«من هنا وهناك، ومن الناس في البلدة. حتى أن والدي ذكرها ذات مرة وقال إنها تعيش في الغابة خلف منزلك. قال إن النساء اعتدن على صعود التل لشراء العلاجات منها».

«لقد كنت في تلك الغابة، مارتن. لا يوجد كوخ هناك»، أجبت وأنا أبتسم بلطف لسذاجته. «تلك الحكايات التي سمعتها ليست أكثر من قصص تروى. يحبّ أهل البلدة ابتكار القصص، أنت تعرف ذلك مثلي تماماً. كنت أعيش هناك مع أبي وكونستانس وجاكوب فقط ولم تكن هناك امرأة في الغابة».

علقت الكذبة في حلقي وخنقتني قبل أن أبتلعها.

لم يكن هناك امرأة في الغابة.

كما لو أن إنكار وجود العمة أمرٌ سهل.

لكن مارتن قبل ذلك بسهولة. لم يسأل عنها مرة أخرى. ركلت الثلج الذي عرفت أنه يغطي فحم منزلها القديم، وتذكرت كيف أبقت الباب الأمامي مطلياً بالأخضر لأن الأرواح الطيبة فقط هي التي تدخل من الباب الأخضر.

كما لو أنك تستطيع إبقاء الشر على منأى منك بهذه السهولة.

لم تكن فقط بقايا الخشب والمسامير والملابس والأواني والفرش التي أقف عليها الآن. ففي مكان ما من كلّ هذا كانت بقايا العمة. أي إن كان شيئاً قد بقي منها بعد كلَ هذه السنوات، وبعد الحيوانات والغربان والشتاء الذي لا نهاية له وما تلاه من فصول الصيف. هل بقي منها جمجمة، أو بضع أسنان؟ وما الذي كنت آمل أن أجده؟

مكتبة ياسمين

في الحقيقة، لقد صعدت التل دون أمل بالعثور على أي شيء على الإطلاق. لأن جزءاً مني كان قلقاً عندما وجد مارتن خاتمها القديم من أن تعود روحها مجدداً. ولم أستطع إلا أن أتخيل حجم غضب روحها ورغبتها بالانتقام.

ولعل رغبتها بالانتقام تكفي لإغراء فتاة صغيرة بدخول الغابة فتدفعها إلى أسفل البئر.

توفيت أمي بعد ساعات فقط من ولادتي. والعمة كانت القابلة التي ساعدت في إحضاري إلى هذا العالم. وكانت هناك أيضاً لإرشاد أمي إلى طريق الخروج منه.

كانت أختي، كونستانس، في الثانية عشرة من عمرها حينها. وأخي جاكوب في الثامنة. أخبروني لاحقاً أنّ والدتنا لم تكن مولعة بالعمة لكن أبي أصر على قبول مساعدتها.

«أنا لا أثق بها»، اعترفت أمي لكونستانس وجاكوب.

أخبر أبي إخوتي أن شكوك أمي لا أساس لها من الصحة.

قال لهما: «أمكما ضعيفة القدرة على المحاكمة. ساعدت العمة الكثير من النساء على ولادة أطفال أصحاء إلى هذا العالم، وستساعد والدتكما أيضاً». اعتقد الأب أنها بحاجة إلى كلِّ المساعدة الممكنة، ولاسيما أن هذا الحمل حدث في عمر متأخر حين كانت أمي في الأربعين تقريباً. صنعت العمة منشطاتها وشايها للمساعدة في الحمل والولادة. قال جاكوب مرةً أن أمي ظنّت أن عمتي تحاول تسميمها.

توسلت إلى طفليها قائلةً: «أرجوكما، عليكما مساعدتي. هذه المرأة تريد قتلي»..

مكتبة ياسمين

«لكن لماذا تريد ذلك، يا أمي؟» سألتها كونستانس. شاركت كونستانس اعتقاد والدي بأن الحمل أثر على والدتي بشكل سيء، مما جعلها مضطربة وحتى مجنونة قليلاً.

قالت أمي: «لديها أسبابها».

أطلقت أمي، التي كانت تتحدث الفرنسية بطلاقةٍ، اسماً خاصاً على العمة: La Sorcière أي الساحرة. عمتي كانت تتحدث الفرنسية أيضاً، واعتقد والدي أنه سيكون من المريح لأمي أن تحظى بشخصٍ يتحدث معها بلغتها الأم. لكن كونستانس وجاكوب قالا بأنه لم يدر الكثير من الحديث بينهما، ولم يعرفا وكذلك لم يعرف والدي ما الكلمات التي تتحدثان بها بنبراتٍ ساكنة، وأحياناً مشؤومة.

اعتدت أن أسأل عمتي عن أمي، ولاسيما الأسئلة التي لم أجرؤ على طرحها على والدي. ما لون عينيها؟ كيف كان صوتها؟ «قالت العمة إن لون عينيها كان بنياً مرصعاً بالذهب. وصوتها مثل تغريد القبرة». كانت هذه أهم مزايا العمة: تخبرك كلَ ما تريد أن تعرفه. ولم ترَ أنه من الضروري إخفاء الأشياء عن الأطفال. لقد عاملتني مثل تلميذة لديها، أو مثل ربيبتها، وفعلت كلَ ما في وسعها لتعليمي كيف أجمع الفطر، وأغرس الزرع وفقاً لدورات القمر، وأن أستخدم الزهور واللحاء لعلاج الحمى.

«كيف ماتت والدتي؟» سألتها ذات مرة. كنتُ في السابعة أو الثامنة من عمري. كنا نجلس معاً في كوخها تعلمني كيفية التطريز. كنت أصنع وسادة صغيرة مطرزة بزهرة أقحوان في وسطها. كانت النيران تشتعل في موقد العمة، وثمة قدر من لحم الغزال يغلي في الأعلى، وملأ الكوخ برائحة منزلية رائعة.

مكتبة ياسمين

قالت العمة ببرود: «نزفت حتى الموت». «في بعض الأحيان، بعد الولادة الصعبة، لا توجد طريقة لوقف نزف الدم».

في بعض الليالي، كنت أحلم بمولدي، وتأخري قليلاً في المجيء إلى هذا العالم وسط بحرٍ من الدماء، ويدا عمتي القوية ترفعانني نحو الأعلى.

كانت كونستانس مخطوبة في التاسعة عشرة، حيث وافقت على خاطبٍ لا تهتم لأمره كثيراً بيد أنها لم تعد تطيق الانتظار أكثر لمغادرة منزلنا.

لم تجرؤ على قول ذلك بصوت عالٍ، لكنني علمت أنها تكره العمة. كنت أرى الطريقة التي تحدق بها في العمة، والابتسامات الكاذبة التي اختلقتها عندما يكون أبي في الجوار. سمعتها أحياناً تستخدم الاسم الذي استخدمته والدتي: « La Sorcière الساحرة».

في حين أن جاكوب كان يجلُّ العمة». لقد فعل المستحيل لإرضائها، وبذل قصارى جهده لقضاء الوقت معها. علمتنا عمتي كيف نصطاد ونحضر الفخاخ، وكيف نسلخ أي حيوان وندبغ الجلد. اعتاد جاكوب على ذلك، وصنع الأشراك والفخاخ، ونحت قوس الصيد والسهام، متلهفاً دائماً للحصول على موافقة العمة.

«هكذا يا عمتي؟» سأل، وهو يزلق رأس سهم حجري في عمود مستقيم صنعه من غصن زان.

قالت وهي تربت على كتفه: «مثالي». «هذا السهم سيطير مباشرة إلى قلب ظبي».

فطار قلب جاكوب فرحاً.

لقد أحبت كلينا كما يحب المرء أطفاله.

كانت أخت والدتي، برودنس، لا تزال على قيد

مكتبة ياسمين

الحياة في ذلك الوقت وتأتي لزيارتنا بشكل منتظم، وغالباً ما تجلب الهدايا: فساتين جديدة لي ولكونستانس، وسراويلاً ومعطفاً رائعاً لجاكوب. وهي من أثارت الضجة بشأن العمة. كانت تجلس مع أبي في المطبخ، ويتحدثان مع فنجان القهوة. كنت أجلس القرفصاء في الردهة وأنصت، لكنني لم أسمع سوى مقتطفات مما تقوله لوالدي: «غير محترمة». «لا يجوز السماح لهذا الوضع بأن يستمر». «ساحرة وثنية قذرة».

وكانت برودنس هي التي أرسلت القس أيرز وبعض الرجال من البلدة لزيارة والدي بعد سنوات من أحكامها القاسية وتهديداتها التي لم تفعل شيئاً يذكر لتغيير رأي والدي. لا أعرف ما الذي دفعها أخيراً للاتصال بالرجال، أو كيف أقنعتهم بالقدوم، لكنني أتذكر وصولهم المشؤوم. كان ذلك وسط قيظ يوليو، بعد أشهر فقط من رؤيتي لـ هيستر جيمسون بجانب يد الشيطان.

قال أبي عندما فتح الباب: «أيها القس، ما الذي جاء بك إلى هنا؟» نظر إلى ما وراء القس آيرس ورأى الرجال الآخرين: آيب كوشينغ؛ وكارل جونيا، صاحب النزل؛ وبن ديموك، رئيس العمال في المطحنة؛ والعجوز تاديوس بيمسي، زعيم عائلة بيمسي الضخمة.

قال القس آيرز: «لقد جئنا للتحدث معك».

أومأ والدي برأسه وفتح الباب. «تفضلوا الى غرفة المعيشة. سارة؟ اذهبي إلى المطبخ واحضري الشراب وبعض الكؤوس، لو سمحت».

جلسوا في غرفة المعيشة في دائرة من الكراسي حول المدفأة. أخرج بعض الرجال الغلايين ودخنوا. قدمت لهم الشراب. ولم ينطق أي منهم بحرف.

مكتبة ياسمين

قال والدي: «شكراً سارة». «اخرجي أنت وجاكوب. اخرجا وتابعا أعمالكما في الحظيرة. وعندما تنتهيان من ذلك عليكما تجميع الحطب».

قلت «حاضر سيدي».

وانطلقت مع أخي إلى الحظيرة لنقوم بأعمالنا. سار جاكوب ذهاباً وإياباً أمام أكشاك الخيول، وهو يفرك يديه.

«ما الذي يجري هناك برأيك؟» سألته.

«عمتي. سيحاولون إجباره على إبعادها».

«لا يمكنهم إجباره». صرخت. «بأيَ حقَ يطلبون هذا؟». «يعتمد أبي على الناس في البلدة. يشترون منه الخضروات والحليب والبيض. هؤلاء الرجال، لديهم السلطة». قلت باستهزاء. «إن سلطة العمة أعظم».

عندما خرجَ الرجال أخيراً من المنزل، بدا وجه والدي شاحباً ومرتعشاً. لم ينطق بالكثير. صب لنفسه كوباً آخر من الشراب، ابتلعه برشفتين كبيرتين. ثم تناول كوباً ثالثاً.

عندما جاءت العمة لاحقاً تحمل أرانب سلخت جلدها مؤخراً لصنع الحساء للعشاء، التقى بها الأب في الخارج. لم يدخلا، بل تحدثا بصوتٍ منخفض. ولكن سرعان ما ارتفعت أصواتهما.

«كيف تجرؤ». صاحت عمتي.

في نهاية المطاف، عاد أبي إلى المنزل. قال لها قبل أن يغلق الباب ويقفله: «أنا آسف». جلسنا ثلاثتنا في غرفة المعيشة نستمع إلى العمة.

«آسف؟ أنت آسف؟ افتح الباب. لم ننته بعد».

نهضت من مقعدي لفتح الباب، لكن أبي سحبني من يدي ومنعني وظلَت أصابعه تحفر في ذراعي.

مكتبة ياسمين

عض جاكوب شفتيه وحدق في الأرض والدموع في عينيه.

«كيف تجرؤ». صرخت العمة وهي تراقبنا من خلال النافذة بجانب الباب. كان وجهها جاداً وغاضباً كما لم أره من قبل. «كيف تجرؤ على تجاهلي؟ ستدفع ثمن هذا، جوزيف هاريسون». «أعدك بأنك ستدفع الثمن».

في وقت لاحق من تلك الليلة، بعد أن نام الأب مع زجاجة الشراب الفارغة في حضنه، تسلل جاكوب إلى غرفتي. قال لي: «سأتحدث إليها». «سأجد طريقة لعودتها». اليأس الشرس في عينيه جعلني فجأة أفهم مدى عمق حبه لها، ومدى حاجته لها. نحن جميعاً بحاجة لها. لم أصدق أن عائلتنا يمكن أن تستمر من دونها.

سهرت طوال الليل في سريري أنتظر عودة جاكوب. ولكن في نهاية المطاف، تعبت عيناي للغاية.

استيقظت على أبي يهزني. وضوء الفجر يتدفق من خلال النافذة. كانت رائحة الشراب تفوح من أبي والدموع تسيل على خديه. قال: «إنه جاكوب».

«ماذا؟» سألته وأنا أقفز من السرير. لم يجب، لكنني تبعته خارج غرفتي، أسفل الدرج، وخارج الباب. سرت بأقدامي العارية فوق العشب الرطب المبلل بالندى. مشيت في ظل الأب طوال الطريق إلى الحظيرة، مرعوبة.

كان جاكوب معلقاً من إحدى العوارض، وحبل قنب خشن ملفوف بدقةٍ حول عنقه.

قطعه أبي وأمسكه بين ذراعيه وهو ينتحب. وعندئذٍ، وسط صدمتي وحزني، فعلت الشيء الذي سأتساءل دوماً إن كنت قد أخطأت بفعله، لقد

مكتبة ياسمين

أخبرته الحقيقة.

قلت له: «لقد خرج لرؤية العمة الليلة الماضية». اكفهرت عينا الأب وسط عاصفة من الغضب المتدفق.

حمل جثة جاكوب إلى المنزل ووضعه في سريره كما لو كان جاكوب طفلاً صغيراً مرة أخرى.

ثم جلب أبي مسدسه وعلبة من الكيروسين.

تبعته عبر الفناء والحقل إلى الغابة. قال بغضبٍ دون أن يلتفت نحوي: «عودي». لكنني لم أصغ.

مشيت وراءه تاركةً مسافةً بيننا. عبرنا البستان، والأشجار المثقلة بثمار التفاح والكمثرى غير الناضجة والمشوهة والملوثة بالآفات. وكانت قد سقطت بعض الثمار وتعفنت على الأرض، فجذبت الدبابير إلى حلاوتها. ووجدنا الذباب الأسود خلف يد الشيطان يحتشد في سحاباتٍ صغيرة. وقفزت الضفادع هنا وهناك، حبرية وسامة. انحنى المسار وانعطف متجهاً نحو الأسفل.

وصل الأب إلى كوخ العمة أولاً، منزل صغير قديم بنته بنفسها من جذوع الأشجار المقطوعة يدوياً. كان الدخان ينبعث من مدخنتها المعدنية. لم يطرق الأب الباب أو يصرخ، بل ببساطة فتح الباب، ودخل، وأغلقه. جثوت خلف شجرة، أنتظر، وقلبي ينبض بسرعة مثل الطائر الطنان.

كان هناك صراخ، وصوت شيء يرمى. وصوت تحطم نافذة. ثم طلقة نارية واحدة.

خرج الأب من باب العمة الأخضر، حاملاً علبة الكيروسين. استدار، وأشعل عود ثقاب، ورماه فوق العتبة.

«لا». صحت وقفزت من مكاني.

مكتبة ياسمين

ثارت النيران وزأرت. كانت الحرارة شديدة لدرجة أنني اضطررت إلى العودة.

«عمتي». صرخت وحدقت في اللهب أبحث عن أي علامة على الحركة. ولم أجد شيئاً. ولكن فجأةً من وراء هدير النار، سمعت صوتاً. كانت العمة تنادي باسمي.

«سارة». «سارة». اندفعت نحو الكوخ، لكن أبي لف ذراعيه حولي وضمني إليه وجعل رأسي قريباً بما فيه الكفاية من صدره حتى أتمكن من سماع دقات قلبه.

تساقط السخام الأسود فوق رؤوسنا، وغطى شعري ومنامتي وقميص أبي.

أخيراً، عندما بات من الواضح أنه لم يعد بوسعي إنقاذ أحد، حررني من قبضته فسقطت على الأرض. تقدم أبي من النار ووقف قريباً جداً من اللهب الذي سرعان ما سبب بثوراً على وجهه وذراعيه. واحترق حاجباه. وقف هناك يحدق في النار وينتحب ويبكي مثل رجلٍ فقد كلَ شيء.

سمعت خلفنا صوت طقطقة الأغصان. رفعت رأسي، التفت، ورأيت باكشوت مغطى بالرماد. نظر إلي وعيناه الشبحيتان تتحركان بلا فائدة في محجرهما.

ناديته: «باكشوت». «تعال». لكن الكلب أصدر شخيراً مثيراً للسخرية وانسحب إلى الغابة.

مكتبة ياسين

مارتن

28 يناير 1908

كان مارتن بطيئاً في النهوض من الفراش، خائفاً مما يخبئه له اليوم. أمضت سارة اليومين الماضيين في تفتيش المنزل والغابة، وبالكاد نامت، وكانت محمومة بشكل غريب.

«هل فقدت شيئاً؟» سألها مارتن صباح أمس، عندما تفقدت خزانة الردهة لأكثر من عشرين مرة.

قالت له: «ربما».

بعد ظهر الأمس، ذهب مارتن إلى البلدة مرة أخرى للتحدث مع لوشيوس. أصر لوشيوس على اصطحاب مارتن لتناول مشروب في النزل. جلسا في الحانة، وقدم كارل جونيا لكل منهم كأس جعة. قال كارل وهو يصافحه بحرارة: «تسرني رؤيتك يا مارتن».

«كيف حال سارة؟»

قال مارتن مع ابتسامة ضيقة: «بخير». «إنها بخير، شكراً لك».

«ما تمرّ به فظيع، من المؤلم فقدان طفل على هذا النحو. قلبي معكما».

قال مارتن وهو ينظر إلى جعته: «شكراً لك». حيّاه كارل وذهب للاهتمام بشيء ما في الغرفة الخلفية.

رشف مارتن مشروبه وألقى نظرة في أرجاء المكان. كانت منطقة صالة الطعام والحانة كبيرة ومجهزة بخشب داكن. استطاع مارتن أن يرى انعكاس صورته في المنضدة المصقولة. تحتوي النوافذ المواجهة للشارع الرئيسي على ألواح زجاجية ملونة في الأعلى ترسل أشعة من الضوء الملون تومض على الأرضية الخشبية المصقولة.

مكتبة ياسين

كان هناك نصف دزينة من الطاولات المغطاة بأقمشة بيضاء وأدوات فضية، لكن الوقت كان بين الغداء والعشاء، لذلك لم يكن هناك أحد يأكل. كان مارتن ولوشيوس الوحيدين في الحانة. في خلفية الحانة تصطف زجاجات الشراب على الرفوف في انتظار نهاية اليوم عندما يأتي رجال لديهم أموال أكثر من مارتن ليشربوا منها. قال لوشيوس: «أخبرني يا أخي». «أخبرني بالحقيقة بشأن سارة».

انحنى مارتن للأمام وحدّث لوشيوس عن أحوال سارة. كان يتحدث بصوت خفيض، ويراقب كارل.

لم يعرف ماذا سيفعل من دون لوشيوس. كان لوشيوس الشخص الوحيد إلى جانب سارة الذي يثق به مارتن، والآن بعد أن شعر أنه يفقد سارة، كان لوشيوس كلَّ ما لديه. ولوشيوس صبورٌ جداً وحكيم جداً. لقد منح مارتن القوة، وفي كثير من الأحيان، على الرغم من أن سارة لم تكن تعرف ذلك، فقد أقرض مارتن المال أيضاً. القليل فقط بين الفينة والأخرى، لمساعدته خلال أحلك الأوقات. عرف مارتن أن لوشيوس سيعطيهما المزيد، وقد عرض عليه المال أكثر من مرة، لكن مارتن لم يشعر أن من المناسب أخذ أموال أخيه.

على الرغم من أن لوشيوس وافق على أن خروج سارة من السرير وتناول الطعام مرة أخرى علامة جيدة، لكنه قال إنه قلق من أنها لا تزال تعاني من التفكير الوهمي.

أوضح مارتن: «لقد وجدتها في الغابة تنادي جيرتي كما لو كانت تعتقد أن جيرتي لا تزال هناك، ضائعة».

أومأ لوشيوس برأسه. «راقبها عن كثب، مارتن. إنَّ شخصاً لديه تاريخ سارة، وأصيب بنوبات الجنون من قبل، لهو عرضة للانزلاق إلى الحضيض مرة

مكتبة ياسمين

أخرى. وربما تصبح خطرةً حتى. يجب أن نستعد لإدخالها إلى المستشفى الحكومي إذا بدا ذلك ضرورياً».

ارتجف مارتن من فكرة أن تصبح سارة خطرة.

الآن، وقد نهض من السرير وارتدى ملابسه أخيراً، هبط مارتن الدرج ووجد سارة في المطبخ تعد وعاءً طازجاً من القهوة. بدت أنحف من ذي قبل، والهالات السوداء حول عينيها أكثر وضوحاً. هل أوت إلى الفراش ليلة أمس حتى؟ انتاب مارتن شعور بأنها كانت هناك في الأسفل تنتظره طوال الليل.

«صباح الخير»، تمتم، وهو يستعد لأي شيء قد يأتي بعد ذلك.

«هل تعرف أين المجرفة؟» سألت سارة. «لم أتمكن من العثور عليها في الحظيرة».

قال مارتن وهو يسكب لنفسه كوباً من القهوة وينظر إليها من خلال البخار: «إنها هناك، مع الأدوات الأخرى». «ولكن الثلج خفيف ولا يحتاج إلى التجريف بعد».

بالإضافة إلى أن هذه كانت وظيفته. هل كانت تحاول إزعاجه؟ أم تسخر منه؟

«أوه، أنا لن أجرف الثلج». ارتسمت نظرة فضولية على وجهها مثل طفل ينوي على مصيبة.

رشف مارتن بلعة من القهوة المرة. «لماذا تحتاجين إلى المجرفة إذن؟»

«للحفر». وصمتت بانتظار ردَ فعل مارتن.

لم يرغب بسؤالها، ولم يرغب بمعرفة السبب، لكن الكلمات تدفقت منه. «حفر ماذا؟»

«سأحفر لاستخراج جثة جيرتي».

رمى القهوة من يده وأحرق صدره.

مكتبة ياسمين

«ستحفرين...». بدا صوته مهزوزاً وغريباً على أذنيه.

ابتسمت سارة بسذاجة. قالت: «تركت لي جيرتي رسالة أخرى»، وسحبت قطعة ورق مطوية من مئزرها وسلمتها لمارتن. فتحها ووجد كتابة طفولية فوضوية تقول:

انظري في جيب الفستان الذي كنت أرتديه.

ستجدين شيئاً يخصّ الشخص الذي قتلني.

ابتلع لعابه بقوة، ولكن العقدة في حلقه ظلّت هناك.

تذكر منظر جيرتي في قاع البئر، مرتدية معطفها الصوفي والفستان الأزرق. وجوارب من الصوف الثقيل تغلف ساقيها.

عندما سحبوها من البئر، لاحظ أن شعرها مقصوص. لم يلاحظ أحد ذلك سوى مارتن. مارتن، الذي حمل خصلة من الشعر ملفوفة في جيب معطفه، ودفنها في الثلج.

«لكن جيرتي لم تُقتل، سارة. بل سقطت». حاول أن يبقي صوته هادئاً؛ وكأنه يطالبها بالإصغاء لصوت العقل.

ولكن ألم يتساءل جزء منه طوال الوقت إن كان موتها حادثاً بالفعل؟ من قصّ شعر جيرتي؟ من علقه في الحظيرة؟

ابتسمت سارة وحسب. «لقد دفنا جيرتي في الفستان الذي كانت ترتديه عندما وجدوها في البئر. يجب أن أفعل هذا يا مارتن. أريد أن أتأكد. أريد أن أعرف ما إذا كانت لها».

«لها؟ من؟»

«عمتي. على الرغم من أن العمة توفيت منذ فترة طويلة... لكن روح العمة حية. أريد أن أعرف ما إذا

مكتبة ياسين

كانت قد قتلت ابنتنا الصغيرة».

«هل تعتقدين أن جيرتي قُتلت من قبل روح؟»

«لا أدري». قالت بحدة. «لهذا السبب يجب أن نحفر قبرها. فهمت؟»

نظرت إليه مطولاً بقسوة، في انتظار الرد. «فهمت مارتن؟ ألا تودَ معرفة الحقيقة؟» ظلَ صامتاً.

دفن جثمان جيرتي في مقبرة العائلة الصغيرة خلف المنزل. بجانب والدي سارة وشقيقها جاكوب، وشقيق جيرتي الرضيع الصغير.

«سارة، جيرتي تحت الأرض منذ أسبوعين الآن. هل فكرت في حالة جسدها؟» كان من المخيف تخيل ذلك، وشعر بالقسوة لذكره، لكن كان عليه أن يجد طريقة لإيقافها.

أومأت برأسها. «إنها مجرد جثة. وعاء فارغ. الفتاة الصغيرة التي أحبها لا تزال هناك في العالم الاخر».

أخذ مارتن نفساً عميقاً.

اهدأ. اهدأ.

شعر بوجهه وأذنيه يلتهبان، وقلبه يدق بعنفٍ في صدره.

تذكر رؤية سارة تخرج من الحظيرة في اليوم الذي اختفت فيه جيرتي. وكيف ذهب إلى هناك بعد ذلك مباشرة ووجد أن ذيل الثعلب قد اختفى والشعر معلق في مكانه.

تكشفت في ذهنه احتمالية رهيبة، وهو أمر لن يسمح لنفسه بالتفكير فيه، حتى الآن.

هل يمكن أن تكون سارة هي من قتلت جيرتي؟

ربما أصبحت أكثر خطورة الان.

نظر إلى الملاحظة المكتوبة بخط يد طفولي. حاول أن يتذكر خط ابنته، لكنه لم يستطع

مكتبة ياسمين

استحضاره تماماً. في نظره، كانت الملاحظة التي عرضتها سارة تبدو مثل كتابة شخص بالغ يحاول الكتابة مثل طفل.

هل كانت هذه طريقة سارة للاعتراف؟ هل عرفت أن هناك شيئاً يخصها مدسوساً في جيب فستان المسكينة جيرتي؟

شعر أن الغرفة تدور به قليلاً، فأمسك مارتن بالطاولة للحفاظ على توازنه.

نظر إلى سارة، الجميلة سارة، وأراد أن يبكي ويصرخ ويتوسل إليها ألا تتركه، ويتوسل إليها أن تحارب الجنون الذي يولد داخلها.

تذكر عندما أعطاها كرة جوبيتر الرخامية التي فاز به للتو من لوشيوس عندما كانوا أطفالاً. كم كانت متألقة يومها بجمالها لدرجة أنه أعطاها إياها دون تفكير حتى؛ كان سيعطيها أي شيء آنذاك، تماما كما يود أن يفعل الآن.

كانت سارة أعظم مغامراته، أخذه حبه لها إلى أماكن لم يحلم أبداً بالذهاب إليها.

قالت سارة بجسدٍ جامد ومستعد للقتال: «إذا لم تساعدني، سأفعل ذلك بمفردي».

تنهد وهو يعلم أنه سيخسر. لقد انتهى النقاش. «لكننا سنقوم بذلك على النحو الصحيح. سأذهب إلى البلدة لأحضر لوشيوس. يجب أن يكون هنا، ألا تعتقدين ذلك؟»

أومأت سارة برأسها. «وعمدة البلدة أيضاً. أحضر العمدة».

«بالتأكيد»، وعدها ونهض ليرتدي معطفه والقبعة. «اجلسي وانتظريني. لا يجوز أن تفعل الأم شيئاً كهذا بمفردها. سنهتم بالأمر عندما أعود. سنهتم بكل

مكتبة ياسمين

شيء».

انحنى وقبّل خديها. شعر بها محمومة وجافة وذابلة، لا تشبه البشرة الطبيعية على الإطلاق.

مكتبة ياسمين

زوار من الجانب الآخر

اليوميات السرية لسارة هاريسون شي

31 يناير 1908

على مدى الأيام الثلاثة الماضية، كنت سجينة في منزلي. لقد كان مشهداً رائعاً عندما عاد مارتن ولوشيوس من البلدة ووجداني أنتظر مع المجرفة فوق قبر جيرتي. كان الهواء بارداً جداً. كانت أصابع يدي وقدمي مخدرةً من الوقوف في الخارج والانتظار. ومع ذلك، أمسكت بالمجرفة بقوة عندما نزل الرجلان من عربة لوشيوس واقتربوا. كنت أقف فوق المكان الذي دفناها فيه، والصليب الخشبي الذي نقش عليه اسم جيرتي يضايقني، ويسخر مني.

«ماذا تفعلين يا سارة؟» سأل لوشيوس بصوت منخفض ومهدئ، كما لو كان يتحدث إلى طفل صغير.

شرحت له الموقف بهدوء قدر استطاعتي. أخبرته عن الملاحظة، والدليل الحاسم في جيب جيرتي. سيفهمني بالتأكيد.

قال لوشيوس وهو يتحرك نحوي: «ضعي المجرفة أرضاً يا سارة». «علينا إخراجها»، كررت.

«لن نفعل ذلك، سارة». اقترب أكثر. أدركت أنه ينوي منعي. لذا فعلت الشيء الوحيد الذي استطعت التفكير فيه، رفعت المجرفة وأرجحتها.

قفز لوشيوس إلى الوراء؛ لكن المجرفة خدشت معطفه. قفز مارتن فوقي وسحب المجرفة من يدي.

تعاون الرجلان معاً على حملي إلى الداخل.

«علينا رؤية ما في جيبها». صرخت. «ألا تهتمان إن

مكتبة ياسمين

كانت ابنتنا قد قتلت؟»

مزق لوشيوس الملاءة وربط ذراعي وساقي على أعمدة السرير. قيدني مثل امرأة مجنونة. وسمح له مارتن بذلك بل وساعده.

قال لوشيوس إنني أعاني من الكآبة الحادة. وأوضح أن وفاة جيرتي فاقت طاقتي على التحمل وسببت لي فقدان الاتصال مع الواقع. قال إنني في هذه الحالة خطر على نفسي وعلى الآخرين. عضضت لساني حتى نزف دماً، وأدركت أنني إذا تجادلت معه، سيكون ذلك علامة أخرى على جنوني المفترض.

«وهذه الأفكار عن زيارة جيرتي لها وترك ملاحظات؟» سأل مارتن، وهو يمرر يديه عبر شعره.

«هلوسات. الجزء المريض من عقلها أجبرها على كتابة الملاحظات كما لو أنها تحاول إقناع نفسها. ما تحتاجه هو الراحة. اهدأ. ولا يجوز أن تحصل على أي تشجيع يوحي لها بأن هذه الأوهام حقيقية. بصراحة، مارتن، أعتقد أن أفضل مكان لها في هذه المرحلة هو مستشفى الولاية».

سحب مارتن شقيقه لوشيوس إلى الردهة، وتحدث معه بصوت ضعيف. «من فضلك»، سمعته يقول. «لننتظر قليلاً. ربما تعافت قريباً. لا يزال لديها فرصة».

وافق لوشيوس ولكن شرط أن أبقى تحت عينه اليقظة. وصار يأتي في كثير من الأحيان للاطمئنان علي وحقني بأدويةٍ تجعلني أرغب في النوم طوال اليوم. ويأتي مارتن ويطعمني الحساء وصلصة التفاح.

«سوف تتحسنين، سارة. يجب أن تتحسني. استريحي الآن».

مكتبة ياسمين

فعلت ما بوسعي لأبقى صاحية. وعرفت أن علي بذل جهد أكبر. أدركت أنني لو استسلمت للنوم فقد أفوت لقاء جيرتي إذا اختارت أن تعود.

اليوم هو اليوم السابع منذ استيقاظها. لم يتبق سوى ساعات قبل أن تختفي إلى الأبد. أرجوك، أرجوك، أتوسل إليك، دعها تعود إليَ!

«كيف تشعرين؟» سألني لوشيوس عندما جاء لزيارتي. قلت له: «أفضل». «أفضل كثيراً». ثم أغمضت عيني وغفوت.

بعد ظهر ذلك اليوم، فك وثاقي من السرير.

قال: «أنت فتاة جيدة، الآن، ولست بحاجة للقيود».

وتوقع مني أن أبقى في غرفتي. ليس مسموحاً لي أن أحظى برفقة. جاءت أميليا لزيارتي، لكن مارتن لم يسمح لها بالصعود. يقول لوشيوس إن الأمر قد يثير أعصابي. وحذر مارتن من أنني إذا لم أظهر تحسناً وواصلت الإصرار على أن زيارات جرتي حقيقية، سيطلب إرسالي إلى مستشفى الولاية للمجانين.

«لا مزيد من الحديث عن رسائل من الموتى. أو مقتل جيرتي»، يقول مارتن.

أومئ برأسي كزوجة صالحة مطيعة. زوجة على هيئة دمية متحركة. قال مارتن: «ولا مزيد من الكتابة في تلك اليوميات». «أعطني إياها».

لذا أعطيته دفتري وقلمي. لحسن الحظ، كنت قد توقعت هذا واحتفظت بدفتر يومياتٍ قديمٍ مليء بالتفاصيل التافهة لحياتي من قبل، مثل وصفةٍ لصنع كعكة الباوند أو حضور عشاء الكنيسة. لم يفكر مارتن حتى في النظر إليه، ورماه في النار

مكتبة ياسمين

أمام عيني. أبديت له مدى انزعاجي، لكن مارتن بدا سعيداً جداً من نفسه لأداء هذا العمل البطولي للمساعدة في إنقاذ زوجته المجنونة. ولكن كان هناك شيء غريب بشأنه في الوقت نفسه. ففي الأيام القليلة الماضية، لمحت شيئاً لدى مارتن لم أره من قبل، شعور غامرٌ باليأس. والذعر. شعرت أنه يحاول بجدٍ وإصرار، ليس لإنقاذي وحسب، بل لإبعادي عن الحقيقة.

ما الذي لا يريدني أن أعرفه؟

هل هذا التفكير وهمي، كما يدعي مارتن ولوشيوس، أم أنني الوحيدة التي ترى الأمور بوضوح؟

لقد خبأت الأوراق واليوميات التي تحتوي جميع ملاحظاتي ومذكراتي منذ وفاة جيرتي في مكانٍ آمن. لدي أفضلية واضحة على مارتن: لقد نشأت في هذا المنزل. وخلال طفولتي، اكتشفت وأنشأت العشرات من أماكن الاختباء عن طريق فك الطوب والألواح الأرضية، وصنع حجرات سرية خلف الجدران. وبعض أماكن الاختباء هذه يعجز أي شخصٍ عن إيجاد مكانها على الإطلاق. لقد أخفيت كلَّ كتاباتي بإتقانٍ ووزعتها بين العديد من المنافذ المخفية على نحو يمنعه من العثور عليها حتى لو أتيحت له الفرصة لاكتشاف المكان. والآن أكتب فقط عندما يكون في الحقول، عين على مارتن من النافذة، وعين على يومياتي.

حدث شيء مذهل! تظاهرت هذا المساء بالنوم سريعاً عندما عاد مارتن. فسمعته يهبط الدرج، يرتدي معطفه ويخرج من الباب الأمامي. كان الظلام قد حل للتو، وغرفة النوم مليئة بالظلال الطويلة؛ وبالكاد يمكنني تمييز السرير والخزانة

مكتبة ياسمين

والطاولة. تخيلت أنه ذهب لإطعام الحيوانات وإغلاق باب الحظيرة عليها في الليل.

سمعت صوت كشطٍ قادمٍ من الخزانة. استدرت وحبست أنفاسي وانتظرت.

هل يعقل؟ هل عادت فتاتي الحبيبة؟ «جيرتي؟» ناديتها وأنا جالسة في السرير.

ببطءٍ، فتح باب الخزانة مصدراً صريراً، ومن عمق الظلام الدامس لمحت حركة. ومضة من وجه شاحب ويدأ تتحرك أعمق في الظلال.

قلت لها: «لا تخافي يا عزيزتي». «اخرجي أرجوكِ». استغرق الأمر كلَ إرادتي للبقاء حيث كنت، بدل القفز من سريري والركض إليها.

سمعت المزيد من الخشخشة، ثم صوت خطوات هادئة لأقدام حافية تسير على طول الأرضية الخشبية حيث انتقلت من الخزانة إلى الغرفة.

تحركت ببطء شديد مع وقفاتٍ صغيرة وأصدرت فواقاً يشبه صوت المحرك البخاري. لمع شعرها الذهبي في الظلام. وبدا تنفسها سريعاً و هشاً. ثم عبقت تلك الرائحة التي ذكرتني بحادثة جرت قبل سنواتٍ في الغابة مع هيستر جيمسون: رائحة الدهون المحترقة.

كنت على وشك الإغماء من الفرح عندما جلست جيرتي بجانبي على السرير. لم يكن هناك مصباح مضاء وكانت الغرفة مظلمة، لكنني أعرف شكلها في أي مكان على الرغم من أنها كانت مختلفة بطريقة أو بأخرى.

«هل أنا مجنونة؟» سألت نفسي وأنا أميل نحوها في محاولة للحصول على نظرة أفضل. رأيت ملامحها، وكانت تشيح بوجهها قليلاً بعيداً عني.

مكتبة ياسمين

«هل أتخيلك وحسب؟»

هزت رأسها نفياً.

«قولي لي الحقيقة»، توسلت إليها. «حدثيني عما جرى. كيف انتهى بك المطاف أسفل هذا البئر؟» قاومت أصابعي بشدة أن ألمسها، أو أن تتغلغل في شعرها الذهبي «هل كان أقصر؟». لكن بطريقة ما عرفت أنه لا يجب علي أن أسأل وربما «سوف أعترف الآن، لنفسي» كنت خائفة قليلاً.

التفتت نحوي، وفي الظلام تمكنت من رؤية وميض ابتسامة الأسنان.

نهضت وذهبت إلى النافذة، ووضعت يديها الشاحبتين مقابل لوح الزجاج المتجمد.

نهضت وانتقلت إلى النافذة بجانبها، وحدقت في الظلام. كان القمر هلالاً. خرج مارتن من الحظيرة ومعه مجرفة في يده. نظر نحو المنزل، فانحنيت مثل طفل يلعب الغميضة. لا بد أنه لم يرني، لأنه استمر في المشي، وعبر الفناء.

وعرفت بالضبط أين كان ذاهباً.

التفت إلى جيرتي لأسألها عما يفترض بي أن أفعل الآن لكنها كانت قد رحلت. نظرت مجدداً إلى النافذة، ورأيت بصمات شبح يديها تركتها وراءها في الصقيع.

مكتبة ياسمين

مارتن

31 يناير 1908

تجمع العرق بين لوحي كتفه بينما تحفر المجرفة في الثلج المتجمد. كان عليه أن يحفر حوالي ثمانية عشر بوصة قبل أن يصل إلى التراب. عمل بأسرع ما يمكن، يجرف الثلج ويلقيه بعيداً.

آلمته قدمه السيئة من شدة البرد. وخرجت أنفاسه في غيوم شاحبة كبيرة. بدت الساحة زرقاء تحت ضوء القمر الخافت.

أسرع، مارتن. عليك أن تعمل بسرعة. لا تتردد. لا تكن جباناً.

قال بصوت عالٍ: «أعرف».

في الخلف، كان المنزل يراقبه. نامت سارة وهي تحلم بأحلامها المجنونة. وعلى اليسار، بعد الحظيرة، كان بإمكانه رؤية معالم التل وأطراف صخور يد الشيطان، وبقعاً داكنة على الثلج.

نظر إلى الوراء إلى الصليب الخشبي الذي بناه بنفسه، وقرأ اسمها منحوتاً بعناية في الأعلى:

جيرترود شي 1900 - 1908

ابنتي الحبيبة

ارتعشت يداه. كانتا لزجتين وقد بللهما العرق، فانزلقت المجرفة.

أسرع.

بدا أن الظلال المائلة لشواهد القبور بجانب قبرها تراقبه وتتحول بنفاذ صبر في ضوء القمر: شقيقها الرضيع، جدها، جدتها «التي تدعى جيرتي»، وعمها، يراقب، يتساءل، ماذا تفعل لصغيرتنا جيرتي؟ إنَها واحدة منا الآن إنــها لا تــنتمي إليك.

مكتبة ياسمين

كان مارتن يحدق في قبر جيرتي الصغير منذ أيام، وعرف للتو ما يجب أن يفعله.

كان عليه أن يكتشف ما في جيبها.

كانت سارة تثرثر إلى لوشيوس، وتصرّ على أن جيرتي قتلت وأن الدليل موجود في جيب الفستان الذي دفنت فيه، وتتحدث عن هراء حول الأشباح والأرواح. من الذي ستخبره أيضاً لو سنحت لها الفرصة؟ كم من الوقت سيمضي قبل أن يستمع إليها شخص ما ويدرك بجنون أنه ربما ثمة حقيقة فظيعة ومخفية؟ هل ستتهم سارة بالقتل؟ أراد أن يرى ما كان في جيب جيرتي الصغيرة.

أمسك مارتن بالمجرفة بإحكام. باتت التربة فضفاضة وناعمة بشكل غريب تحت بطانية الثلج. تحركت المجرفة من خلالها مثل سكين دافئ عبر الزبدة. لا يجب أن يكون الأمر بهذه السهولة، لكنه كان كذلك.

قبل أسبوعين، أشعل النار ليذيب الأرض بما يكفي لحفر حفرة. وقف طوال اليوم، وهو الأب الذي يعاني الحداد، يغذيها ببقايا الحطب والأغصان المقطوعة من البستان. قفزت أشكال من اللهب في وجهه ساخرة منه: البئر، والثعلب، وشعر جيرتي المعلق على مسمار. رمى غصناً تلو الآخر في محاولة لإطعام اللهب الجائع وحرق الصور التي تراءت له هناك.

كانت التربة فوق القبر لا تزال مغلفة بالرماد وكتل الفحم.

على أي عمق دفنت؟ ستة أقدام؟ سبعة؟ قدم لكل سنة من حياتها.

فكر في التحذير الذي وجهه إلى سارة منذ أيام: هل فكرت في... حالة جسدها؟

مكتبة ياسمين

نعم. لقد فكر مارتن في ذلك. وحلم به. جيرتي تنظر إليه اللحم يتساقط عن العظام والأسنان الصغيرة لا تزال بيضاء لؤلؤية والفم مفتوح وهي تتنفس كلمة: لماذا؟ لماذا يا أبي؟ لماذا؟

قال مارتن بصوت عالٍ: «لا خيار». ضاعف جهوده، حفر أسرع وأقوى. تشكلت كومة من الردم بجانب القبر.

وما الذي كان يصبو إليه؟ إذا أخرج جثتها ووجد شيئاً يخصَ سارة في جيبها، ماذا سيفعل؟

هل يخفيه؟ هل يحمي زوجته؟

أم يعرضها على المأمور ليجعل سارة سجينةً إلى الأبد؟

مجنونة أم لا، كانت سارة كلَ ما تبقى له.

على مدى أسابيع الآن، كان يمر في ذهنه ذلك اليوم، محاولاً تذكر كلَ التفاصيل: الثعلب، ودرب الدم عبر الثلج. هل سمع صوت جيرتي تنادي عليه؟ هل سمع شيئاً على الإطلاق؟ هل كان هناك شخص آخر في الغابة؟ كانت هناك امرأة عجوز، ولكن لا، كانت تلك مجرد شجرة وحسب.

رفض جزء منه أن يصدق أن سارة قادرة على إيذاء جيرتي، ولا حتى في موجة من الجنون. كانت جيرتي كلَ شيء بالنسبة لسارة.

أصدرت مجرفته صوت طقطقة عندما اصطدمت بالخشب: قمة تابوت جيرتي. التابوت الذي صنعه مع لوشيوس من ألواح الصنوبر التي كان يدخرها لبناء حظيرة دجاج جديدة في الربيع.

«ماذا تفعل يا مارتن؟»

جفل مارتن. كانت سارة تقف خلفه، تحمل بندقيته وينشستر، وتصوبها إلى صدره.

مكتبة ياسمين

هزت رأسها، وعضت على لسانها. كانت ترتدي منامتها، لكنها ارتدت معطفها وحذاءها أيضاً.

تجمد الدم في عرقه، وكذلك المجرفة في يده. «سارة»، تلعثم. «اعتقدت... يفترض بك أن تخلدي للراحة».

«أجل. سارة المسكينة المريضة، بعقلها المريض، تحتاج إلى الراحة، أليس كذلك؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك، سنربطها بأعمدة السرير مرة أخرى». قالت بغضب.

«أنا...». تردد، غير قادر على النطق. آسف على كلّ هذا.

«ما الذي تبحث عنه، مارتن؟ ما الذي تعتقد أنه في جيب جيرتي؟»

نظر إلى خشب التابوت. «ليس لدي أدنى فكرة».

ابتسمت ابتسامة عريضة، وأبقت البندقية موجهة نحو صدره. «حسناً، دعنا نرى؟ تابع الحفر، مارتن. دعنا نفتح التابوت ونرى ما سنجده».

قام بإزالة بقية الأتربة بعناية، وجعل الفانوس قريباً من حافة الحفرة، وقفز إليها. وضع قدميه على جانبي التابوت الصغير، وأخرج المطرقة لرفع الغطاء. لكن المسامير انزلقت بسهولة من فتحاتها. ارتعشت يداه بشدة لدرجة أنه أسقط المطرقة قبل أن يمسك الحواف الخشبية للقمة ويسحبها.

ما رآه جعله يبكي مثل طفلٍ صغير. اعتراه شعور البرد القاتل من الداخل إلى الخارج.

كان التابوت فارغاً. إنه فارغ. ماذا فعلت سارة؟

ابتسمت سارة وحركت رأسها من جانب إلى آخر مثل الأفعى. توهجت بشرتها في ضوء القمر، كما لو كانت مصنوعة من المرمر.

مكتبة ياسمين

«أترى، هذه هي المشكلة، مارتن. إذا رغبت في البحث عما في جيب جيرتي، فأنت تبحث في المكان الخطأ». أمسكت البندقية في يدها اليمنى، وعرضت له يسراها ومدت أصابعها. وهناك، فوق خاتم زفافها، كان خاتم العظام الصغير. استخدمت إبهامها لتدوره حول إصبعها، الخاتم الغريب الذي بدت خائفة منه ذات مرة.

«من أين حصلت عليه؟» سأل مارتن. «كان في جيب جيرتي».

«مستحيل»، تلعثم مارتن. تحرك نحوها، وبدأ في الخروج من الحفرة.

حذرته قائلة: «ابقَ في مكانك»، وهي تصوب البندقية نحو صدره. «كنت متأكدة من أن روح العمة هي من فعلت هذا الشيء الشرير، ولكن ربما تكون الحقيقة أبسط؛ ربما كانت أمام وجهي طوال الوقت، ولم أستطع أن أرى ذلك».

ارتدت سارة على كعبها وهي تحمل البندقية في كلتا يديها الآن، وترفعها عالياً وعينها على فوهتها.

«هل أنت من فعلها يا مارتن؟» سألته بهدوء. «هل آذيت جيرتي؟»

تراجع مارتن إلى الوراء وسقط على الجدار الترابي. بدا الأمر كما لو أنها سحبت الزناد بالفعل.

تذكر أنه كان يحمل جيرتي بين ذراعيه عندما كانت رضيعة صغيرة، طفلتهما المعجزة؛ وحين سار معها، يداً بيد، في الغابة الشهر الماضي لاختيار شجرة عيد الميلاد. وكيف عثرت على شجرة التنوب وعش الطيور بداخلها وأصرت على قطعها. «ألسنا أسعد الناس حظاً على الإطلاق يا أبي؟» سألته. «بأن يكون لدينا شجرة عيد الميلاد مع عش الطيور فيها؟»

مكتبة ياسمين

«أنا....» تأتأ، وهو ينظر إلى سارة. «لم أفعل، ولا يعقل أن أفعل. أقسم والله شاهد عليَ، أنني لم أؤذ ابنتنا الصغيرة».

حدقت به سارة وأصابعها ترتعش على الزناد. «لكن الخاتم كان في جيبك عندما غادرت المنزل في ذلك الصباح، أليس كذلك؟»

«سارة، أرجوك. -أنت لا تفكرين بعقلانية».

صمتت لبرهة كما لو أنها تقلب الأمر في ذهنها.

«لكنه لم يكن خاتمك، أليس كذلك؟ كان خاتمها. مما يعني أنها هي التي يمكن أن تفعل ذلك».

«أنتِ غير منطقية، سارة. أنتِ تتوهمين أشياء غير موجودة».

«حقاً؟» قالت سارة. أخفضت البندقية، واستدارت، ونظرت خلفها إلى الظلال حول المنزل. «جيرتي؟» نادت سارة. «والدك يعتقد أنني مجنونة. تعالي يا عزيزتي. دعيه يرى الحقيقة».

وقف مارتن على التابوت الفارغ ينظر من حافة الحفرة في الظلام. في مكان ما في الظلام، تحرك ظلّ نحوهما، متخبطاً في الثلج.

يا إلهي، لا. أرجوك، لا أغلق مارتن عينيه بقوة، وعد إلى عشرة في محاولة لجعل كلّ ذلك يذهب بعيداً.

فتح عينيه واندفع خارج التراب، وشق طريقه للخروج من الحفرة، ولم ينظر إلى ما كان يتحرك نحوهما من الظلال.

قال: «سارة»، وهو يمد يده إلى البندقية ويلف أصابعه حول فوهتها. فاجأت الحركة سارة، وضغطت على الزناد..

سمع الصوت، رأى وميض الضوء، وشعر بالرصاصة تستقر في صدره أسفل قفصه الصدري على اليسار.

مكتبة ياسمين

راح يركض على الرغم من الألم الحارق. وضغط بيده على المكان النازف.

«مارتن؟» نادت سارة. «ارجع. أنت مصاب». لكنه لم يتراجع.

ركض عبر الفناء نحو الغابة، ويداه على صدره النازف دون أن يجرؤ على النظر إلى الوراء.

مكتبة ياسمين

زوار من الجانب الآخر
اليوميات السرية لسارة هاريسون شي
31 يناير 1908

«ملاحظة المحرر: هذا المدخل الأخير الذي عثرت عليه، على الرغم من أنها، كما سترون، تشير إلى صفحات أخرى كانت تعمل عليها. ومن المذهل ملاحظة أنه غثر على جثة سارة بعد ساعاتٍ فقط من كتابتها لهذه الكلمات».

يمكن للموتى أن يعودوا للحياة. ليس كأرواح وحسب، بل كائنات حية تتنفس. لقد رأيت الدليل بأم عيني: حبيبتي جيرتي، حيَة. وقررت أن قصتنا يجب أن تروى للناس. لقد قضيت الساعات الماضية مع الأوراق المنتشرة على الطاولة، ومصباح الزيت يحترق مشرقاً، كما كتبت التعليمات الدقيقة حول كيفية إيقاظ الراقد. لقد نسخت ملاحظات العمة ودونت كلَ تفاصيل تجربتي. لقد انتهيت أخيراً، وخبأت الأوراق بعناية، ليس في مكان واحد بل في ثلاثة مخابئ منفصلة.

نحن في المنزل، والأبواب موصدة، والستائر مسدلة. شيب ممدد عند قدمي وعيناه وأذناه في حالة تأهبٍ. وضعت البندقية بجانبي. لا أريد أن أصدق أنَ مارتن من فعل هذا. هذا الرجل الذي ظننت أنني أعرفه، هذا الرجل الذي طبخت له ونمت بجانبه كلَ ليلة وأخبرته أسراري، لا يعقل أن يكون وحشاً.

أصيب مارتن إصابةً بالغة عندما أطلقت النار. لن يصمد طويلاً في البرد مع جرح في صدره. أخشى، بالطبع، أن يتجه إلى منزل ال بيمسي ويأتوا جميعاً ليقرعوا الباب بحثاً عن المرأة المجنونة التي تحمل

مكتبة ياسمين

بندقية.

يسعدني أن أتيحت لي الفرصة لكتابة كلَ ما حدث وهو لا يزال حاضراً في ذهني. وأكثر سعادة لأنني أخفيت الأوراق قبل أن يحملوني إلى مصح المجانين.

يوماً ما، ستجدون أوراقي. وسيعرف العالم الحقيقة عن الراقدين.

نحن نقترب من نهاية اليوم السابع من صحوة جيرتي. وفتاتي لا تزال تختبئ في الظلال الآن ولاحقاً لا.

عندما ألمحها أجدها شاحبة وهامدة. ترتدي الثوب الذي كانت ترتديه عندما غادرت المنزل ذلك الصباح: فستانها الأزرق وسروالها الصوفي الضيق، ومعطفها الأسود الصغير. شعرها أشعث الآن. والأوساخ تلطخ وجنتيها. وتنبعث منها رائحة الدهون المحترقة وكأنها شمعة انطفأت للتو.

يجلس شيب مضطرباً قربها؛ يزمجر في الظل وشعره منتصب، وأسنانه مكشوفة.

حين أن انتهيت من كتابة قصتنا، رحت أتحدث إليها وأغني لها وأحاول إقناعها بالخروج إلى العلن. «تذكري، تذكري».

«تذكري كيف كنا نبقى أنا وأنت تحت الأغطية طوال الصباح، ونروي لبعضنا أحلامنا؟»

«هل تتذكرين صباح عيد الميلاد؟ وعندما أصبت بالنكاف وبقيت بجوارك؟ وقصصك عن الكلب الأزرق؟ وكيف تركضين مباشرة إلى المطبخ عندما تعودين من المدرسة وتشمين رائحة كعك الدبس؟»

هل تذكرين؟ هل تذكرين؟

لكن جيرتي رحلت مجدداً. «وهل كانت حقاً هنا؟»

مكتبة ياسمين

أقول: «أرجوك يا حبي». «ليس لدينا سوى القليل من الوقت معاً. ألن تظهري نفسك لي؟»

استدرت وبحثت عنها في جميع أنحاء الغرفة.

وهناك، عند الموقد، فوق موقد الطوب، وجدت رسالة مكتوبة بالفحم الأسود.

ليس بابا

وفي تلك اللحظة، وأنا أحدق في الكلمات، سمعت طرقاً على الباب.

صوتاً مألوفاً، وإن كان مستحيلاً، ينادي باسمي.

مكتبة ياسمين

1886

2 مايو 1886

عزيزتي سارة،

لقد وعدتك أن أخبرك بكل ما أعرفه عن الراقدين. ولكن قبل أن تمضي في القراءة، يجب أن تعي تماماً أن هذا سحرٌ قوي. ولا تفعلي شيئاً قبل أن تكوني واثقة منه. واعلمي أنه ما من مجالٍ للتراجع بمجرد أن تنتهي.

سيستيقظ الراقد ويعود إليك. ولا أحد يدري بالضبط كم الوقت الذي يستغرقه حدوث هذا. ففي بعض الأحيان يعودون إلى الحياة في غضون ساعات، وفي أوقات أخرى، في غضون أيام.

وبمجرد أن يستيقظ الراقد يستمر في السير لمدة سبعة أيام. ثم يرحل عن هذا العالم إلى الأبد. لا يمكنك إعادة شخص أكثر من مرة. إنه أمر محرم ومستحيل في الواقع.

إن كنتِ مستعدةً، اتبعي هذه التعليمات بدقة. هذه الأشياء التي تحتاجينها:

مجرفة شمعة.

قلبُ أيّ حيوانٍ حي «عليك استئصاله في غضون أقل من اثنتي عشرة ساعة من الفعل».

شيء ينتمي إلى الشخص الذي ترغبين في إعادته «مثل الملابس أو المجوهرات أو أي أداة».

يجب أن تحملي هذه الأشياء إلى البوابة. توجد مداخل، أو بوابات، بين هذا العالم وعالم الأرواح. أحد هذه المداخل موجود هنا في ويست هول. لقد رسمت خريطة تبين موقعه. يجب أن تحرسي هذه الخريطة بحياتك.

ادخلي البوابة. أشعلي الشمعة.

مكتبة ياسمين

امسكي الشيء الذي ينتمي إلى الشخص الذي بين يديك وقولي هذه الكلمات سبع مرات: «« اسم الشخص»، أناديك لتعود إلي. أيها الراقد، استيقظ!»

ادفني القلب وقولي: «حتى ينبض قلبك مرة أخرى».

ادفني الشيء بجانبه وقولي: «هذا شيء يخصك لمساعدتك في العثور على طريقك».

ثم غادري البوابة وانتظري. في بعض الأحيان يأتون إليكِ في الوقت نفسه وهناك. ولكن في أحيان أخرى، كما قلت، يمكن أن يستغرق الأمر أياماً. يوجد شيئآن آخران يجب أن أحذركِ منهما: بمجرد عودة الراقد، لا يمكن قتله. سيمشي سبعة أيام، بغض النظر عما حدث له. آخر ما يجب أن أقوله لك هو شيء سمعتهُ، لكنني لم أره بأمّ عيني. يقال أنه إذا قتل الراقدُ شخصاً حياً وسفك دمه خلال تلك الأيام السبعة، سيظل الراقد مستيقظاً إلى الأبد.

يرجى استخدام هذه التعليمات بحكمة، وفقط عندما يحين الوقت المناسب.

أنا أحبكِ من كلّ قلبي، سارة هاريسون.

المخلصة لكِ إلى الأبد،

العمة

مكتبة ياسمين

كاثرين
الوقت الحاضر

4 يناير

كان الثلج عميقاً حتى الركبتين، لكنهن توقفن عند الحظيرة وارتدين أحذية الثلج من الطراز القديم المصنوعة من الخشب المحني وأربطةٍ من الجلد. تحرك الموكب إلى الأمام، عبر الفناء والحقل ونحو جانب التلة المشجرة. قادتهن كانديس بمصباحها الأمامي، روثي وفون في المنتصف «فون تسير ببطء ممسكة بإحكامٍ بدمية قماشية قذرة مغطاة بالأغطية والتي ظلت تهمس لها»، ومشت كاثرين في نهاية الركب.

«كاثرين. لا تتأخري عنا». التفت كانديس نحو كاثرين، مصباحها الأمامي يلمع في وجه كاثرين. «لا أعتقد أنك تودين الابتعاد عنا وسط هذه الغابة».

لا. لا، لا تود ذلك.

نظرت إليها كاثرين من فوق شاشة كاميرا غاري. لقد صوَر غاري كافة صفحات يوميات سارة المفقودة، وكانت كاثرين تقرأ تعليمات العمة بشأن إحياء الموتى. كان من الصعب فهم كلَ الكلمات بالضبط، حتى عند تكبيرها، لكنها حصلت على الجوهر.

«ما الذي أنت مشغولة للغاية بالنظر إليه؟» سألت كانديس. بدت مثل عملاقٍ بعين واحدة تلمع بشكل مروع، أو عين ثالثة، عين غامضة ترى كلَ شيء.

قالت وهي تغلق الكاميرا وتعيدها إلى حقيبة غاري: «أحاول فقط الحصول على فكرة أوضح عن مكان هذه البوابة التي نبحث عنها». حمل الجميع باستثناء فون حقائب ملئت بسرعة بالإمدادات:

مكتبة ياسمين

المصابيح الكشافة والبطاريات، والشموع، وأعواد الثقاب، والحبال، والمياه المعبأة في زجاجات، وألواح الجرانولا، وبعض التفاح. وضعت كانديس المصباح الأمامي الذي وجدته معلقاً على الباب الأمامي، وكانت روثي ووالدتها تستخدمانه لجلب الحطب بعد حلول الظلام. وحملت كاثرين الكاميرا، وبعض الماء، ومصباحاً يدوياً، وشموعاً وأعواد ثقاب، وسكين غاري السويسري القديم في حقيبتها.

قالت كانديس: «جيد». «أنا سعيدة لأنك أحضرت الكاميرا».

وكذلك أنا، قالت لنفسها.

ركزت على المشي بأحذية الثلج، وهو نوع غريب من المشي بأقدام تشبه أقدام البط عبر الثلج العميق. كان الثلج لا يزال يتساقط بشدة وسرعة من حولهن. كلَ ما كان بإمكان كاثرين سماعه هو صوت تنفسهن وهمهماتهن أثناء صعود التل. لم يكن هناك أصوات سيارات ولا صفارات إنذار بعيدة أو صافرات قطار. كان العالم صامتاً بشكل مخيف، وكل الأصوات مكتومة، كما لو أن كلَ شيء مغلف بالصوف القطني.

بدا الطريق أمامها شديد الانحدار فجأة. تركن الحقل خلفهن وبدأن يصعدن الغابة الآن. كانت الأشجار منحنية وملتوية والأغصان مثقلة بالثلج. شعرت أن الأشجار تراقبها مثل جيش فظيع وقف في صفوف ومد يده إليها.

لقد أوشكت على الوصول، همس غاري في أذنها.

شعرت به قريبا جداً. يمكنها أن تشم رائحته. كان يسير في الطريق نفسه في نهاية أكتوبر، في آخر يوم له على قيد الحياة. يمشي هنا ويحمل هذه الحقيبة نفسها.

مكتبة ياسمين

هل هذا ممكن حقاً، غاري؟ هل يمكننا إحياء الموتى؟

ردَ بضحكة ناعمة. أليس هذا سبب مجيئك؟ سألها.

وعندئذ فهمت. لقد أدركت سبب مجيئها، وسبب اقتيادها إلى هنا. شعرت أن يده تأخذ بيدها. كان بجانبها الآن.

همس لها: صه. هل تسمعين؟

أغلقت عينيها، وسمعت الموسيقى تعزف في جزء بعيد من عقلها، أغنية جاز قديمة رقصا على أنغامها ذات مرة. شعرت أنَ شفتي غاري تقبل خديها. مشت هي وغاري معاً وقاما ببعض خطوات الرقص الغريبة معاً فوق الثلج.

أخبرها أن بوسعهما أن يكونا معاً مرة أخرى. يمكن أن نعيد أوستن.

صعقتها الفكرة مثل مدفعٍ في الصدر، ثقيلةً جداً وغير متوقعة، لدرجة أنها فقدت توازنها وسقطت على الجليد. بحثت بيأس عن غاري، لكنه رحل.

استلقت على ظهرها ونظرت إلى السماء المظلمة، والثلج يهطل فوقها مثل مليون نجم ساقط. سمحت لنفسها بتخيل الأمر: عودة غاري وأوستن إليها، حتى لو لمدة سبعة أيام فقط. ويتعانق ثلاثتهم سوية تحت الأغطية. «هل راودتك الأحلام أثناء غيابك؟» كانت ستسأل أوستن. وسيقول: «أوه نعم، لقد حلمت». «كان كلَ شيء حلماً كبيراً مستمراً».

«هل كلَ شيء على ما يرام؟» نادتها كانديس.

«نعم، أنا بخير». قالت وهي تكافح من أجل النهوض مرة أخرى، لكن الأمر كان صعباً بشكل سخيف بسبب أحذية الثلج الضخمة التي منعتها من الوقوف بسهولة. استدارت روثي وعادت لتمد

مكتبة ياسمين

لكاثرين يد المساعدة.

قالت كاثرين وهي تنفض الثلج عن بنطالها: «شكراً». ولم تكن ثمة فائدة من ذلك، لقد تبلل كلياً.

قالت روثي: «من الصعب التعود على أحذية الثلج».

قالت كاثرين: «لا أعتقد أنني سأجري ماراثوناً فيها قريباً». ابتسمت لها روثي ابتسامة متوترة، ثم عادت إلى جانب أختها. انحنت وهمست شيئاً لفون. هزت فون رأسها وشدَت دميتها بقوة إلى صدرها.

تحركن عبر بستان الأشجار المنحنية والملتوية، وأصبح الطريق أكثر انحداراً والأشجار أكبر وأكثر عدداً. كان لديها الاتجاهات. اتجهن معاً إلى البوابة. حملت شمعة وكاميرا غاري. وكل ما احتاجت إليه هو...

«يا إلهي». صاحت كانديس. هناك، على بعد مسافة قصيرة من الطريق، أضاء مصباحها الأمامي منظراً مروعاً. كان ثمة ثعلب أمسك للتو بأرنب ثلجٍ من حلقه. كافح الحيوان لبضع ثوانٍ قصيرة قبل أن ينتفض ميتاً في فم الثعلب.

أخرجت كانديس مسدسها ووجهته نحو الثعلب.

«إياكِ». صاحت كاثرين. كان الحيوان جميلاً، بالطريقة التي كان فروه الصدئ يتلألأ ويتألق، وعيناه تنظران إليها مباشرةً، ليقول: نحن نعرف بعضنا، أنت وأنا نفهم معنى الجوع واليأس.

لكن الرصاصة أطلقت، وقفزت كاثرين. خاف الثعلب، ورمى الأرنب وهرع إلى الأشجار، لم تتمكن كانديس من إصابته. ركض الثعلب بسرعة فائقة لدرجة أنه أخذ أنفاس كاثرين معه. وكانت متأكدة من أنه، فقط لثانية واحدة قصيرة، أدار رأسه الأنيق

مكتبة ياسمين

إلى الوراء ونظر إليها.

انظري ماذا تركت لك.

بدا المستحيل ممكناً.

«هل يمكننا إنقاذ الأرنب؟» سألت فون، وأسرعت الخطا نحو الحيوان الأبيض الصغير الذي قبع ساكناً على الثلج.

قالت روثي: «لا». «لقد لقي حتفه. لا تلمسيه، اتفقنا؟» «هيا بنا، أعتقد أننا قطعنا نصف المسافة إلى وجهتنا».

قالت كانديس وهي تعيد مسدسها إلى مكانه وتشير بالمصباح الرأسي نحو الطريق أمامنا. لو أنهن نظرن بإمعانٍ لشاهدن آثار أقدام كانديس من رحلتها نزولاً عبر التل قبل ساعات. بات جانب التل أكثر انحداراً الآن، والمشي أشبه بالتسلق. فكرت كاثرين في الصور التي رأتها لمتسلقي جبل إيفرست، وكلهم معلقون بحبلٍ واحدٍ حتى لا يفقدوا بعضهم و لا يسقط أحدهم ويبقى وحده. تابعن السير على خطا كانديس وواجهت الفتاتان صعوبة في مواكبتها. لكن كاثرين تباطأت، وتوقفت في المكان الذي كان فيه الثعلب. لحسن الحظ، لم يكن هناك حبل يربطها بالأخريات، ويبدو أنهن لم يلحظن أنها لم تعد خلفهن. انحنت وخلعت قفازها ولمست أرنب الثلج الأبيض. كان لا يزال دافئاً وفروه ناعم.

حملت الأرنب بسرعة وفوجئت كم كان خفيف الوزن. سحبت حقيبة ظهر غاري من على كتفيها، ووضعت الحيوان بعناية في داخلها وأغلقتها بإحكام.

وأسرعت لتلحق بالأخريات وصوت نبضها يصدح في أذنيها.

مكتبة ياسمين

كان الأرنب صغيراً. لم يكن من الصعب جداً، كما تخيلت، أن تتحسس أضلاعه وتفتحها لتستخرج قلبه.

مكتبة ياسمين

روثي

قالت كانديس وهي تتجول في قاعدة يد الشيطان: «يجب أن تكون هنا في مكان ما».

قالت كاثرين: «لا أصدق مدى ضخامة الصخور». «أطول واحدة يبلغ طولها عشرين قدماً على أقل تقدير. إنها لا تبدو بهذا الحجم في الصور».

قالت فون، متشبثة بميمي: «لا بدَ أنَ الشيطان عملاق».

كانت ميمي لا تزال ملفوفةً بالبطانية التي تحمل المسدس.

استغرق الأمر منهن ما يقرب من خمس وأربعين دقيقة لتسلق التل. ومنذ وصولهن إلى القمة، أمضت كانديس عشر دقائق على الأقل في الحفر بشكل عشوائي بحركاتٍ تشنجية تقريباً. قالت: «يمكن أن تكون الحفرة تحت أيَ من الصخور الخمسة». «إنها متشابهة. ماذا تنتظرن؟ ابدأن الحفر».

كان الثلج يتساقط بلا توقف، والصخور مغلفة بطبقة بيضاء سميكة. راحت كانديس تخدش الثلج بيديها وتدفع وتسحب أي صخور صغيرة جانباً.

قالت روثي وهي تضع المصباح اليدوي في جيب معطفها وتأخذ الكاميرا من كاثرين التي كانت تحدق في الشاشة: «دعيني أرى». عرفت روثي أن كاثرين كانت تقرأ إحدى تلك الصور المقربة للتعليمات الخاصة بإحياء الراقدين.

لكن روثي بحثت عن صورة البوابة في قاعدة الصخرة. التقطت الصورة في أكتوبر، في وضح النهار، والآن كان الظلام دامساً وكل شيء مغطى بالثلج. تفحصت روثي النتوءات والشكل والظلال حول الصخرة في الصورة، ثم وجهت مصباحها على

مكتبة ياسمين

الصخور أمامها.

كانت كانديس مخطئة. لم تكن جميعها متشابهة.

قالت روثي: «أعتقد أنها الأكبر». «الإصبع الوسطى. انظري هنا، تبدو كأنها تميل إلى اليسار مقارنة مع الصخرة التي بجانبها في الصورة؟ وانظري إلى الزاوية التي التقطها منها. لا بدّ أنه وقف هناك على الجانب الأيسر. حيث شجرة القيقب الكبيرة في الخلفية». أشارت إلى الشجرة التي أحاط بها الثلج الآن.

سلمت الكاميرا إلى كاثرين وخلعت حذاءها الثلجي. استخدمت إحدى الفردتين كمجرفة لإزاحة الثلج عن قاعدة صخرة الإصبع الأوسط. سرعان ما كشفت عن صخرة يبلغ قطرها حوالي قدمين، والعديد من الصخور الأصغر التي استقرت على قاع الإصبع. دفعت الصخرة الكبيرة بقوة، لكنها ظلت ثابتة على الأرض بين الجليد والثلج.

قالت لكانديس: «ساعديني». وراحتا تدفعان الصخرة معاً. فتحركت في النهاية، ثم تدحرجت، كما لو كانت الكرة السفلية لرجل الثلج.

سلطت كاثرين مصباحها على حفرة صغيرة تؤدي إلى داخل الأرض عند قاعدة حجر الإصبع الكبير. «ها هي. البوابة».

بدت البوابة ضيقة، بالكاد تكفي لانحشار بالغٍ داخلها. ولو صادفتها روثي لاعتقدت أنها وكر لحيوان صغير - ثعلب أو ظربان ربما - ومرت قربها مرور الكرام.

أشعلت روثي مصباحها وألقت به داخل الحفرة الضيقة. بدا الظلام وكأنه يلتهم شعاع مصباحها، ولم تستطع أن ترى إلى أي مدى يمتدّ النفق. «هل يعقل أن يقود هذا إلى أي مكان؟» سألت روثي. ما

مكتبة ياسمين

كانت تفكر فيه حقاً هو أنه من المستحيل أن تدخل هناك.

شعرت فجأة أن كلَ هذا كان خدعة كبيرة، وأن الجميع سيبدأ بالضحك فجأة، ويربتون على كتف روثي، قائلين، لقد خدعناك بالتأكيد! حتى أن والدتها ستخرج من مخبئها. ربما كان كلَ شيء من ابتكارها ليكون وسيلةً لتعليم روثي درساً في تحمل المسؤولية.

قالت كانديس: «توجد طريقة واحدة لمعرفة ذلك». «سأذهب أولاً، ولكن إذا لم تتبعنني، يمكنكن الرهان على أنني سأعود في لمح البصر. ولن أكون سعيدة». وربتت على غمد المسدس تحت معطفها في حال أن إحداهن لم تفهم قصدها.

قالت روثي: «لا أظن ذلك». أي شخص يستخدم كلمة «لمح البصر» هذه؟ سيما عندما يهدد الناس بمسدس؟

«إنها لا تحب الأماكن الضيقة»، قالت فون.

قالت كانديس: «لست متحمسة لذلك أيضاً». «ولكن، سواء أعجبكن الأمر أم لا، هذا المكان الذي يجب أن نذهب إليه».

وضعت كانديس حقيبتها في الحفرة، ثم خلعت معطفها ودفعته للداخل أيضاً. وتركت أحذية الثلج تتكئ على الصخرة. أضاءت المصباح الأمامي، وأنزلت نفسها في الحفرة أولاً وبدت وكأنها عالقة في منتصف المسافة.

«ربما ليست كبيرة بما يكفي. ربما لا يمكننا العبور، أو أنها مجرد نهاية مسدودة»، قالت روثي وهي تشاهد كانديس تكافح في النزول. راحت كانديس ترفس بقدميها وتتلوى مثل سباح عالق على الأرض. سمعوا كلمات لعنة مكتومة من الداخل. في نهاية

مكتبة ياسمين

المطاف، اختفت قدما كانديس. بعد لحظات قليلة، صاحت: «أنا في الداخل! هيا! أسرعن. لن تصدقن ما أرى».

التفتت كاثرين إلى الفتاتين وبدأت تتحدث بسرعة وهدوء. قالت: «سأذهب أولاً». «سأماطل في الدخول أطول فترة ممكنة. ولكن إليكما ما أريدكما أن تفعلاه». بحثت في جيب معطفها وسحبت مجموعة من المفاتيح. «اسلكا الطريق الذي يؤدي مباشرة إلى الطريق. تقف سيارتي على بعد ربع ميل من مدخل منزلكم. إنها سيارة «جيب شيروكي» سوداء. هاتفي الخلوي في صندوق القفازات. اتصلا بأحدهم لمساعدتكما. إذا لم تكن هناك إشارة، اركبا السيارة واذهبا إلى أقرب منزل. هيا اذهبا من هنا. من الواضح أن هذه المرأة كانديس مجنونة وأخشى أنها ستؤذي شخصاً ما بهذا المسدس الذي تلوح به. يمكنني أن أؤخرها لبعض الوقت».

«أين أنتن بحق الجحيم؟» صاحت كانديس من داخل الحفرة. «من التالي؟»

«أنا». صاحت كاثرين في الحفرة. «أنا في طريقي إليكِ».

سمحت روثي لنفسها بتخيل ذلك لمدة دقيقة: الهروب أسفل التل مع فون، والاتصال برقم الشرطة من هاتف كاثرين، وتنظيم عملية إنقاذ. لكن كانديس كانت تعتقد أن أمها في الكهف. ماذا لو كانت محقة؟ ماذا لو تعرضت والدتها للأذى، أو ماذا لو وصلت كانديس إليها أولاً، مع نظريات المؤامرة المجنونة ومسدسها؟

هزت روثي رأسها، وخفضت صوتها. «لن أغادر».

أخذت الدمية من ذراعي أختها، وأخرجت المسدس، وأظهرته لكاثرين ووضعته في راحة يدها

مكتبة ياسمين

الممدودة. «أعتقد حقاً أن والدتي قد تكون هناك. وأعلم أنه مهما جرى، لم تكن لتتركني وشقيقتي عمداً. لذا، إن كانت هناك، فثمة احتمال أن تكون في ورطة. ومع دخول كانديس إلى الداخل، تسوء الأمور».

نظرت كاثرين إلى المسدس وتنهدت وأومأت برأسها.

التفتت روثي نحو فون. «خذي المفاتيح واتبعي الطريق المؤدي إلى الطريق. اعثري على سيارة الجيب واطلبي المساعدة. أنتِ فتاة كبيرة. يمكنك فعل هذا».

هزت فون رأسها بعزم. «مستحيل. أنا وميمي سنبقى معكِ. سنساعدك في العثور على أمي».

وافقت روثي على مضض آملةً أنها تفعل الشيء الصحيح. ولكن يمكنها أن تقف هنا طوال الليل تناقش الخطط أو تتخيل السيناريوهات، وفي هذه الأثناء ستكون والدتها في ورطة.

«توخيا الحذر، اتفقنا؟» قالت كاثرين. لا تفعلا شيئاً غبياً.

قالت روثي: «وأنتِ أيضاً»، وهي تفكر في الطريقة التي كانت كاثرين تقرأ بها صورة تعليمات العمة، وإلى أي مدى بدت متحمسة لإرسالهما بعيداً.

«ما الذي يؤخركن يا سيدات؟» صاحت كانديس. «آسفة»، نادت كاثرين في الحفرة، «لم أتمكن من نزع حذاء الثلج.

«أنا قادمة». دفعت حقيبتها، ثم رمت نفسها واختفت بسرعة.

قالت فون: «ميمي وأنا تالياً». سلمت روثي المصباح لأختها الصغيرة.

مكتبة ياسمين

وعدتها روثي: «سأكون خلفك مباشرة»، وتأكدت من وضعية أمان المسدس، تماماً كما علمها باز، قبل وضعه في جيب معطفها.

منح حجم فون الأفضلية في الهبوط. انزلقت من خلال الممر الضيق بسهولة، وشعاع المصباح الكاشف يضيء الجدران الرملية للحجر الرطب الداكن.

أخذت روثي نفساً عميقاً وتبعتها. كانت رائحة النفق مثل رائحة الصخور الرطبة والتراب و... دخان الحطب؟ لم يكن هذا خطأ. كان هناك نار تشتعل في مكانٍ قريب. كانت الفتحة ضيقة، عصرت بطنها مثل فلينةٍ في زجاجة، وخفضت رأسها وعيونها على قدمي أختها أمامها. تسارع نبض روثي، وراحت تتنفس بسرعة كبيرة لدرجة أنها خشيت من أن يغمى عليها.

«أنتِ بخير، روثي؟» نادتها فون.

أجابت روثي: «أنا بخير»، بصوت واهن. هل يزداد النفق ضيقاً؟ تخيلت أن الحجارة تدفعها نحو الأسفل وتعصرها حتى بدأت أضلاعها تتكسر وانفجرت مقلتا عينيها. إن كانت غريزتها على حقَ واتضح أن والدتها هنا في مكان ما، فقد تضطر روثي لقتلها لوضعهما في مثل هذا المأزق. كانت خائفة أكثر من أي وقت مضى.

أكدت لها فون: «لا تقلقي، النفق يزداد اتساعاً».

«من الذي يشعر بالقلق؟» تمتمت روثي وهي على يقينٍ من أن قلبها على وشك أن يتوقف في أي لحظة. شعرت بالألم في مرفقها من جر نفسها على طول النفق الحجري الخشن.

فجأة أصبح كلَ شيء أسود.

مكتبة ياسمين

«ما الذي حدث للمصباح؟» نادت روثي تفاقم ذعرها.

«أعتقد أنه انطفأ؟» نادتها فون. سمعت صوت مصباح يدوي يهتز، والبطاريات تهتز في علبتها البلاستيكية.

صار الظلام دامساً الآن، أكثر من أي شيء تخيلته روثي، وبدا أنه سيستمر إلى الأبد.

هذا ما يشعر به المرء عندما يدفن على قيد الحياة.

«لا يهم، فقط تابعي طريقك»، صرخت روثي في محاولة لجعل نفسها تبدو شجاعة.

كانت فون على حق، اتسع النفق؛ ولكن ضاق بعد ذلك مرة أخرى. أغلقت عينيها بإحكام، وحاولت خداع نفسها لتصدق أن الظلام سينقشع عندما تفتحهما. كان على روثي أن تزحف على بطنها وذراعيها، واستخدمت مرفقيها وأصابع قدميها لدفع نفسها. استمر النفق نفسه حوالي عشرة أقدام في انخفاض حاد بعد أن انطفأ المصباح اليدوي. ارتفعت سترتها وقميصها، وجرحت بطنها من أرضية الصخور الخشنة في النفق.

قالت بصوت عالٍ: «توقفي».

«نحن على وشك الوصول»، أجابت فون بصوت مكتوم. «أرى نوراً». بدت أبعد بكثير مما تخيلتها روثي.

دفعت روثي حقيبة ظهرها أمامها، واستمعت إلى الأصوات الخافتة لفون وهي تخربش. عندما تجرأت أخيراً على فتح عينيها، رأت توهج المصابيح الكاشفة الناعم أمامها. بضعة أقدام أخرى وأدركت روثي أن بإمكانها أن تجثو على يديها وركبتيها. وبعد ذلك ببضعة أقدام، ظهرت حجرة كبيرة

مكتبة ياسمين

ومريحة. وقفت روثي وتمددت ونظرت حولها. حملت حقيبة الظهر وتفقدتها للتأكد من أن المسدس لا يزال في جيب سترتها.

لا تفكري في أنك تحت الأرض، قالت لنفسها.

حملت فون المصباح لها. «لقد عاد للعمل. أعتقد أنني لم أضغط المفتاح الصحيح. آسفة».

قالت روثي: «لا بأس». «أنت طفلة شجاعة للغاية، أتعلمين ذلك؟» ابتسمت فون.

لم يكن الضوء في الغرفة يأتي فقط من المصابيح الكشافة؛ بل كان هناك مصابيح زيت مضاءة في جميع أنحاء الغرفة. وداخل تلك الغرفة كانت ثمة رفوف وطاولة وموقد للطهي يعمل على الحطب له مدخنة تؤدي إلى شق في السقف الصخري. كانت النار مضرمة فيه، تطقطق وتفرقع وكادت تجعل روثي تنسى أنها داخل كهف تحت يد الشيطان. حتى أنه كان هناك سرير مكدس بأغطيةٍ قديمة في كوةٍ إلى اليسار.

شعرت أن المكان مألوف بشكل غريب.

مشت روثي إلى مجموعة من الرفوف الخشبية. فوجدت إبريقاً من الماء، وأكياساً من الطحين والسكر، وصناديق من الشاي والقهوة، وعلب سردين وتونة، وخضروات وحساء معلبة، وسلة من التفاح.

أخذت روثي تفاحةً وتفحصتها. لم تكن متعفنة. قالت كانديس: «كانت المصابيح مضاءة بالكامل عندما نزلت إلى هنا».

حملت المسدس بإحكامٍ، وفحصت الغرفة بمصباحها الرأسي. كان هناك ثلاثة أنفاق بالإضافة إلى النفق الذي نزلوا للتو، كلٌ منها يقود في اتجاه مختلف وجميعها مظلمة. «روثي، انظري!» صاحت

مكتبة ياسمين

فون. كانت تقف قرب السرير وتحمل معطفاً بنفسجي أصفر. «إنه معطف أمي». قالت روثي.

أومأت فون بحماس. «كانت ترتديه تلك الليلة!»

«عندما اختفت».

تقدمت روثي للحصول على نظرة أفضل على المعطف، ثم تجمدت عندما رأت ما كان موجوداً على رأس السرير، بجانب الوسادة.

دبها الأخضر المحشو القديم، بايني بوي. سحبت روثي الدب وضمته إلى صدرها ؛ وومضت ذاكرتها مرة أخرى، غائمة وأشبه بالحلم. شعرت أن المكان مألوف لأنها كانت هنا من قبل، في هذه الغرفة. لقد لحقت بشخص ما هنا.

أغلقت عينيها وتركت الذاكرة تأخذها إلى أبعد من ذلك.

كانت هناك فتاة صغيرة تعيش هنا. لكنها لم تكن لطيفة. لقد أظهرت لـروثي شيئاً سوداوياً ومرعباً.

في وقت لاحق، قال لها والدها أنها تخيلت كلَّ شيء.

نظرت في أنحاء الغرفة. هذا غير ممكن، أليس كذلك؟ كيف يمكن لفتاة صغيرة أن تعيش في كهف تحت يد الشيطان؟

«إنه لك، أليس كذلك؟» سألتها فون. «عندما كنت صغيرة؟

«إنه الدب الذي تحملينه في تلك الصورة القديمة».

أومأت روثي برأسها ولا تزال تمسك الدب بإحكام، وتكافح من أجل تذكر المزيد من ذلك اليوم الطويل. ما الذي أظهرته لها الفتاة؟

قال فون: «يوجد شيء آخر». «تحت السرير». أشارت نحوه. أمسكت روثي الدب في يد،

مكتبة ياسمين

ومصباحها اليدوي في اليد الأخرى، ونظرت تحت السرير.

ثمة سترة تزلج أرجوانية وبيضاء على الأرض الحجرية. كانت ممزقة ومغطاة ببقع الدم البني.

«هذا مثل الذي كانت ترتديه الفتاة المفقودة، أليس كذلك؟» سألتها فون. «ويلا لوس؟»

أومأت روثي برأسها، واستدارت.

فكرت في ما قالته كانديس في وقت سابق، عن ادعاء والديها بوجود وحش في الغابة. وحش قتل توم وبريجيت أورورك، ووالديها الحقيقيين. أين كانت روثي عندما قتلا؟ هل كانت شاهدة على ما حدث لهما؟ جعلتها هذه الفكرة تشعر بالغثيان في معدتها. بدت جدران الكهف وكأنها تضيق؛ وشعرت بأن الهواء ينفد.

«أليس واشبورن». نادت كانديس بصوتٍ زاد من عذاب روثي. «الفتاتان معي. اظهري نفسك وإلا سأؤذيهما».

وضعت روثي الدب الأخضر، ومدت يدها إلى جيبها للعثور على المسدس. سحبت ذراع الأمان وحبست أنفاسها، منتظرة.

أرهفوا السمع لبرهةٍ. وكل ما سمعوه هو طقطقة النار وصوت قطرات ماءٍ من مكان بعيد.

قالت فون وهي تقترب من روثي: «لا أحبَ هذا». «لا أحبَ المكان».

قالت روثي: «ولا أنا أحبه»، ويدها على المسدس في جيبها. عمّ الصمت بعد ذلك.

صاحت كانديس: «اللعنة». دارت حول الغرفة، ونظرت أسفل كلَ ممر باستخدام مصباحها الأمامي. ألصقت رأسها أسفل أحد الأنفاق ورمت شيئا لم

مكتبة ياسمين

تعرفه روثي ما يكون.

«ماذا نفعل الآن؟» سألت روثي، وعيناها على المسدس في يد كانديس. بالتأكيد كانت تخادع. لم تكن لتؤذيهما. بل تبقيهما على قيد الحياة وسالمتين لاستخدامهما عندما يحين الوقت.

«سيتعين علينا استكشاف كلَ نفق، واحداً تلو الآخر».

من فضلك، يا إلهي، لا مزيد من الأنفاق الضيقة، فكرت روثي.

اقترحت روثي: «يمكننا أن ننفصل». «أو ربما يجب أن نبقى أنا وفون هنا. في حال ظهرت أمي».

«لا». صاحت كانديس. «سنذهب كلنا معاً». ألقت نظرة خاطفة في أرجاء الكهف، وعيناها تلمعان. «مهلاً. أين كاثرين؟»

مسحت روثي الغرفة وأضاءت مصباحها أسفل الفتحات المظلمة للأنفاق الثلاثة.

«تباً». زفرت كانديس بغضب. لقد اختفت كاثرين.

مكتبة ياسمين

1908

سارة

31 يناير 1908

عمتي.

رمشت مرةً، مرتين، ثلاث مرات، لكنها ما زالت واقفة في باب منزلي، كائناً من لحمٍ ودم. بالتأكيد لم تكن شبحاً، بل كان لها شكل ومضمون؛ يقطر الثلج من ملابسها، ويلقي جسدها بظل طويل خلفها.

هربت جيرتي بمجرد أن سمعت صوت العمة في الخارج، ربما عادت إلى الخزانة للاختباء.

ووقف شيب بجانبي يزمجر. رمقته العمة بنظرة، فانسحب لا يلوي على شيء.

«هل أنتِ...». تلعثمت. «هل صرت واحدةً منهم؟ هل بعثتِ من الموت؟»

لعلني أصبت بالجنون في نهاية المطاف.

كنت لا أزال أحمل بندقية مارتن في يدي، وأمسك بقبضتها بشدة لدرجة أن أصابعي تحولت إلى اللون الأبيض. ألقت عمتي نظرة خاطفة عليها وضحكت. بدت ضحكتها مثل صوت الرياح البرية التي تصفر عبر حقلٍ من الذرة الجافة.

بدت أكبر سناً. وأصبح شعرها الذي كان ذات مرة رمادياً فظاً ومتشابكاً، مربوطاً في شرائط من الخرق وقطعٍ من الجلد. كان لديها ريش وخرز وحجارة صغيرة جميلة منسوجة في شعرها. وبدت بشرتها بنية داكنة ومجعدة. وترتدي فرو ثعلبٍ حول كتفيها.

سألت العمة: «هل سيكون الأمر أسهل بالنسبة لك لو كنت راقدة؟» «أنا...».

«أم من الأسهل أن أصدق أنك كنت على حق

مكتبة ياسمين

طوال هذه السنوات، وأنني أرقد ميتة تحت رماد بيتي؟» واكفهر وجهها.

«لكن كيف؟ كيف نجوت من الموت؟» تذكرت حرارة النار، والسخام الذي أمطر وغطانا أنا وأبي؛ وكيف، في النهاية، لم يتبق شيء سوى القليل من البقايا المتفحمة وذلك الموقد القديم. «لقد سمعت صوت إطلاق النار.. وشاهدت كوخك يحترق حتى آخره».

ضحكت العمَة بمرارة. «هل اعتقدت أنه سيكون من السهل جداً قتلي، سارة؟»

تذكرت باكشوت و فروه المحترق وهو يهرب عبر الغابة. هل كان يتبع عمتي؟

«اقتلني واترك بقاياي تتعفن في الرماد؟»

رجعت خطوةً إلى الوراء، وفجأة شعرت بالخوف. «حاولت إيقافه»، قلت بصوت يرتعش. «حتى أنني حاولت الدخول بعد أن اشتعلت النيران في المنزل، لكن أبي أوقفني».

تقدمت العمة نحو الأمام، وهزت رأسها بخيبة أمل. «لم تحاولي بما فيه الكفاية، سارة».

«وكنت على قيد الحياة كلَ هذا الوقت؟» سألت، غير مصدقة. «أين كنتِ؟»

«ذهبت إلى دياري. عدت الى شعبي. حاولت أن أترك الماضي خلفي لأتمكن من نسيانكم. ولكن، كما ترين، لم أستطع أن أنسى. وكلما اقتربت، كلَ ما كان علي فعله هو النظر إلى يدي». أزالت العمة قفازاتها، وأظهرت يديها وأصابعها مغطاة بندوب بيضاء. «لدي ندوب أخرى على بطني أيضاً، من بندقية والدك. لقد أنتن الجرح. كان الوضع مأساوياً».

فركت عمتي معدتها بيدها اليمنى المليئة بالندوب.

مكتبة ياسمين

رفعت عينيها لتنظر في عيني؛ كانت عيناها سوداوين مثل حفرتين لا قاع لهما. «لكن في بعض الأحيان تكون الندوب التي تؤلم أكثر هي التي تدفن في أعماقنا، أليس هذا صحيحاً يا سارة؟»

لم أقل شيئاً، بل ظلت عيناي مثبتتين على يديها الشاحبتين.

«كنت أعرف أنني سأعود يوماً ما. سأعود وأفي بوعدي: ستدفعين الثمن. ستدفعين ثمن ما فعلته أنت وعائلتك بي. لقد خذلتني، رغم كلَ ما فعلته من أجلك. لقد اهتممت بك وربيتك كما لو كنت طفلتي، وهكذا تردين الجميل بمحاولة حرقي وأنا على قيد الحياة؟»

«لست أنا من فعل ذلك. إنه أبي. كان غاضباً وحزيناً».

ابتسمت ابتسامة شريرة. «الجنون دائما عذر رائع، ألا تعتقدين ذلك؟ عذر قبيح لفعل أشياء فظيعة للآخرين». وظهر بريق صغير في عينيها الداكنتين. «لأطفالِ الآخرين».

أصبح قلبي متجمداً عندما أدركت قصدها الرهيب. «متى عدتِ إلى البلدة؟» حاولت الحفاظ على صوتي هادئاً.

«أوه، منذ بعض الوقت. الوقت الكافي لرؤية عائلتك المسكينة تعاني ما تعانيه. زوجك الأعرج، الذي يقاتل الأرض بدلاً من العمل معها. وابنتك... ابنتك الصغيرة الجميلة. صغيرة جداً. شديدة الرقَة. تشبهك عندما كنت في عمرها».

«جيرتي»، قلت بصوتٍ متعثر. «اسمها جيرتي».

مال فم العمة بابتسامة مؤلمة. «أعلم.. لقد تعرفنا على بعضنا جيداً، أنا وهي».

مكتبة ياسمين

نظرتُ في عينيها، وفي تلك اللحظة، عرفت الحقيقة أخيراً.

أخذت خطوة إلى الوراء، ورفعت البندقية، ووجهتها إلى صدرها. «لم يكن مارتن. أنت من قتل جيرتي».

ضحكت ورمت رأسها إلى الوراء. «ومع ذلك، أشارت الأدلة إلى مارتن، أليس كذلك؟ خاتمه في جيب جيرتي خاتمي الذي عثر عليه في الحقل. أنا لا ألومك على إطلاق النار عليه. لو كنت مكانك لفعلت الشيء نفسه».

«أنا لم أطلق النار عليه. كانت حادثة».

ضحكت العمة حتى ظهرت أسنانها المدببة الملطخة باللون البني.

قلت: «أنت من وضع الخاتم هناك». «لقد أخذته من مارتن بطريقة أو بأخرى. وأنتِ من ترك تلك الملاحظات التي يُفترض أن تكون من جيرتي».

ابتسمت ابتسامة عريضة ومعوجة. «سارة الصغيرة الذكية. نجمتي».

خطوتُ نحو الأمام، ودفعت فوهة البندقية مباشرةً إلى صدرها.

ضحكت وهزّت رأسها في وجهي كما لو كنت طفلة حمقاء مرة أخرى. فتاة صغيرة ببساطة لا تفقه شيئاً.

«هل من الجيد أن تقتليني الآن يا سارة؟ هل سيساعدك استعادة كلَ ما أخذته منك؟ طفلك؟ وزوجك؟ وأخوك ووالدك؟»

قلت: «أنت لم تقتلي والدي».

«لا. لقد قتل نفسه بالشرب. لأنه لم يستطع التعايش مع ما فعله بي».

حدقت في عينيها. جذبتني عيناها إلى الداخل

مكتبة ياسمين

واحتضنتني، وأعادتني عبر الزمن إلى حين كنت طفلةً صغيرة، وكنت أنزل إلى الخور؟ معها يداً بيد.

أنتِ مختلفة عن الاخرين، سارة. أنت تشبهينني.

ربما. ربما أنا أشبه العمة. وربما أنا قادرة مثلها على ارتكاب الجرائم والانتقام. قتل العمة لن يعيد كلّ ما أخذته مني، لكنه سيكون تصرفاً عادلاً. سأقتل العمة. سأقتلها انتقاماً لجيرتي. لمارتن. لأبي وأخي.

لكني تأخرت كثيراً.

في خطوة واحدة سريعة، سحبت العمة البندقية من يدي وأدارتها نحوي، ووجهتها إلى صدري. لقد نسيتُ مدى سرعتها وقوتها.

«لنذهب ونرى ما إذا كان بإمكاننا العثور على جيرتي». قالت، كما لو كان لدي خيار. «لم يتبق سوى ساعات قبل أن تضطر إلى العودة إلى الأرض. أريد أن أشاهد ذلك يحدث. أريد أن أرى وجهك عندما يختفي إلى الأبد الشبح الصغير الحزين الذي أحضرته إلى الحياة».

مكتبة ياسمين

كاثرين
الوقت الحاضر

4 يناير

تحركت كاثرين إلى الأمام بشكل أعمى في البداية، خائفة من أنها إذا أشعلت مصباحها الكاشف سيرون الضوء ويتبعنها. لن يحتجن الكثير من الوقت للعثور عليها. كان عليها أن تعمل بسرعة.

استمر الممر لمدة عشرين قدماً أو نحو ذلك، وأخذها بثبات نحو أسفل، وصارت الجدران تبرد وتقطر، مما تسبب في انزلاق قدميها على الحجر الرطب. كان عليها أن تمشي منحنية، وتدوس بحذرٍ على الصخور وحولها، وأن تشعر بطريقها مثل مخلوق كهفي أعمى.

لم تكن تعرف إلى أين يؤدي بها هذا الطريق. هل كانت البوابة في مكان محدد داخل الكهف؟ أم يمكنها التوقف في أي مكان لتؤدي الطقوس؟

توقفت لالتقاط أنفاسها، والإصغاء. سمعت أصواتاً، لكنها كانت بعيدة، مجرد أصداء. لم ترَ أي بصيص من الضوء من اتجاه الغرفة؛ لا بدّ من أنها باتت بعيدة بما فيه الكفاية الآن لتشغيل مصباحها اليدوي. فاجأها الوميض الساطع ورأت أنها وصلت إلى مفرق طرقٍ.. ترددت، ثم اختارت الاتجاه يساراً. انخفض سقف الممر، لذلك كان عليها الزحف على يديها وركبتيها. وبعد حوالي ستة أقدام وجدت نهاية مسدودة. انزلقت في طريق عودتها وذهبت إلى اليمين هذه المرة، تابعت الالتواءات والانعطافات، وتحركت إلى أسفل، وحشرت عبر الممر الجانبي عندما أصبح ضيقاً جداً. كانت الأمور تسير ببطء، وخمنت كاثرين أنها ستصل وجهتها بعد

مكتبة ياسمين

حوالي 10 أقدام.

تابعي السير، همس غاري. هذا كلّ شيء. لقد اقتربت من وجهتك يا حبيبتي.

لم تعد تسمع أصواتهن خلفها بعد الآن. لقد ابتعدت كثيراً عن الغرفة الرئيسية. وقد سيطرت عليها فكرة مرعبة جديدة: هل سأتمكن من العثور على طريقي للعودة؟ فكرت في جميع الصور التي رأتها في الأفلام - يدخل الناس إلى كهف ويجدونه مليئاً بعظام أولئك الذين لم يتمكنوا من العودة.

كان عليها أن تترك علاماتٍ على الحائط، أو فتات خبزٍ... شيئاً ما، أيّ شيء. كم عدد المنعطفات التي قامت بها؟ انعطافة واحدة نحو اليمين، ثم مفرق طرق. أم كانت انعطافتين نحو اليمين؟

لا تقلقي، سأريك طريق العودة، وعدها غاري هامساً في أذنها اليسرى.

انخفضت الأرض أسفلها فجأة فسقطت وجرحت ركبتها ومرفقها الأيسر. سقط المصباح اليدوي من يدها وانطفأ.

«اللعنة»، صرخت.

عثرت على المصباح اليدوي وأضاءته مجدداً لتتفقد الضرر. لا يزال يعمل، الحمد لله. تمزق بنطالها الجينز، وجرح جلدها ونزف، ولكن لم يكن الوضع بهذا السوء. وجهت الضوء حولها لترى أين انتهى بها المطاف.

كانت في حجرة صغيرة ذات جدران مستديرة. وثمة حفرة نار دائرية في المنتصف، مليئة بالعصي نصف المحترقة. والأرض مغطاة بالتربة الصخرية والحصى. على الجدران المحيطة بها كانت هناك رسومات وكتابة مكتوبة بالفحم والطلاء البني

مكتبة ياسمين

الأحمر «أو كان دماً؟». صور بدائية لجثث مدفونة في الأرض تنهض عائدة إلى أرض الأحياء.

تمت كتابة «إيقاظ الراقد» مراراً وتكراراً، على الأقل مئة مرة.

قالت بصوت عالٍ: «ها نحن ذا». لقد وصلت إلى المكان الذي يجب أن تكون فيه.

باشرت العمل بسرعة، سحبت شمعةً، وأعواد ثقابٍ، وجسد الأرنب، وكاميرا غاري.

وضعت أرنب الثلج على ظهره واستخدمت أصابعها لجس صدره. كان الفراء ناعماً، والقفص الصدري صغيراً ومرناً. ترددت قليلاً ثم استخدمت الشفرة الصغيرة على السكين السويسري لفتح صدر الحيوان أسفل عظم القص، بلطفٍ ودقة. لم يتطلب الأمر الكثير من الضغط. عادت كلّ معلوماتها الجامعية عن علم الأحياء إليها عندما حددت مكان الرئتين والقلب بسهولة وأزالت القلب الصغير بعناية. كان لا يزال دافئاً.

قد تكون كاثرين القديمة حساسة حول هذا الفعل، لكن كاثرين الجديدة نفذت المهمة دون عناء، كما لو أنها فعلت هذا كلّ يوم.

رغم لزوجة أصابعها الملوثة بدماء الأرنب، أشعلت الشمعة وحملت كاميرا غاري.

«غاري، أناديك لتعود إلي. أيها الراقد، استيقظ!» قالت هذا سبع مراتٍ، وكل تكرار أكثر إلحاحاً من سابقه، وأكثر إصراراً، حتى أنها في آخر مرة، كانت تصرخ تقريباً.

غرزت الشفرة الكبيرة للسكين في التربة الصخرية فوجدتها هشَة ورملية. حفرت بالسكين وصنعت ثقباً صغيراً بسهولة وفيه أسقطت القلب وغطته. قالت

مكتبة ياسمين

بصوت عالٍ ومؤكد: «حتى ينبض قلبك مرة أخرى».

بدأت العمل على حفرة أخرى، وحفر التربة بالسكين، ثم جرفت التراب وأزاحته بعيدا بيديها حتى بات الثقب كبيراً بما فيه الكفاية لوضع الكاميرا في الداخل. «شيء يخصك لمساعدتك في العثور على طريقك».

جلست كاثرين وانتظرت. «هيا، غاري»، قالت. «قمت بدوري. إنه دورك الآن».

حبست أنفاسها وانتظرت.

فكرت في غاري وقبلتهما الأولى في استوديو الرسم في الكلية قبل سنوات مضت، ورائحة الطلاء الزيتية والتربنتين في كلّ مكان من حولهما. وكم كانت تتمنى ألا تنتهي تلك القبلة قطَ، حتى يتمكنا من البقاء هناك إلى الأبد في مبنى الرسم، بعمر عشرين عاماً وعاشقين حتى الثمالة. تذكرت كيف أصبحت تلك اللحظة محور حياتهما؛ وكل ما جاء بعد ذلك يدور حولها، كما لو كانت القبلة نفسها عين الإعصار.

سمحت لنفسها أن تتخيل كيف سيكون الأمر عندما تراه مرة أخرى وتحيطه بذراعيها وتشم رائحته وتتذوقه وتتنفسه. ستقول له كلّ الكلمات التي لم تسنح لهما الفرصة لقولها.

طوال سبعة أيام كاملة. يا لها من هبة! يمكن أن يعيشا حياةً كاملةً في سبعة أيام. يمكنهما الحصول على شيء من أوستن من الشقة، والعودة إلى الكهف، وإعادته إلى الحياة أيضاً. سيصبحون عائلة مرة أخرى.

ومع ذلك، كلما طال انتظارها، زاد الشك. ماذا لو لم ينجح الأمر؟

مكتبة ياسمين

أو ماذا لو نجح الأمر، وغاري الذي عاد لم يكن غاري الذي تذكره؟

امتلأ عقلها بالصور من أفلام الزومبي الرهيبة: أشكال الزومبي الشاحبة العفنة والأطراف المفقودة والعويل وهي تشق طريقها عبر أرض الأحياء.

حزمت أغراضها، وقررت عدم الانتظار أكثر من ذلك. عليها أن تغادر وتخرج بسرعة.

بينما كانت تزحف خارج الغرفة، سمعت خطوات قادمة من الممر إلى اليسار، الطريق الذي جاءت منه. كانت خطوات بطيئة وثابتة، قادمة نحوها. والأسوأ من ذلك، كان ثمة صوت خدش صغير يرافق كلّ خطوة، صوت فظيع.

استدارت وركضت في الاتجاه الآخر، ولم تجرؤ على تشغيل مصباحها، بل رفعت يديها بشكل وقائي أمامها وهي تتلمس طريقها بلا حول ولا قوة عبر الظلام.

مكتبة ياسمين

1908
مارتن

31 يناير 1908

تعثر مارتن وهو في طريقه إلى أسفل التل. المنزل.

أجل، المنزل. كان عائداً إلى المنزل.

لقد ظلَ في الغابة لمدة ساعتين على الأقل، يركض في البداية، ثم يمشي، ثم ينهار في النهاية فوق الثلج حيث استلقى محاولاً إقناع نفسه بأنه تخيل وحسب الشخص الموجود في الظلال خلف سارة وأنه جبان جداً لأنه اختار الهرب. لم يكن بحاجة إلى أخيه الطبيب ليخبره أنه لم يعد يملك وقتاً طويلاً. ورفض الموت وسط تلك الغابة البائسة. أراد أن يرى سارة مرة أخيرة ليخبرها بمدى حبه لها، على الرغم من كلَ شيء. وأرادها أن تعرف يقيناً أنه لم يؤذ جيرتي. لا يمكن أن يموت وسارة تعتقد أنه مذنب. لذلك سحب نفسه من الثلج وبدأ في الهبوط البطيء أسفل التل.

ومع كلَ شهيقٍ يتنفسه، كان يشعر بطعنة الألم في الجرح في جانبه الأيسر. لقد أصابته الرصاصة أسفل قفصه الصدري. وبلل الدم قميصه ومعطفه الصوفي الثقيل. ولم يتوقف عن الارتجاف.

كان يترنح الآن، وأنفاسه خشنة بينما يشق طريقه عبر الحقل. الحقل الملعون، حيث نما شيء قطّ. سنة بعد سنة، كان يحرث ويبذر ويزرع بعنايةٍ المحاصيل التي لم تزهر يوماً على الرغم من كلَ جهوده. كلَ ما أنتجته الأرض هو الحجارة والأطباق المكسورة وأكواب الصفيح القديمة، وذات مرةٍ، أنتجت ذلك الخاتم الجميل المنحوت من العظام.

نظر إلى المنزل أمامه، وتذكر حمل سارة عبر

مكتبة ياسمين

المدخل عندما تزوجا. كم كان مغرماً بها. سارة، بشعرها الأحمر البري وعيونها المتلألئة. سارة، التي يمكنها أن ترى المستقبل. تذكرها عندما كانت طفلة صغيرة في ساحة المدرسة، وقالت له: «مارتن شي، أنت الشخص الذي سأتزوجه». وكيف أهداها تلك الكرة الزجاجية السخيفة. كانت لا تزال تحتفظ بها في صندوق صغير مع أسنان جيرتي وكشتباناً فضياً يعود لوالدتها.

ومضات من حياتهما معاً ملات رأسه وقلبه: أعياد الميلاد التي أمضياها معاً؛ وحين ذهبا للرقص في القاعة في بري وانكسرت عجلة العربة في طريق العودة إلى المنزل فكان عليهما قضاء الليلة في العربة، متعانقين تحت معاطفهما والسعادة تغمرهما. جمعتهما ذكريات مؤلمة أيضاً. فقدان الأطفال الذين حملتهم سارة في أحشائها. وموت تشارلز الصغير؛ كيف حضنته سارة بين ذراعيها، رافضةً تركه أو حتى قبول رحيله. وموت جيرتي الحبيبة.

«سارة»، نادى مارتن وهو يمر بالحظيرة، وقدماه تخوضان عبر الثلج. «يا سارة». سقط، وعانى ليقف مجدداً على قدميه، تاركاً الأرض البيضاء ملطخة باللون الأحمر، مثل ملاك الثلج الجريح. ربما ستكون هناك في المدخل تنتظره مع البندقية. ربما هذا ما كان يستحقه.

كدت تصل يا مارتن، قال لنفسه.

نعم، لقد وصل المنزل تقريباً. وأراد، أكثر من أي شيء، أن يدخل ويصعد السلالم للمرة الأخيرة ويستلقي على السرير. أراد من سارة أن تغطيه باللحاف، وأن تستلقي بجانبه، وتمشط شعره.

أمنيات مستحيلة.

سيقول لها: ارو لي قصةً. قصة مغامرةٍ، قصة

مكتبة ياسمين

حياتنا معاً.

عندما جاء عبر الفناء، رأى ظلَ شخص في الخلف، بالقرب من المقبرة الصغيرة. رآه الشخص وانسحب خلف شجرة القيقب القديمة.

اقترب أكثر.

«مرحباً؟» نادى بصوتٍ ضعيف. «سارة؟» لم يكن أحد هناك.

لا بدَ أنَه تخيَل ذلك.

لطالما كان ولداً جامح الخيال. فتى بقلب بطل. فتى واثق بأن ثمة مغامراتٍ كبيرة في انتظاره.

سمع صوت الباب الأمامي يفتحُ خلفه، فاستدار ليرى سارة تتعثر على الدرج. سارة، حبيبته سارة. مشرقة كعادتها.

ولكن ثمة شيء مُختلف. ثمة خطب ما. تحركت بشكل مريب ووجهها تكسوه ملامح الذعر.

خلفها، جاءت امرأة عجوز من المدخل. كانت تحمل بندقية مارتن، وتدفع الفوهة في ظهر سارة.

«سارة؟» نادى مارتن واتجه نحوهما. «ما الذي يحدث؟ من هذه؟»

رفعت سارة رأسها. قالت: «المرأة التي قتلت ابنتنا الصغيرة». ونظرت إليه نظرة ملؤها الألم. قالت: «مارتن، أنا آسفة للغاية». «آسفة لأنني للحظةٍ ظننت أنك أنت من قتلها».

وأنا آسف لأنني كنت على يقين بأنك أنت من قتلها، قال في داخله.

رأى الطريقة التي يلتوي بها وجه المرأة العجوز الشريرة إلى ابتسامة بشعة وعرف أنَ عليه أن يفعل شيئاً. حتى لو كان آخر عمل له هنا على الأرض، عليه أن ينقذ زوجته. حبيبته سارة الجميلة. كيف

مكتبة ياسمين

خطر في باله أنها قد تؤذي جيرتي؟ لقد كان مخطئاً. مخطئاً جداً.

باستخدام آخر ما تبقى من قوته، ركض مارتن وقفز إلى الأمام، ومد يداه إلى البندقية. لكنه بطريقة ما أخطأ الهدف.

كيف أخطأه؟

لقد خذل سارة مرة أخرى. ربما للمرة الأخيرة.

ضحكت المرأة العجوز، وأدارت البندقية، وأرجحتها مثل هراوةٍ وضربته بنهايتها في صدره حيث ينزف.

سقط على الأرض متألماً وحاول التقاط أنفاسه وتحريك أفكاره إلى ما وراء الألم الذي يتردد صداه في كلّ شبر من جسده. على الرغم من أنه حاول النهوض على ركبتيه، فقد انهار مرة أخرى. رفعت المرأة العجوز البندقية وضربته على صدره مرة أخرى. شعر بنفسه يغرق تحت الماء، يغرق في مكان مظلم ودافئ.

كما السرير. في سريرهما، تحت الأغطية، وسارة بين ذراعيه.

توسلت سارة باكيةً: «أرجوكِ». «توقفي».

«ليس قبل أن أنتهي»، ردّت المرأة العجوز. «ليس قبل أن تخسري كلّ ما لديكِ».

سارة... حاول أن ينطق اسمها. ليخبرها أن كلّ شيء على ما يرام، حقاً. لقد استحق هذا. وهي تستحقُّ شخصاً أفضل منه.

أراد أن يقول كلّ هذا لها. أراد أن يخبرها كم كان آسفاً. تمكن من رفع رأسه، وفتح عينيه، ورأى شخصاً آخر يقتربُ عبر الفناء. شخصاً صغيراً يقترب بخطواتٍ بطيئة حاسمة.

مكتبة ياسمين

طفلة. طفلة بشعر أشقر وفستان طويل.

وكانت تحمل فأساً. فأس مارتن. الذي كان يستخدمه لتقطيع الحطب وذبح الدجاج. لطالما حافظ على نصله حاداً لدرجة أنه يمكن أن يقطع الورق. كان بارعاً في العناية بالأشياء والحفاظ عليها مدة طويلة.

لكنك لم تكن قادراً على الاعتناء بزوجتك وابنتك، أليس كذلك؟

تحركت الطفلة إلى الأمام بثبات، اتجهت مباشرة إلى المرأة العجوز التي أدارت البندقية مرة أخرى ووجهتها نحو سارة.

رفعت الطفلة الفأس للأعلى. وما أن استدارت حتى تمكن من رؤية وجهها بوضوح في ضوء القمر.

لا يعقل. «جيرتي؟»

أسقطت الفأس بكل قوتها وغرسته في مؤخرة جمجمة المرأة العجوز. تناثر الدم على وجه الفتاة الصغيرة. وسقطت البندقية، وسقطت المرأة العجوز، وظلت الطفلة تضربها بالفأس حتى مزقت ملابسها وجلدها.

أغلق مارتن عينيه، على أملِ أن ينتهي كلّ شيء.

مارتن؟ مارتن؟» شخص ما كان يهزه ويصفع وجهه. فتح عينيه. كان مستلقياً على جانبه في الفناء، نصف متجمد في الثلج، على الرغم من أنه لم يعد يشعر بالبرد.

كان لوشيوس ينظر إليه وعلى وجهه قناع من الرعب والاشمئزاز. لوشيوس الذي لطالما كان هادئاً وحازماً، كان يرتجف في الواقع. كان قميصه مجعداً وملطخاً بالدماء. «يا إلهي، مارتن، ماذا فعلت؟»

لقد أذيت نفسي، حاول مارتن أن يقول. كان يعلم

مكتبة ياسمين

بأنه يحتضر. كان بإمكانه رؤية ذلك على ملامح وجه لوشيوس. شعر صدره بالثقل، وتحول تنفسه إلى لهاث منهك. سعل، فانطلق رذاذ خفيف من الدم من فمه.

«سارة»، لهث مارتن. مد يده إلى يد أخيه، وأمسكها بإحكام. «عدني أنك ستعتني بسارة».

قال لوشيوس، وهو يسحب يده بعيداً عن مارتن: «لقد فات الأوان قليلاً على ذلك يا أخي»، وتحركت عيناه فوق مارتن إلى شيء خلفه.

رفع مارتن نفسه واستدار للنظر. كان القمر أعلى الآن، يضيء الفناء بضوء أزرق واضح.

رأى كومة من الملابس الممزقة المدماة لا تبعد عنه عشرة أقدام، فستان ومعطف سارة.

«لا».

بجانب الملابس تستلقي جثة امرأة على سرير من الثلج والدم. كانت جلدها مسلوخاً حتى ظهر اللحم رطباً ولامعاً، والجمجمة تلمع في ضوء القمر.

استدار مارتن بعيداً وتقيأ، ومزقت التشنجات صدره المجروح.

ثمَ رأى البندقيةَ.

«كيف أمكنك فعل ذلك؟» سأله لوشيوس بصوتٍ يترنح. كان يبكي الآن. لم ير مارتن أخاه يبكي مذ كانا صغيرين.

قال مارتن: «لست أنا من فعل هذا». لكنه التقط البندقية وأدارها إلى منتصف صدره، واستقر إبهامه على الزناد. «لقد كانت جيرتي».

أغلق مارتن عينيه وضغط على الزناد. شعر بأنه يسقط في السرير أخيراً، دافئاً وآمناً بجانب حبيبته سارة. وكانت جيرتي في آخر الرواق تغني بصوتها

مكتبة ياسمين

المرتفع الرقيق مثل صوت العصفور، وسارة تضغط جسدها على جسده، وتهمس في أذنه:

«أليس من الجيد أن تكون في المنزل؟»

مكتبة ياسمين

روثي
الوقت الحاضر

4 يناير

«أسرعا»، صاحت كانديس بهما. «تابعا السير. لن أسمح باختفاء شخص آخر».

سرن في ممرٍ ضيق، كانديس في المقدمة، ومصباحها الرأسي يتوهج، والمسدس مثبت في يدها اليمنى. لم تكن هناك طريقة لمعرفة الاتجاه الذي ذهبت إليه كاثرين، لذلك اخترن للتو الممر الأقرب إلى المكان الذي كانت تقف فيه عندما رأتها كانديس آخر مرة.

«كاثرين؟» صاحت كانديس. «أليس؟»

بدا أن النفق يتجه نحو الأسفل، أعمق في الأرض. وصار الهواء أكثر كثافة. والجدران صخور خشنة؛ والأرض غير مستوية. لكن على الأقل يمكنهن المشي بشكل مستقيم. ركزت روثي على الحفاظ على تنفسها هادئاً ومنتظماً قدر الإمكان، مع احتساب «واحد، اثنان، ثلاثة» لنفسها مع كلَ استنشاق وزفير. خطوة بخطوة، تحركت نحو الأمام، في محاولة لعدم التفكير في مكان وجودها، وكل ما كان عليها القيام به هو الحفاظ على فون آمنة ومحاولة العثور على الأم.

اقترحت روثي: «كانديس، ربما لا ينبغي لنا أن ننادي عليهما بهذه الطريقة». «ربما يوجد شخص آخر هنا. شخص لا نرغب في جذب انتباهه؟».

استدارت كانديس ونظرت إلى روثي. «من المسؤول هنا؟» صاحت بغضب.

مدت روثي يدها إلى جيب سترتها، ولفت أصابعها حول قبضة المسدس.

مكتبة ياسمين

«أأنت بخير؟» سألت فون.

أومأت أختها الصغيرة برأسها، لكن وجهها بدا محموماً في الضوء الخافت. وضعت روثي يدها على جبهتها فوجدتها تحترق من الحمى مجدداً. اللعنة. نسيت روثي إحضار التايلينول. ماذا يحدث للطفل إذا ارتفعت الحمى أكثر من اللازم؟ تشنجات دماغية، ربما.

كان عليها إخراج فون من هنا، بل لم يكن عليها إحضارها أساساً. كان عليها العودة بها إلى المنزل، وإعطاؤها بعض الأدوية، ووضعها في السرير، و إحضار شخص ما لرعايتها؛ ثم ستجعل باز يعود معها إلى الكهف للبحث عن والدتها.

قالت فون: «تقول ميمي إن هذا مكان سيء». «تقول إننا لن نتمكن جميعاً من الخروج من هنا».

انحنت روثي ونظرت في عيون أختها. «سنخرج من هنا يا فون. أعدك. قريباً»

«صه». همست كانديس؛ وتوقفت فجأةً، ورفعت يدها اليسرى في الهواء بمعنى الانتظار. توقفتا خلفها، تصغيان.

«هل سمعتما؟ صوت خطوات. أمامنا. هيا». تحركت كانديس بسرعة. أخذت روثي يد فون ولحقت بكانديس وهي تنقر على مصباحها اليدوي حتى تتمكن من رؤية الطريق. صادفت هي وفون فتحة ضيقة في الجدار الصخري تقود إلى اليمين. كانت كانديس قد تبعت النفق الرئيسي وسبقتهما الآن، وضوء مصباحها يرتد عن الجدران. أمسكت روثي بيد فون المحمومة بإحكام وسحبت شقيقتها إلى النفق الجانبي. كان عليها أن تنحني قليلاً قبل أن تدخله.

مكتبة ياسمين

همست وهي تهبط عبر الممر وتسحب فون خلفها: «أسرعي».

«إلى أين؟» سألتها فون. «اعتقدت أننا سنبقى جميعاً معاً».

قالت روثي: «لست متأكداً من أن هذه فكرة جيدة». «تلك السيدة مجنونة».

«هاه؟».

«لا تهتمي، فقط ابقي قريبة مني، اتفقنا؟ سأجد مخرجاً من هذا المكان. يمكن أن تحتوي الكهوف على أكثر من مدخل، أليس كذلك؟»

قالت فون: «أعتقد ذلك»؛ ثم همست لميمي بشيء لم تستطع روثي فهمه تماماً.

كان النفق طويلاً بما يكفي لتسير روثي في وضع مستقيم، لكن الفتحة ضاقت حتى أوشكت تعصرها. كافحت لتنزع معطفها، تاركة إياه على أرضية الكهف. كانت الآن تتلوى على طول الجانبين وتحصر بطنها ومؤخرتها بشكل مؤلم على الجدران الصخرية، والمسدس في يدها اليمنى، خلفها، موجهاً بعناية نحو الأسفل؛ تمسك المصباح اليدوي بيدها اليسرى وتمده أمامها لإضاءة الطريق. تبلل ظهرها بالعرق. ولكن أجبرت نفسها على مواصلة التحرك، ومواصلة التنفس.

«كيف حالكِ، أيها الغزال الصغير؟» سألت روثي، غير قادرة على الالتفاف للنظر إلى شقيقتها.

قالت فون: «أنا بخير».

قالت روثي: «ابقي خلفي مباشرة». «حاضر».

أثناء تقدمهما ببطءٍ نحو الأمام، بدا أن شيئاً ما يتغير: اتسع النفق قليلاً وتغيرت حدة الظلام؟ أطفأت روثي مصباحها. كان هناك بالتأكيد ضوء

مكتبة ياسمين

قادم من الأمام. هل نجحتا بطريقة ما بالدوران عائدتين إلى الغرفة الرئيسية التي دخلوها وكانت مضاءة بالمصابيح كلياً؟ قفز قلب روثي فرحاً، هل اقتربتا من الحرية؟

قالت روثي وهي تمد يدها لتضع المصباح اليدوي في جيبها الخلفي: «صه». تسلقتا نحو الأمام ببطءٍ، على أطراف أصابع أقدامهما، وأصبحت الجدران أكثر إشراقاً، واتسع النفق أكثر أثناء تحركهما. انتهى الأمر بالنفق مفتوحاً على كهفٍ لم يكن بالتأكيد الغرفة التي كانتا فيها من قبل. ضغطت روثي ظهرها على جدار النفق وسحبت فون بجانبها، ووضعت إصبعاً على شفتيها. أومأت فون برأسها. رفعت روثي يدها لتقول: ابقي مكانكِ. أومأت فون برأسها مرة أخرى، وقد جحظت عيناها. أمسكت روثي المسدس بإحكامٍ بيدها اليمنى، وسارت نحو الأمام لإلقاء نظرة على الغرفة.

كانت الغرفة على شكل مثلث، أصغر من الغرفة التي دخلوها أول مرة، وذات سقفٍ منخفض. كان هناك منضدة ومصباح زيت يحترق. وخلف الطاولة كرسي واحد جلست عليه امرأة تدير ظهرها لهما.. تعرفت روثي على شكلها وشعرها والسترة الرمادية التي ترتديها جيداً. أرادت أن تناديها، لكنها شعرت بالخطر قريباً. شعرت بأن ثمة خطب ما وكأنه فخ. همست لفون وهي تضغط على أختها مقابل الحائط: «ابقي هنا». «إذا حدث شيء اهربي بسرعة البرق».

أومأت فون إيماءة مذعورة.

تسللت روثي إلى الغرفة وعيناها تلتفتان بحثاً عن أيَ شيء يختبئ في الظلال. لم تجد شيئاً. ما من أثاثٍ آخر، ولا أثر للحياة. ثمة ممر اخر يقود خارج الغرفة، مثل الفم المظلم على الجانب الاخر. كان

مكتبة ياسمين

من الممكن أن يكون هناك شخص ما، أو شيء ما، يختبئ في الظلال هناك، ويراقب. «أمي؟» نادت روثي، وتقدمت نحو الأمام، وهي ترفع المسدس.

عينٌ على الممر المظلم.

لم تستدر أمها. لم تتكلم. حبست روثي أنفاسها وهي تقترب. بدا أن والدتها ترتعش وتتلوى وتعاني من نوبة ما هناك على الكرسي. لقد ذكّرت روثي بامرأة تتحرك بواسطة خيوط خفية.

تجمدت روثي في مكانها خائفة فجأة من أن هذه ربما لم تكن والدتها على الإطلاق، وأنها قد تستدير في أي لحظة ويبدو وجهها رمادياً مثل وجه رجل فضائي أو وحش بشع شاحب يعيش تحت الأرض.

«أمي؟» قالت مرة أخرى بصوت يرتجف ويتردد الآن. أجبرت نفسها على مواصلة المشي خطوة ثم أخرى.

وما إن اقتربت، اكتشفت روثي أن والدتها مقيدة بالكرسي وثمة وشاح يكمم فمها. كان شعرها أشعثاً وملابسها مجعدة وقذرة، لكن عينيها يقظتان، وبدا أنها سليمة.

«أمي». صرخت روثي. «انتظري، سأخرجك من هذا». وضعت المسدس على الطاولة وحاولت فك الوشاح.

«-من فعل بك هذا؟» سألتها حالما فكت الوشاح. «كيف وصلت إلى هنا؟» بدأت روثي العمل على فك حبل القنب الخام الذي ربط والدتها بالكرسي.

«صه»، همست والدتها بصوت تحذيري. «علينا أن نتحرك بهدوء. علينا أن نخرج من هنا. الآن».

صاحت فون «ماما»، وقفزت من الظلال ورمت ذراعيها الصغيرين حول والدتها، ودفنت وجهها في

مكتبة ياسمين

صدرها. كان وجه الأم غارقاً بالقلق نظرت إلى روثي وقالت:

«لم يكن عليك إحضارها إلى هنا».

قالت روثي: «أعلم. إن الأمر معقد».

قالت الأم: «لا بأس». «حلّي وثاقي فحسب.. يجب أن نخرج من هنا».

لم تنجح روثي في حل العقد المعقدة في الحبل السميك. أخذت سكين الكشافة الصغيرة من حقيبتها وبدأت تقطع الحبل بالشفرة الكليلة.

همست والدتها: «أسرعي». «أعتقد أنها ستعود».

«مَن؟» سألت روثي.

أصغت روثي. نعم، كان هناك صوت خطوات قادمة من النفق الذي مروا به للتو. شخص ما يتحرك في اتجاههن.

قالت الأم: «روثي»، ووجهها ملتو في حالة من الذعر، «لا تهتمي بي. يجب أن تأخذي أختك وترحلي. اتبعي الممر الآخر، واهربي. الآن».

قالت روثي بصراحة: «لا، لن نتركك. لقد دخلت حفرة الجحيم هذه لأجدك؛ لن أدعك خلفي الآن».

من خلال الخوف، رأت شيئاً آخر في وجه والدتها، شيئاً أكثر لطفاً. الفخر، أدركت روثي.

توقفت روثي عن العمل على الحبل وأمسكت بالمسدس بكلتا يديها كما شاهدت في الأفلام، ووجهته إلى الممر من خلف ظهر والدتها، على الرغم من أن ذراعيها ترتعشان. كانت خطوات الأقدام الآن أعلى وأقرب، وكان بإمكانهن سماع شخص ما يتنفس بقوة وثقل.

قالت والدتها بهدوء: «لن يساعد المسدس»، بدت وكأنها استسلمت تقريباً لأي مصير ينتظرها. كانت

مكتبة ياسمين

فون تقف عند قدميها الآن وقد التقطت السكين الصغير وراحت تقطع الحبل بحماس.

لم يكن لدى روثي الوقت لتسأل لماذا لن يساعدها المسدس.

اقتحم شخص الغرفة بحركةٍ ضبابية وقعقعة خطواتِ وتنفس ثقيل. أخذت روثي نفساً عميقاً وكانت على وشك الضغط على الزناد حين تعرفت على القادم.

«كاثرين؟» قالت روثي وهي تخفض المسدس. كانت يدا كاثرين مدماة ووجهها متعرقاً ومذعوراً. «ماذا حدث؟»

«هناك شيء قادم» لهثت كاثرين بذعر.

شيء ما، فكرت روثي. هل قالت: شيء ما.

قطعت فون آخر ألياف الحبل.

فقالت والدة روثي، وهي تهز الحبال وتقف: «هيا». «أعرف طريقاً للخروج».

من مكان قريب، كان من المستحيل معرفة من أي اتجاه سمعن صراخاً.

كانديس، فكرت روثي. شيء ما قبض على كانديس.

مكتبة ياسمين

1910

سارة

23 سبتمبر 1910

تطلق علينا جيرتي اسم أهل الشتاء، على الرغم من أنني نفسي لا أزال على قيد الحياة. لكننا نعيش خارج العالم المعروف، على الهامش. والحق يقال، أشعر أنني أكثر بقليل من مجرد شبح.

جيرتي لا تزال غير قادرة على الكلام، لكنها تعمد إلى تهجئة الكلمات في يدي في بعض الأحيان. وإذا ما أغلقت عيني، فإنها تخرج من الظلال وتجلس بجانبي وتمسك بيدي. أصابعها باردة مثل الجليد، ولا يسعني إلا أن أتذلل قليلاً في كلَ مرة تلمسني.

«ج-ا-ئ-ع-ة»، تكتبها في كفي وأخبرها أنَ عليها الانتظار. «عندما يحلَ الظلام، سأذهب لأرى ما يمكنني العثور عليه».

أحياناً تكون لمستها خفيفة جداً لدرجة أنني لا أكون متأكدة من أنها هناك على الإطلاق.

لقد صنعنا لأنفسنا منزلاً داخل الكهف، نفس شبكة الكهوف والأنفاق التي دخلت إليها منذ أكثر من عامين الآن، عندما قررت إعادة جيرتي إلى الحياة أول مرة.

في البداية، بقينا داخل الكهف، نغامر بالخروج إلى الغابة للصيد فقط وإحضار المياه من الجدول. جيرتي لا تظهر نفسها قطّ في النهار. فقط في الليل، عندما تتحرك في الظلال، تظهر مثل ومضةِ من الجلد الشاحب ثم تذهب. كما لو أن لدي صديقاً خيالياً يرافقني طوال الوقت ولكن نادراً ما ألمحه.

مع تضاؤل الإمدادات، بدأت في القيام برحلات منتصف الليل إلى البلدة، حيث يعتقد الجميع أنني

مكتبة ياسمين

ميتة.

إنه لشيء رائع أن تسافر عبر البلدة في ساعات الليل مثل شبحٍ حي. حين يراني الناس يتلون الصلوات ويغلقون الستائر. يغلقون أبوابهم، ويضعون لافتات بتعويذات سحرية على المداخل الأمامية لإبقائي بعيدة. ثم راحوا يضعون لي قرابين تفادياً لغضبي: جراراً من العسل وعملات معدنية وأكياساً من الطحين، وحتى زجاجة صغيرة من الشراب أحياناً.

إنها القوة التي نملكها نحن الأموات على الأحياء!

لقد زرت لوشيوس. لم أستطع منع نفسي. دخلت إلى منزله قبل الفجر مباشرة، ووقفت بجانب سريره، وناديت اسمه بلطف حتى استيقظ. وعندما رأيت كم كان خائفاً أخبرته أنني سأعود من الموت. «هل تعتقد أنني كنت غاضبة عندما كنت حية؟ أنت لا تعرف شيئاً عن جنون الموتى. لا يوجد سرير تربطني به الآن يا حضرة الطبيب»، همست بقسوة في أذنه.

أحياناً أذهب إلى كرانبيري ميدو وأجلس فوق قبر مارتن. أتحدث إليه لساعاتٍ حتى تشرق الشمس، أقول له كلَّ ما حدث، وكل ما أصبحت عليه. وكثيراً ما أقول له كم أنا آسفة.

أحياناً أزور قبري أنا بجانب قبر مارتن مباشرة. ومن الغريب أن أرى اسمي منحوتاً على الحجر: سارة هاريسون شي، الزوجة المحبوبة والأم. والأكثر غرابة أيضاً أن أعرف أن عظام العمة مدفونة في قبري.

سلخ جثة العمة كانت فكرتي الذكية. بعد أن قضت جيرتي عليها، عرفت أنه كان علينا القيام بشيء لإخفاء ما حدث، وكان جسدها مدمراً و جلدها

مكتبة ياسمين

ممزق بالأظافر والأسنان، كما لو أن حيواناً ضارياً هاجمها. تمنيت أيضاً أنه عندما يعثرون على الجثة، سيعتقدون أنها جثتي. عمتي وأنا، على الرغم من اختلافنا في العمر، كان لدينا نفس البنية الهزيلة. وزاد تشابهنا عندما باتت مجردة من الجلد والشعر، ناهيك عن الكثير من الجوانب الأخرى.

لم يكن الأمر أصعب من سلخ حيوان كبير، شيء أنا خبيرة به وعمتي نفسها هي من علمتني إياه. كان من الغريب مدى سهولة رؤية الإنسان مجرد لحم، أو مهمةٍ يجب القيام بها.

الإشاعة التي سمعتها العمة كانت صحيحة: جيرتي استمرت لأنها أراقت الدماء. أعتقد أنها ستستمر إلى الأبد. لكن الحقيقة أنها مجرد ظل للفتاة الصغيرة التي كانت عليها. أحياناً ألقي نظرة على طفلتي الحبيبة المحاصرة هناك، تحت العيون الباهتة لهذا المخلوق الذي تعيش في جسده.

لو كان بوسعي إطلاق سراحها لفعلت.

لكن أفضل ما يمكنني فعله هو أن أبقيها آمنة وأبقي العالم آمناً منها. في الواقع، من آخرين مثلها.

على حدّ علمي، إنها الوحيدة. لكن في بعض الأحيان، يصعد شخص ما التل، شخص فقد زوجاً أو طفلاً وتعلم بطريقة ما أسرار الراقدين ووجود بوابة هنا في ويست هول. وغالباً ما تكون امرأة، وإن كان هناك رجل أو رجلان. أحياناً يكون وجودي كافياً لإخافتها وجعلها تغير رأيها. وفي أحيان أخرى لا شيء يمكنني القيام به أو قوله لثنيها عن دخول الكهف ومحاولة إعادة أحبائها. في هذه الحالة، أترك الأمر لـ جيرتي لتتولى أمرها.

قد يبدو من القسوة إرسال شخص ما إلى حتفه. لكن كلَ ما يتطلبه الأمر هو نظرة واحدة إلى العيون

مكتبة ياسمين

الجوفاء والجائعة للشيء الذي كان ابنتي الصغيرة يوماً، لتعرف أنّ هناك أشياء أسوأ من الموت.

أسوأ بكثير.

مكتبة ياسمين

روثي
الوقت الحاضر

4 يناير

شعرت روثي بدوارٍ في رأسها. شعرت بجسدها كما لو كان مصنوعاً من الرخام البارد والرمادي الصلب. أسرعت بخطى ثقيلة تتبع والدتها عبر الممرات الصخرية الضيقة والالتواءات والانعطافات.

استمرت فون في طرح الأسئلة: «مم نهرب؟»

«من الذي قيدكِ؟ إلى أين تأخذيننا؟» وظلت الأم تقول: «صه يا حبيبتي». «ليس الآن».

وكان لدى كاثرين أسئلة أيضاً: «لقد قابلت زوجي، غاري».

«لماذا كانت حقيبة الكاميرا في منزلك؟»

تجاهلت الأم الأسئلة عابسة. وحذرت من أنه «يجب أن نكون جميعاً هادئين للغاية».

كان لدى روثي أسئلتها الخاصة التي تشتعل في دماغها: أين كانديس، وما الذي جعلها تصرخ؟

ثمة شيء قادم.

صارت التضاريس أكثر صعوبة، ممرات صغيرة وصخور ضخمة يجب الزحف حولها. وضعت فون ميمي داخل قميصها لحمايتها، والآن صار لدى فون المظهر السخيف لطفل حامل يبلغ من العمر ست سنوات.

قادت والدتهما الطريق تمسك مصباحاً يدوياً في إحدى يديها والمسدس الذي وجدوه في غرفة نومها في الأخرى. لكنها استمرت في التردد، تحتاج لحظة طويلة قبل اختيار كلِّ منعطف.

بدأت روثي تشعر أن أمها تدور بهم في دائرة

مكتبة ياسمين

عملاقة.

«ألم نمر من هنا للتو يا أمي؟» سألت روثي.

قالت الأم وهي تنظر حولها مع المصباح اليدوي: «لا، لا أعتقد ذلك».

قالت كاثرين: «اعتقدت أنك تعرفين الطريق».

اعترفت قائلة: «لقد خرجت من هذا الطريق بضع مرات فقط». «أمي، أنا -» بدأت روثي، على وشك أن تقترح عليهم العودة مرة أخرى إلى الغرفة الأولى، والخروج من الطريق الذي دخلوا منه.

«اصمتي. دعيني أفكر»، قاطعتها أمها.

كانت ملابس روثي مبللة بالعرق وباردة حتى العظام. أسنانها تصطك وجسدها يؤلمها. شعرت أن دماغها مشوش وثمة شيء واحد فقط تعرفه بالتأكيد: كان عليها الخروج من هذا الكهف.

قالت كاثرين، وهي تنظر فجأة إلى اليسار وتمشي بضع خطوات في هذا الاتجاه: «أعتقد أنني أشعر بنسيم».

قالت روثي: «لقد كنا للتو هنا».

«لا، لا أعتقد ذلك» قالت كاثرين. كانت تتحرك بسرعة بل تركض تقريباً وتقفز فوق الصخور وتصطدم بجدران الصخور الخشنة مثل كرة الدبابيس. سرعان ما استدارت في زاوية وصارت بعيدة عن الأنظار؛ تبعتها روثي وفون، ووالدتهما على بعد بضع خطوات إلى الوراء.

«كاثرين؟» صاحت روثي. «انتظري».

«يا إلهي». صرخت كاثرين من الأمام، بصوت عالٍ وخائف. «لا».

عندما انعطفوا حول الزاوية، ألقت روثي نظرة على ما كان يظهره مصباح كاثرين. توقفت عن

مكتبة ياسمين

الركض وتيبس جسدها. انحنت إلى أسفل وحضنت شقيقتها وشدتها نحوها.

قالت روثي: «اغمضي عينيك يا فون»، فضغطت شقيقتها الصغيرة جبينها على كتف روثي. «ابقي عينيك مغمضتين حتى أقول افتحيهما، حسناً؟»

أجابت فون: «حسناً». «وعد؟»

قالت فون وهي تمسك كتفي روثي بإحكام: «أقسم». تحركت روثي إلى الأمام ببطء.

كانت كاثرين تقف فوق كانديس التي استلقت على أرضية الممر. كانت مرمية على ظهرها، وعيناها مفتوحتان. كان المسدس على الأرض بجانبها وكذلك المصباح اليدوي، لا يزال مضاءً وشعاعه يضيء الأرض. لقد قطع حلقها. في يدها اليمنى كانت هناك مجموعة من الصفحات الصفراء المغطاة بمشبك أنيق: صفحات مذكرات سارة المفقودة.

قالت روثي: «لقد حصلت على ما جاءت من أجله»، دون أن تقصد أن تقوله بصوت عالٍ.

قالت كاثرين، شاحبة ومرتجفة: «يا إلهي». أخذت خطوةً للوراء. «ما بك؟».

همست فون، وأصابعها الصغيرة تعجن أكتاف روثي، وتقرص وتلوي الجلد من خلال طبقات من الملابس.

قالت روثي: «لا تقلقي، أيها الغزال الصغير». «فقط استمري بإغلاق عينيك».

لحقت بهن والدة روثي.

همست كاثرين وهي تنحني وتصوب شعاع مصباحها إلى حلق كانديس المقطوع: «يبدو أن حيواناً مضغ عنقها».

قالت والدة روثي بهدوء: «ليس حيواناً». ركعت

مكتبة ياسمين

وأمسكت صفحات المذكرات التي تلوثت بالدم. «علينا أن نتابع السير».

«هل تشعرن بذلك؟» سألت كاثرين. «هناك بالتأكيد نسيم قادم من هناك». خطت حول جثة كانديس وسارعت إلى أسفل الممر، دون النظر إلى الوراء.

تبعتها روثي، وتعلقت فون بصدرها مثل قردٍ صغير. نعم، كان هناك نسيم وتغيير في الهواء. لم تنظر إلى الوراء أيضاً، لكنها كانت متأكدة من أنها شعرت بعيون تراقبهن من الظلال.

مكتبة ياسمين

روثي

جلست روثي مع والدتها وفون وكاثرين على طاولة المطبخ. حضرت الأم القهوة وسخنت خبز الموز من الفريزر؛ كان ينبغي للرائحة أن تريح روثي، لكنها شعرت بالغثيان. فالانتقال من صمت الكهف المظلم الخالي من الهواء إلى هذا العالم المليء بالضوء والألوان والروائح والصوت، كان فوق طاقة احتمالها. لم تلمس إحداهن أكواب القهوة وأطباق خبز الموز.

أعطت الأم فون التايلينول وكوباً من الشاي العشبي وحاولت وضعها في السرير، لكن فون احتجت، ولم ترغب في تفويت أي شيء. جلست في حضن أمها وميمي بين ذراعيها، وبذلت قصارى جهدها للبقاء مستيقظة.

استمرت كاثرين تضايق والدة روثي بأسئلة مستمرة حول غاري، وسألت فون مراراً وتكراراً عن كيفية وصولها إلى الكهوف ولماذا وجدوها مقيدة. وعدتهن الأم: «سأخبركن بالقصة بأكملها من البداية»..

«لقد جئنا أنا ووالدك إلى هنا قبل ستة عشر عاماً. أصدقاؤنا توم وبريجيت اتصلا بنا وقالا أنهما سيحصلان على شيء سيغير العالم، سيجعلهما أغنياء بما يتجاوز الأحلام. وإذا ساعدناهما، سيشاركوننا الثروة. بدا الأمر مثيراً للغاية، دعوة رائعة للمغامرة». بدت مصابيح المطبخ ساطعة للغاية كأنها تنبض،

جنباً إلى جنب مع الألم النابض في رأس روثي. أرادت أن تصعد إلى غرفتها وتنام، وتضع رأسها تحت الأغطية وتحاول أن تنسى كلَ ما حدث خلال الأيام الثلاثة الماضية.

مكتبة ياسمين

شعرت الأم ببؤس روثي كما فعلت دوماً، ومدت يدها لتأخذ يد روثي. ضغطت روثي على يد والدتها بوهن، لكنها سحبت يدها ووضعتها على حضنها، حيث بدت عديمة الفائدة. يد عارضة أزياء.

حركت كاثرين قهوتها بلا توقف والملعقة تدق على حواف القدح مثل جرس الإنذار. قالت وهي تقاطع القصة: «من فضلك». «فقط أخبرني كيف وجدك غاري. كيف انتهى بك الأمر مع حقيبة الكاميرا. ماذا حدث في ذلك اليوم؟»

نظرت والدة روثي إلى كاثرين من فوق نظارتها وأعطتها إيماءة صبورة. «سأصل إلى كلّ ذلك. أعدك. ولكن من أجل فهم الحقيقة، عليكِ سماع كلّ شيء من البداية».

أغلقت روثي عينيها وهي تستمع إلى قصة والدتها، كما حين كانت صغيرة وتروي لها والدتها حكاية «هانسل وجريتل» و «ذات الرداء الأحمر الصغيرة». كانت هذه أيضاً مثل القصص الخيالية: ذات مرة، كانت هناك فتاة صغيرة اسمها هانا تحب الذهاب إلى مخبز يسمى فيتزجيرالد مع والدتها. والدتها ووالدها أحباها كثيراً. أرادا الأفضل لها. وشعرا أن مفتاح ثروتهما وسعادتهم يمكن العثور عليه من هذه الصفحات التي روت سراً مروعاً: كيفية بعث الموتى.

وكما هو الحال في جميع القصص الخيالية، كان هناك إراقة للدماء، كان هناك خسارة. قالت والدة روثي: «كان عصر يومِ ربيعي بارد»..

«وخرجنا جميعاً إلى الغابة للبحث عن هذه البوابة التي ذكرت في صفحات اليوميات التي بحوزة توم وبريجيت». ونظرت إلى روثي مبتسمة. «كنت ترتدين فستاناً ومعطفاً صغيراً جميلاً، وتحملين

مكتبة ياسمين

دمية دب».

«كما في تلك الصورة؟» قالت روثي وهي تتذكر الصورة، والابتسامة السعيدة على وجهها. «تلك التي لدينا في صندوق الأحذية؟»

أومأت الأم برأسها. «لقد التقطت هذه الصورة قبل أن نغادر في طريقنا إلى أعلى التل». نظرت إلى كوب القهوة، ثم واصلت قصتها.

«كان الطقس جميلاً في الغابة والأشجار تفقد أوراقها والطيور تغني. تحدث توم وجيمس عن الكتب؛ وكنت أنت تدندنين أغانٍ لطيفة. عندما تعبت من المشي حملتك والدتك. وعندما اقتربنا من قمة التل، رأينا فتاة صغيرة تختبئ خلف شجرة. نادينا عليها لكنها هربت. لم يكن لديها معطف أو حذاء.

«وشعرها أشعث ومتشابك.. طاردناها طوال الطريق إلى يد الشيطان، لكنها اختفت في الصخور. ثم بحثنا، ووجد توم الكهف مفتوحاً وأصر على أن ندخل. كان علينا مساعدة هذه الفتاة الصغيرة المسكينة. من الواضح أنها كانت ضائعة ووحيدة».

«دخلنا جميعاً إلى الكهف؟» سألت روثي.

أومأت والدتها برأسها. «ما كان ينبغي لنا أن نفعل ذلك. لكننا لم نعلم. كيف لنا أن نعلم؟ لم يخطر ببالنا أن البوابة هناك، أو أن هذه الفتاة الصغيرة لها أي علاقة بها. لقد رأينا للتو طفلة في ورطة وأردنا المساعدة. أعتقد أننا نسينا كلّ شيء آخر».

صمتت الأم للحظة طويلة. لم يصدر أحد صوتاً. أخيراً أخذت نفساً عميقاً واستمرت.

«كان الظلام حالكاً؛ ويتقدمنا توم وبريجيت. عندما وصلنا إلى الغرفة الأولى، رأينا على الفور أن شخصاً

مكتبة ياسمين

ما يعيش هناك. كان هناك مصباحان يشتعلان. ظنّ توم أنه سمع خطوات في أحد الأنفاق. دخل هو وبريجيت، و...»

«قتلتهما؟» سألت روثي.

أومأت الأم برأسها. حدث كلّ شيء بسرعة. لم نستطع فعل أي شيء. حملك جيمس بين ذراعيه، وهربنا».

الراقدة قتلت والديها. ولكن كان هناك جيمس وأليس واشبورن اللطيفين لأخذها وتربيتها على أنها ابنتهما.

قالت والدتها: «اعتقدت أنه قدر لنا أن نكون هنا لهذا السبب بالذات». «لإنقاذك، ورعايتك. عرفت دون شك عندما ضممتك إلى صدري ذلك اليوم بأنّنا سنكون أهلكِ. كان ذلك قدرنا».

كررت فون لميمي: «القدر».

هزت روثي رأسها. القدر، المصير، من المفترض أن يكون، خطة الله. لطالما أثار هذا النوع من الحديث أعصاب روثي. والإشارة إلى أن مقتل والديها الحقيقيين كان مكتوباً من السماء أضافت إهانة لمصابها.

«لكن لماذا لم نغادر المكان؟» أرادت روثي أن تعرف. «لقد قتل هذا الشيء والديّ وبقينا نعيش هنا رغم ذلك؟ هل قررتم حقاً أن علينا العيش هنا؟ «كنتما تعرفان ما الذي يعيش هناك».

لقد فهمت الآن من يكون الوحش القاطن في الغابة، إنه جيرتي، الصغيرة الراقدة، التي استيقظت إلى الأبد، تماماً كما حذرت العمة.

شيء ما قتل كانديس، مزق حلقها كالحيوان. ووجود جيرتي يفسر ما حدث لويلا لوس، وللفتى

مكتبة ياسمين

الصغير في عام 1952، وللصياد المفقود، ويفسر حتى بعض القصص التي رواها باز وأصدقاؤه. تذكرت تحذيرات والديها عندما كانت صغيرة: ابتعدي عن الغابة. أشياء سيئة تحدث للفتيات الصغيرات اللواتي يضعن هناك.

أومأت والدتها برأسها. «نعم، كنت أعرف من الذي يعيش في الكهف. بحلول الوقت الذي عدنا فيه إلى المنزل في ذلك اليوم، أدركنا أنا ووالدك من تكون على الرغم من أننا بالكاد صدقنا ذلك».

«من كانت يا ماما؟ من كان في الكهف؟» سألتها فون.

«فتاة صغيرة تدعى جيرتي. لكنها لم تكن فتاة صغيرة عادية. كانت راقدة».

«قالت روثي إن الراقدين ليسوا حقيقيين». نظرت فون بريبة إلى روثي.

قالت والدتهما: «إنهم حقيقيون». هدأت لبرهةٍ ثم تابعت.

«على أي حال، عدنا إلى المنزل. اعتقد والدك أنّ علينا الرحيل وأن نبتعد قدر الإمكان بأسرع ما يمكننا. لكنني شعرت أننا بحاجة إلى محاولة القيام بشيء ما لإيجاد طريقة لحماية الناس منها، ومنع ما حدث لتوم وبريجيت من الحدوث مرة أخرى. وأقنعته بذلك».. صمتت مرة أخرى، وكسرت خبز الموز، ووضعت القطع في طبقها.

«عادت في ذلك المساء». «من؟» سألت روثي.

«جيرتي. سمعت خربشة في الخزانة في الطابق العلوي وفتحت الباب، وكانت هناك. ظننت أنني سأموت من الخوف، لكن جيرتي بدت متأسفة جداً، حزينة جداً ووحيدة. لم تستطع إخفاء ما كانت

مكتبة ياسمين

عليه. لقد تحدثت معها. عقدت صفقة معها. إذا بقينا أنا ووالدك هنا ستسمح لنا بزيارتها في الكهف. كنا نمضي الوقت برفقتها ونحضر لها الهدايا ونساعدها في إيجاد طريقة للحصول على الطعام، ووعدتنا بأنها لن تؤذينا أبداً. لا يمكنها التحدث، ولا أعتقد أن أياً منهم يمكنه ذلك. لكنها تومئ برأسها، حتى أنها ابتسمت لي».

أومأت روثي برأسها بخدر، ولا تزال غير قادرة على تصديق القصة الخيالية التي كانت ترويها والدتها. «إذن أنت تقولين في الأساس أنك تبنيت فتاتين صغيرتين في ذلك اليوم؟»

قالت والدتها: «نعم». «لكن واحدة منهما كانت عبئاً ومسؤولية أكبر بكثير. اعتقدت أن الأمر متروك لنا لمساعدتها، والحفاظ على العالم آمناً منها. اعتقدت أيضاً أنه من مسؤوليتنا - مسؤولية والدك ومسؤوليتي - التأكد من عدم تمكن أي شخص آخر من صنع راقدٍ آخر. كان علينا أن نحافظ على هذه المعرفة محمية بأمان».

«إذن لم تتلف صفحات اليوميات؟» سألت كاثرين. «هل كانت لديك طوال الوقت؟»

كانت كانديس محقة بشأن هذا الجزء. لقد حصلت على دليلها في النهاية، لكنها ماتت من أجله.

هزت والدة روثي رأسها. «لم تكن الصفحات ملكنا لتدميرها. لم يبد ذلك صواباً. لذلك أخفيناها في الكهوف، مع جيرتي لحراستها، وأخبرنا كانديس أنها اختفت لأنها أرادت فقط بيعها لكسب المال. كنا نعلم أن هناك المزيد من الصفحات هناك، والتعليمات النهائية والخريطة، وأنها ستظهر يوماً ما».

قالت كاثرين: «وجدها غاري». بدت متعبة جداً وشاحبة الوجه بالكامل، حتى شفتيها. «وجاء إلى

مكتبة ياسمين

هنا والصفحات بحوزته. كانت لديه رسالة العمة الأصلية إلى سارة، والخريطة التي رسمتها والتي توضح موقع البوابة في الكهف».

أومأت والدة روثي برأسها. «جاء إلى المنزل بعد أن وجد الكهف. قادته الخريطة إليه مباشرة. لقد رأى جيرتي هناك. التقط صورتها. لقد عرف كلَّ شيء. وكان مصمماً تماماً على العودة إلى المنزل وأخذ شيء من ابنك، ثم العودة والقيام بالتعويذة لإعادته إلى الحياة. رفض الإذعان لي. حاولت أن أشرح له ما سيحدث والكابوس الذي سيعيش فيه. لكنه كان مصمماً. توسلت إليه أن يناقش الأمر معي أكثر. ذهبنا لتناول الغداء في البلدة. لقد حاولت كلَّ ما يمكنني التفكير به من سبلٍ لإقناعه. أخبرته كلَّ شيء عن جيرتي. لقد عرضت عليه المال حتى، رغم أني لا أملكه. لكنه اتخذ قراره».

أدارت كاثرين الخاتم حول إصبعها، الخاتم الذي كانت ترتديه فوق خاتم زواجها الذهبي. خاتم العمة.

فركت والدة روثي عينيها. «تبعته خارج البلدة بعد ظهر ذلك اليوم. لم أعرف ما الذي عليّ فعله. اعتقدت أنه ربما يمكنني إجباره على التوقف، وأنني سأجد طريقة ما لحمله على تغيير رأيه. لم أستطع السماح له بالعودة إلى بوسطن مع تلك الصور. إذ لو أنه أخبر أي شخص، أو انتشر الخبر...»

أمسكت الأم رأسها، ومال جسدها بالكامل نحو الأمام مكسوراً. نقلت فون نظرها بين والدتها وروثي، ثم إلى كاثرين، في حيرة من أمرها.

«كان يقود بسرعة كبيرة. ربما لو لم أكن أتبعه عن كثب...»

«هل... هل رأيت الحادث؟» قالت كاثرين وهي تتمايل قليلاً في كرسيها تحت وقع الكلمات. وضعت

مكتبة ياسمين

يدها على الطاولة لتثبت نفسها.

أومأت والدة روثي برأسها ونظرت إلى يديها التي وضعتها باستسلام فوق الطاولة. «لقد كان أمامي مباشرة يدور حول منعطف. أخذ الزاوية بسرعة كبيرة وفقد السيطرة. لقد حدث كلّ شيء بسرعة؛ لم يكن هناك ما يوقفه.

«توقفت وركضت إلى سيارته، ولكن بمجرد وصولي إلى هناك، عرفت أنه لا يوجد شيء يمكنني القيام به. لقد فارق الحياة».

أصدرت كاثرين صوت نشيجٍ هادئ ووضعت وجهها بين يديها.

«كانت حقيبة ظهره هناك، على مقعد الراكب، بجانبه. قبل أن أتمكن من التفكير في الأمر كثيراً، مددت يدي وأخذتها».

رفعت والدتها رأسها، ونظرت مباشرة إلى روثي. كانت عيناها الزرقاوان مملوءتين بالدموع، لكن خلفهما كانت نظرة حازمة. «لم أستطع السماح لأي شخص بالعثور على الأوراق التي بحوزته أو رؤية الصور على كاميرته. كنت أعرف أن علي إخفاء الأوراق مع الأشياء الأخرى في الكهف، حيث لن يجدها أحد. أنت لا تفهمين ما يمكن للراقد أن يفعله. إذا انتشر الخبر، إذا صنع المزيد...» هزت والدتها رأسها. «هل يمكن أن تتخيلي ما يمكن أن يحدث؟»

التفت الجميع ونظروا إلى كاثرين، منتظرين. جلست أمامهن بوجه متصلب، تحدق مباشرة نحو الأمام في اللا شيء بعيون داكنة مجوفة.

«اعتقد أننا جميعاً نفعل ما نظن أنه الخيار الأفضل»، قالت كاثرين ووقفت تترنح قليلاً وقد اعتراها شحوب رهيب. «أحياناً نرتكب أخطاء فظيعة، وأحياناً نفعل الصواب. وأحياناً لا نعرف قط.

مكتبة ياسمين

ونستسلم لأي بارقة أمل». قالت هذا ونهضت لتغادر المطبخ، لكنها توقفت على الفور. «هل يمكن أن تخبريني شيئاً آخر؟» سألت.

قالت والدة روثي: «أي شيء». «ما الذي طلبه؟»

«عفواً؟»

«في مطعم لولو، عندما تناولتما الغداء. ما الذي تناوله غاري؟»

بدت والدة روثي في حيرة، ثم أجابت. «شطيرة ديك رومي وكوباً من القهوة».

ابتسمت كاثرين. «جيد». «كان ذلك دائماً المفضل لديه».

مكتبة ياسمين

روثي
الوقت الحاضر

5 يناير

استيقظت روثي على الأصوات المألوفة والمريحة لأمها التي تعد الإفطار في الطابق السفلي. كانت هناك رائحة القهوة واللحم المقدد ولفائف القرفة. سحبت نفسها من السرير ونزلت إلى المطبخ.

قالت الأم: «صباح الخير». نظرت روثي إلى والدتها وإلى المطبخ، وعندئذٍ، في تلك اللحظة فقط، سمحت لنفسها بتخيل أن كلَ ما حدث في الأيام القليلة الماضية كان كابوساً.

ثم كسرت أمها التعويذة.

قالت: «روثي، أعرف أن لديك الكثير لتسألي عنه، وأريدك فقط أن تعرفي أنه إذا كان لديك أي أسئلة، أو أي شيء تريدين أن أفسره أكثر، فأنا هنا».

قالت روثي وهي تعد القهوة لنفسها: «شكراً».

«أتعلمين، أنا ووالدك رأيناك هديةً عظيمة لنا. لم نكن لنحبك أكثر من ذلك، ولم يكن يهم أبداً أنك لم تكوني طفلتنا البيولوجية».

أومأت روثي برأسها، وشعرت أن وجهها يصطبغ باللون الوردي.

«أنا آسفة لإخفاء الحقيقة عنك. وأكثر أسفاً لأنه كان عليك معرفة كلَ شيء بهذه الطريقة».

لم تكن روثي متأكدة مما تقوله.

«والآن بعد أن عرفت القصة بأكملها، هناك شيء أريدك أن تفكري فيه. أنا أعلم كم يعني الذهاب إلى الكلية بالنسبة لك، وإن كنت مستعدة، سنجد وسيلة لتحقيق ذلك. لكنني لست صغيرة السن.

مكتبة ياسمين

وأحتاج شخصاً يعتني بجيرتي عندما لا أعود قادرة على ذلك. بصراحة، يمكنني الاستفادة من بعض المساعدة في ذلك الآن. إنها مسؤولية كبيرة لشخص واحد فقط، ومع رحيل والدك، أخشى أنني لم أتمكن من إعطائها الاهتمام الذي تحتاجه. إنها تحب حقاً أن يكون معها شخص ما. إنها تشعر بالوحدة».

استدارت والدتها عائدة إلى الموقد، تقلّب اللحم المقدد، وفتحت باب الفرن للتحقق من لفائف القرفة، ثم مسحت يديها بمئزرها وتابعت.

«لطالما كان لدى جيرتي نوع من... الألفة مع تلك الخزانة في غرفة نومي. عندما لا أتمكن من الذهاب إلى الكهف في كثير من الأحيان بما يكفي لإرضائها، كنت أجدها في الخزانة. لقد كنت خائفة جداً من أن تقابل إحداكما في يوم من الأيام. لقد أغلقتها مؤخراً فقط لتثبيط عزيمتها. لكن هذا أثار غضبها. «عندما جاءت في تلك الليلة، كان ثمة غضب ويأس في عينيها لم أره من قبل؛ اعتقدت أنني أدرت ظهري لها. اضطررت للذهاب معها - لم يكن لدي خيار. كنت خائفة مما قد تفعله إذا رفضت، خائفة من أن تؤذيك أنتِ وأختك».

أخذت أليس إبريق القهوة واقتربت لتملأ فنجان قهوة روثي، لكن روثي لم تكن قد أخذت رشفة منه بعد. ملأت كوبها بدلاً من ذلك، وحركت فيه الكثير من الحليب والسكر.

«لكن هذه المرة لم تدعني جيرتي أذهب. أبقتني مقيدة بالكرسي، وطلبت مني أن أروي لها قصصاً. إنها قوية جداً. وعندما سمعتكن جميعاً تدخلن الكهف، عززت وثاقي، وحتى كممت فمي حتى لا أتمكن من النداء لتحذيركن». أخذت والدتها رشفة

مكتبة ياسمين

طويلة وبطيئة من القهوة ونظرت من النافذة نحو التل.

«إذن أنت تفهمين، أليس كذلك؟ علينا أن نعمل بجد، ونبذل قصارى جهدنا لمنع أشياء مثل التي حدثت مع ويلا لوس من الحدوث مرة أخرى. ما حدث لويلا كان لأنني فشلت في القيام بعملي. ولكن إذا حصلت على مساعدتك، فقد تكون الأمور مختلفة».

نظرت روثي إلى والدتها التي ابتسمت في وجهها ابتسامة لطيفة ومحبة.

«لا بدَ من الحفاظ على أسرار عائلتنا آمنة؛ والحفاظ على سلامة الجميع في البلدة. أريدك فقط أن تفكري في الأمر، هذا كلَ شيء».

تعثرت فون في طريقها إلى المطبخ، وهي ترتدي بيجاما وردية القدمين وتحمل ميمي.

«والآن، من مستعد لكعك القرفة؟» سألت الأم بفرح، وفتحت الفرن.

بعد الإفطار، تسللت الفتاتان إلى غرفة نوم والدتهما بينما كانت في الطابق السفلي تغسل الأطباق.

«أهذا حقيقي؟» تسأل فون عندما جلستا وحدهما فوق الثقب السري في الأرض. «أننا لسنا شقيقتين؟» نظرت إلى أسفل مكان الاختباء.

مدت روثي يدها إلى فون، ورفعت وجهها حتى أغلقت عينيها. «أنت أختي، فون. أنت دائماً أختي. لا شيء يمكنه تغيير هذا».

ابتسمت فون، وانحنت روثي وقبلت جبينها. جمعتا كلَ صفحات اليوميات، ومحفظتي توم وبريجيت، والمسدس. ووضعتا كلَ ذلك داخل

مكتبة ياسمين

حقيبة ظهر فون، لتحملانه إلى البئر.

«هل أنت متأكدة من أنها فكرة جيدة؟» سألت فون مرة أخرى. «ستكون أمي غاضبة حقاً عندما تكتشف أننا أخذنا كلَ هذا».

أومأت روثي برأسها. «سيكون كلَ شيء على ما يرام. هذا ما يجب أن نفعله. لم تكن أمي قادرة على التخلص من أي من هذا، لقد شعرت بالذنب الشديد أو شيء من هذا القبيل، وأنا أفهم ذلك، ولكن انظري إلى كلِ المشاكل التي تسببت فيها. طالما أن هذه الأوراق لا تزال موجودة، فإن الناس على استعداد للقيام بأشياء مجنونة للحصول عليها. وما دامت التعليمات موجودة، فلا يزال من الممكن صنع الراقدين».

نظرت فون إلى روثي نظرة محيرة. «إذن الوحوش حقيقية».

أخذت روثي نفساً عميقاً. قالت: «نعم». «ولكنهم لا يستطيعون تفادي ما هم عليه. في الحقيقة أنا أشعر بالأسى على جيرتي. لم تطلب أياً من هذا».

كانت الغابة ساكنة عندما صعدت الفتاتان أعلى التل للبحث عن البئر القديم. اتخذتا طريقهما عبر البستان وعبر المكان الذي وجدت فيه روثي والدهما يمسك بفأسه. وصعدتا إلى الأعلى وازداد الممر انحداراً عندما اقتربتا من يد الشيطان. كانت الصخور تخرج من تحت السجادة الطازجة للثلج، بعضها طويل وخشن، وبعضها ناعم ومستدير مثل البيض العملاق. بمجرد وصولهما إلى القمة، توقفتا تحت صخور الأصابع العملاقة الخمسة. بحثت روثي عن فتحة الكهف، ولكن كان الحجر قد أعيد إلى مكانه ودفن تحت انجراف جديد من الثلج. لم يكن هناك تغريدة عصفور حتى ولا علامة على

مكتبة ياسمين

الحياة. فقط الصوت العرضي لكتل من الثلج تنزلق من الفروع وتضرب الأرض.

عندما اكتشفتا أخيرا البئر القديم، إلى الشمال من يد الشيطان، كانتا تلهثان من التعب، ولكن سعيدتان بالعثور عليه أخيراً.

«هذا هو المكان الذي توفيت فيه جيرتي؟» سألت فون، وأنفاسها تخرج في نفخات غائمة. كانت تمسك بميمي الدمية بإحكام بين ذراعيها.

أومأت روثي برأسها ونظرت إلى أسفل دائرة الحجر الميداني المحيطة بثقب مظلم كبير بدا وكأن لا نهاية له.

حاولت تخيل سقوطها فيه، والنظر إلى دائرة ضوء النهار الساطعة تبتعد أكثر فأكثر، حتى تصبح مثل قرص القمر البعيد.

وقفت الفتاتان ملفوفتين في معاطفهما الشتوية وأحذية الثلج المربوطة بأقدامهما. كانت الشمس قد أشرقت للتو فوق التل، وبإمكانهما رؤية توهجها الضبابي عبر الأشجار. بدت الغابة المحيطة بهما مبطنة بالأبيض. والرياح ساكنة. بدا الأمر كما لو أن العالم كله نائم وأنهما الوحيدتان اللتان استيقظتا.

قالت فون: «إذن يبدو هذا صواباً». أنزلت حقيبة الظهر الصغيرة التي تحملها وفتحتها، وسحبت صفحات اليوميات منها وسلمتها لأختها. قالت: «أعتقد أن عليك أنت أن تفعلي ذلك»، وبدت فجأة فتاة أكبر سناً، أو سيدة عجوز حكيمة عالقة في جسد طفل. «أنت قريبتها».

حملت روثي الصفحات في يديها؛ كان الحبر باهتاً والورق ملطخاً ومجعداً وقد تلوث بدم كانديس. وهناك، بخطٍ مائل، كانت كلمات العمة البعيدة. تعليمات خلق الراقدين التي نسخت من رسالة

مكتبة ياسمين

العمة.

تتبعت الجمل بإصبعها، معتقدة أن والديها الحقيقيين، توم وبريجيت، كانا يمسكان هذه الجمل ذات مرة في أيديهما معتقدين أنهما سيغيران العالم، ويصبحان أغنياء، ويصنعان حياة أفضل لابنتهما.

ثم كانت هناك الصفحات التي وجدها غاري: رسالة العمة إلى سارة، الخريطة التي رسمتها، والمزيد من الملاحظات من سارة.

كان كلّ شيء هناك، قصة سارة وقصة العمة. وحتى قصَة روثي.

وقصة فتاة صغيرة ماتت، تدعى جيرتي. فتاة أحبتها أمها كثيراً فلم تسمح لها بالرحيل. لذا أعادتها إلى الحياة.

بيدَ أنَ العالم الذي عادت إليه لم يكن نفسه.

ولم تكن هي نفسها.

رمت روثي الأوراق في البئر ورقة تلو الأخرى، وشاهدتها ترفرف مثل الفراشات الشاحبة المكسورة، مثل رقائق الثلج، أسفل، فأسفل، حتى لم تعد تراها.

«هذا يعني أنه لم يعد بالإمكان صنع المزيد، أليس كذلك؟» سألتها فون. قالت روثي وهي تشاهد الصفحة الأخيرة تسقط: «نعم». كانت تعرف في تلك اللحظة ما ستفعله.

كانت ستبقى في ويست هول وتساعد والدتها في حراسة التل، حارسة لأسراره. ابتسمت وهي تفكر في الأمر، كم بدا الأمر بسيطاً حقاً، مثل شيء كان من المفترض أن يكون؛ أو مثل القدر.

عندئذٍ، شعرت بحركة ما، استدارت روثي في الوقت المناسب لإلقاء نظرة خاطفة على فتاة

مكتبة ياسمين

صغيرة في ملابس خشنة ووجه شاحب يختلس النظر من وراء الشجرة.

ابتسمت لهما، ثم انسحبت مرة أخرى إلى الظلال.

مكتبة ياسمين

كاثرين

بمجرد أن يستيقظ الراقد يستمر في السير لمدة سبعة أيام. ثم يرحل عن هذا العالم إلى الأبد.

حدقت كاثرين في الكلمات على شاشة جهاز الكمبيوتر. كانت بطاقة الذاكرة من نيكون غاري متصلة وكانت تتفحص صور غاري لصفحات اليوميات المفقودة، ورسالة العمة، والخريطة. كم يبدو الأمر غريباً بالنسبة لشخص ينظر إليها لأول مرة، شخص لم يذهب إلى الكهوف، ولم ير ما رأته كاثرين.

إن فقدان هذه الصفحات إلى الأبد بدا إجرامياً، خسارة رهيبة. فهي على أقلَ تقديرٍ ذات أهمية تاريخية. كان لديها صديق، أستاذ علم الاجتماع في جامعة بوسطن، والذي قد يستمتع بإلقاء نظرة عليها. ألن يحب الرجل الذي قابلته في متجر الكتب في البلدة أن يضع يديه على نسخة؟

من خلال بضع ضغطات على المفاتيح، قلصت الخريطة التي تبين الطريق إلى مدخل الكهف عند يد الشيطان إلى حجم الطوابع البريدية وضغطت زر الطباعة. وبينما تقوم طابعة الليزر بعملها، ألقت نظرة خاطفة على يدها، على خاتم العظام في إصبعها الثالث: خاتم العمة. العمة الساحرة. العمة، الذين يمكن أن تعيد الموتى.

كان الخاتم هدية غاري الأخيرة لها.

من أجل بدايات جديدة.

وقفت وتمددت. مضى اليوم سريعاً كما يحدث في كثير من الأحيان عندما تغرق في عملها. كانت الساعة العاشرة ليلاً تقريباً، ولم تتناول الغداء أو العشاء.

مكتبة ياسمين

طبعت الصفحة، فحملتها إلى طاولة العمل وقطعت النسخة الصغيرة من الخريطة. لقد كانت تنهي أحدث صندوق تجميع منذ أن عادت إلى الشقة في الساعات الأولى من الصباح. طلت الخارج ليبدو مثل الطوب؛ كان هناك باب في الوسط، وعلامة أنيقة فوقه تقول مقهى لولو. على يسار الباب، نافذة كبيرة مصنوعة من زجاج رقيق. فتحت كاثرين الباب وكادت تتخيل الروائح في الداخل: قهوة، ولفائف مخبوزة طازجة، وفطيرة تفاح. وهناك، جالسة على طاولة في وسط المقهى، وضعت دمية أليس الصغيرة. ومقابلاً لها جلست نسخة مصغرة من غاري، يرتدي السروال الأسود والقميص الأبيض الذي تركه في المنزل في ذلك الصباح.

لدي تصوير حفل زفاف في كامبريدج. سأعود في موعد العشاء».

وأمامه، وجبته الأخيرة. شطيرة ديك رومي وكوب من القهوة. ليست وجبة مثيرة، لكنها عرفت أنها وجبة غاري المفضلة، طلبه المعتاد في المطاعم ومحطات الشاحنات، وكان من دواعي سرورها تذكيرها بأن غاري الذي جلس في مطعم لولو في ذلك اليوم كان نفس غاري الذي عرفته طوال الوقت.

باستخدام فرشاة طلاء فائقة الدقة، قامت بوضع طبقة من الغراء على الجانب الخلفي من الخريطة الصغيرة، ووضعتها في الداخل بواسطة زوج من الملاقط الطويلة على الطاولة، بجانب غاري. الخريطة التي اتبعها للوصول إلى ويست هول، وإلى التل، وإلى يد الشيطان، حيث قام بتصوير فتاة صغيرة كانت ميتة منذ أكثر من مئة عام.

مكتبة ياسمين

بينما كانت تنعم قميص دمية غاري الأبيض، تخيلت المحادثة الأخيرة وأليس تتوسل إليه كي ينسى كلّ شيء اكتشفه. وغاري، الذي كان يتجول في الأرجاء على مدى العامين الماضيين مفعماً بالغضب والألم بسبب خسارة ابنه، فكر فقط في أوستن، وأنه إذا كانت هناك أدنى فرصة لاستعادته، حتى لو لمدة سبعة أيام فقط، فإنه سيبذل أي شيء لذلك.

كم كان العالم مشرقاً ومليئاً بالعجائب والسحر في ذلك اليوم الأخير عندما جلس في مقهى لولو. لقد عاش في عالم حيث يمكن للموتى أن يستيقظوا ويمشوا مرة أخرى، يا له من اكتشاف معجزة! يا له من أمل لا بدَ أنه شعر به يتوهج دافئاً داخل صدره.

وهل فكر في كاثرين، كيف سيبدو وجهها إذا أحضر ابنهما إلى المنزل مرة أخرى؟ كم ستكون مسرورة. يا للروعة.

قالت كاثرين بصوت عالٍ وهي تمسك رأس الدمية الصغيرة: «أنا أفهم». «أفهم لمَ فعلتَ ما فعلتَ. أنا آسفة لأنك لم تخبرني بأي من ذلك». ثم، ولأنها كانت بحاجة إلى قولها، قالتها بصوت عالٍ وشعر بوزنها يغادرها إلى الأبد: «أنا أسامحك».

أغلقت باب المقهى، وتركتهما يدوران حول تلك المحادثة مراراً وتكراراً: أليس تحاول إقناع غاري بنسيان كلّ شيء، وغاري يخبرها أنه لا يستطيع.

وراء كاثرين، سمع صوت ضعيف.

خدش عند الباب الأمامي للشقة، كما لو أن كلباً أو قطة أرادت أن يُسمح لها بالدخول.

نهضت من المقعد وسارت عبر الغرفة، توقفت للحظة، يدها على مقبض الباب.

مكتبة ياسمين

قلبها يغني.

عاري.

1939

سارة

الرابع من يوليو عام 1939 يوم الاستقلال

أصبحت رحلات منتصف الليل إلى البلدة أكثر صعوبة. بصري ضعيف. عظامي ومفاصلي تؤلمني طوال الوقت. في ذلك اليوم، شاهدت انعكاسي في الجدول ولم أتعرف على المرأة العجوز النحيلة التي نظرت إلي. متى أصبح شعري رمادياً؟ وجهي مبطن بشدة بالتجاعيد؟

يؤلمني التفكير بما سيحدث لحبيبي جيرتي عندما أرحل. ستستمر بالعيش إلى الأبد. وقتي في هذا العالم محدود.

وبقدر ما قد تبلغ من العمر في سنين، فإنها لا تزال مجرد طفلة تضع خطط الطفل وخياراته.

من سيكون هنا للحفاظ على رفقتها، ومساعدتها في السيطرة على دوافعها بمجرد أن أرحل؟

«هل من آخرين؟» لقد كتبت في يدي ذات ليلة منذ وقت ليس ببعيد. «هل من آخرين مثلي؟»

لم أكن متأكدة من الجواب. لقد فكرت في السؤال من قبل، وقررت أنه نعم بالتأكيد، في جميع السنوات التي صنع فيها الناس الراقدين، لم تكن الوحيدة التي تسفك الدماء. قلت لها: «ربما هناك آخرون». «ولكن إن كانوا موجودين، فقد اختبأوا جيداً».

ودعوت سراً أن تكون الوحيدة.

يبدو أنها تحتاج إلى التغذية كل بضعة أشهر. تصبح غاضبة ومنسحبة، ثم ضعيفة، ويجب أن

مكتبة ياسمين

تغامر بالخروج بحثاً عن الطعام. لقد جلبت لها السناجب والأسماك، وحتى الغزلان في بعض الأحيان. «كم هو مثير للسخرية أن مهارات الصيد التي علمتني إياها العمة منذ فترة طويلة هي المهارات ذاتها التي مكنتنا من البقاء على قيد الحياة». أترك القرابين خارج الكهف وأذهب لأتمشى طويلاً بينما تتغذى. لا تريدني أن أشاهد «ولا أستطيع تحمل ذلك». الحقيقة إن الحيوانات التي أحضرها لا تشبعها. أكثر ما تتوق إليه «وأرتجف حين أكتب هذا» هو الدم البشري.

لقد جلبت لها هذا أيضاً.

لن أشارك تفاصيل جرائمي هنا، إنها مروعة للغاية بحيث لا يمكن ذكرها. يكفي القول إنه إذا كان هناك جحيم، ذاك الذي حذرنا القسيس آيرز منه دائماً في خطبه، فإنه حيث أنتمي، وحيث نهايتي.

إنه لمن العار أن أقول ذلك، أن أعترف بكل ما فعلته، لكن جيرتي، بعد كلِّ شيء، هي من صنع يدي.

طفلتي بالولادة، وراقدتي التي أيقظتها.

مكتبة ياسمين

نبذة عن المؤلفة

جينيفر مكماهون الكاتبة الأكثر مبيعا وفقا لصحيفة نيويورك تايمز وفي رصيدها ست روايات غموض، منها:

- الشخص الذي تركته ورائي
- جزيرة الفتيات الضائعات
- وعد بالكتمان.

تعيش الكاتبة في فيرمونت مع زوجها وابنتهما.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

مكتبة ياسمين